TY

LI

[illegible]

[illegible]

[illegible] — ا

[illegible] — ١
[illegible] — ٢
[illegible] — ٣
[illegible] — ٤

[illegible] — ب

[illegible] — ١
[illegible] — ٢

[illegible]

[illegible] — ١
[illegible] — ٢
[illegible] — ٣
[illegible] — ٤
[illegible] — ٥
[illegible] — ٦
[illegible] — ٧
[illegible] — ٨

[illegible] — ح

[illegible] — ١
[illegible] — ٢
[illegible] — ٣
[illegible] — ٤
[illegible] — ٥
[illegible] — ٦
[illegible] — ٧
[illegible] — ٨
[illegible] — ٩

[illegible] — ٤

[illegible]

[illegible] — ١
[illegible] — ٢
[illegible] — ٣
[illegible] — ٤
[illegible] — ٥
[illegible] — ٦
[illegible] — ٧

مؤلفات

الدكتور عبد الرحمن بدوى

ا — مبتكرات

١ — الزمان الوجودى

٢ — هموم الشباب

٣ — مرآة نفسى [ديوان شعر]

٤ — الحور والنور

ب — دراسات أوربية

١ — الموت والعبقرية

٢ — قلوب الفلاسفة

خلاصة الفكر الأوربى

١ — نيتشه

٢ — اشبنجلر

٣ — شوبنهور

٤ — أفلاطون

٥ — أرسطو

٦ — ربيع الفكر اليونانى

٧ — خريف الفكر اليونانى

٨ — برجسون

ح — دراسات اسلامية

١ — التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية

٢ — من تاريخ الإلحاد فى الإسلام

٣ — شخصيات قلقة فى الإسلام

٤ — الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى

٥ — أرسطو عند العرب

٦ — المثل العقلية الأفلاطونية

٧ — منطق أرسطو فى ٥ أجزاء

٨ — شهيدة العشق الإلهى

٩ — شطحات الصوفية

ء — ترجمات

الروائع المائة

١ — أيشندورف : من حياة حائر بائر

٢ — فوكيه : أندين

٣ — جيته : الديوان الشرقى (فى جزئين)

٤ — بيرن : أسفار اتشيلد هارولد

٥ — هيلدرلن : هيپريون

٦ — نيتشه : زرادشت

٧ — رلكه : صحائف مالتى بريجه

دراسات إسلامية
– ٩ –

عبد الرحمن بدوي

شطحات الصوفية

الجزء الأول

أبو يزيد البسطامي

ملتزمة النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

١٩٤٩

فهرس الكتاب

النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي

المسلك الجلي في حكم شطح الولي

ملحق نصوص خاصة بالبسطامي

الشطح عند الصوفية

أباحَتْ دَمِى إذ باح قلبى بحبّها   وحَلَّ لها، فى حُكْمِها، ما استحلّتِ
وما كنتُ مِمّن يُظهر السرَّ إنما   عروسُ هواها فى ضميرى تجلّتِ
فألقتْ على سرى أشعّةَ نورها   فلاحَتْ لجُلاسى خفايا طَوِيّتى
فإن كنتُ فى سُكْرِى شطحتُ فإننى   حَكَمْتُ بتمزيق الفؤاد المُفتّتِ
ومن عَجَبٍ أن الذين أُحِبُّهم   — وقد أعلقوا أيدى الهوى بأعنّة —
سقَوْنى وقالوا : لا تُغَنِّ ! ولو سقَوْا   جبالَ حُنَيْنٍ ما سقونى لغنّتِ (١)

فى هذا عذاب الصوفى : لقد توقّل فى معراج السلوك ففنِىَ عن كل ما سِوى الله ، وتطهرت روحه من كل ما لا ينتسب إليه ، فصار فى حال فناء عن وجود السِّوى وشهود السِّوى وعبادة السِّوى ، وتجلّى له الحق لأول وهلة ، فلم يصبر على ما شاهد ، بل اندفع يصرخ وهو سكران مُحَمَّيًا الرؤية : أنا أنت ! لقد فُضّ له عن السرّ الأكبر ، فلم يقوَ على حمل هذه الأمانة العظمى فى باطنه ، ففاض لسانه بالترجمة عنها حتى يكون فى هذا تصريف لما انطوت عليه من شحنة هائلة . — وتلك ظاهرة الشطح . « فالشطح كلامٌ يترجمه اللسان عن وجدٍ يفيض عن معدنه ، مقرونٌ بالدعوى » (٢) . وهو عبارة مستغربة فى وصف وجدٍ فاض بقوّته وهاج بشدة غليانه وغلبته » (٣) .

الشطح إذن تعبير عما تشعر به النفس حينما تصبح لأول مرة فى حضرة الألوهية ، فتدرك أن الله هى وهى هو . ويقوم إذن على عتبة الاتحاد . ويأتى نتيجة وجد عنيف لا يستطيع صاحبُه كتمانه ، فينطلق بالإفصاح عنه لسانُه . وفيه يتبين هذه الهويةَ الجوهرية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه ، فيتحدث على لسان الحق ، لأنه صار والحقّ شيئاً واحداً ؛

---

(١) من قصيدة لعز الدين المقدسى (المتوفى سنة ٦٦٠ هـ = سنة ١٢٦٢ م) أوردها ماسينيون فى « ديوان الحلاج » ، « المجلة الأسيوية » JA ، عدد يناير مارس سنة ١٩٣١ ص ١٣٢ — ص ١٣٣ .

(٢) السرّاج : « اللمع » ص ٣٤٦ ، نشرة ألن نيكلسون . ليدن سنة ١٩١٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٧٥ .

ومن هنا ينتقل الخطاب إلى صيغة المتكلم بعد أن كان — فى حال المناجاة — بصيغة المخاطب ، وفى حال الذكر بصيغة الغائب . لكن مَن المخاطِب ومن المخاطَب ؟ الأحرى أن يكون كلاهما واحداً ، ولذا لا يُفترَضُ هنا غيرٌ يتوجه إليه الخطاب ؛ وهذا هو الأصل فى تحريم إذاعة ما يجرى فى النفس إبان هذه الحال ، ومن أذاع فقد شطح . لكن هل كان فى وسعه ألاّ يذيع ؟ ذلك هو مأزِق الصوفى : فشدة الوجد ترغمه على الإذاعة ، والمذاع سرٌ بين العبد والرب ، لأن التفرقة انتفت وصار اتحاد . ولهذا يمكن أن يقال إن الشطح شرٌ للصوفى لا بد منه .

فى الشطح يشعر الصوفى أن ثمت مُحدِّثاً عالياً هو الذى يلهمه ويُنطِقه ، «فيجرى حوار بين النفس الخاشعة المستغرقة وبين الحكمة الإلهية العالية . هنالك تتخذ الكلماتُ عند النفس امتلاءها الخاص بحقيقتها الوقتية ، وتُسمع فى باطنها أحاديثُ قدسية ، ثم تُصلح النفسُ لغتَها وفقاً لتلك الأحاديث ؛ وعلى وصيد الاتحاد الصوفى تقف ظاهرةُ الشطح ، هذه الدعوة إلى التبادل ، فيُوزِّع العاشقَيْن باستبدال كل منهما دوره بدور الآخر ؛ وتُرَغَّب النفس فى التعبير ، «بصيغة المتكلم» ، ومن غير شعور منها بذلك ، عن مقاصد المحبوب نفسه ؛ وإن فى هذا لأشد امتحانٍ لتواضعها ، وإنه لختم لاصطفائها[1] » .

فالعناصر الضرورية لوجود ظاهرة الشطح هى : (أولا) شدّة الوجد ؛ و (ثانيا) أن تكون التجربة تجربة اتحاد ؛ و (ثالثا) أن يكون الصوفى فى حال سُكْر ؛ و (رابعاً) أن يَسمع فى داخل نفسه هاتفاً إلهياً يدعوه إلى الاتحاد ، فيستبدل دوره بدوره ؛ و (خامساً) أن يتم هذا كلُّه والصوفىُّ فى حالٍ من عدم الشعور ، فينطق مترجماً عما طاف به متخذا صيغة المتكلم وكأن الحق هو الذى ينطق بلسانه . أما الشطحة نفسها فتمتاز بعدة خصائص : منها أنها بصيغة ضمير المتكلم ، وإن كان هذا الشرط غير متحقق باستمرار ؛ وأنها تبدو غريبة فى ظاهرها ، لكنها صحيحة فى باطنها ، أو على حدّ تعبير السَّرَّاج « ظاهرها مستشنع ،

---

(١) ماسينيون : « بحث فى أصول المصطلح الفنى للصوفية المسلمين » ، ص ٩٩ . باريس سنة ١٩٢٢ .

وباطنها صحيح مستقيم(١) » ؛ ومن هنا تظهر بمظهر الدعوى العريضة الكاذبة .

فلنأخذ فى بيان هذه العناصر بالتفصيل . أما شدة الوجد فلأن الاتحاد يقع — أول ما يقع — بعد وجدٍ عنيف . ولهذا كانت حال الشطح تمتاز بالاضطراب ، والحركة ، والانفعال الجامح . والسّراج يرد كلمة : « الشطح » من الناحية اللغوية إلى معنى الحركة فيقول : « إن الشطح فى لغة العرب هو الحركة ، يقال شَطَح يَشْطَح : إذا تحرّك ... فالشطح لفظة مأخوذة من الحركة ، لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوى وَجْدُهم فعبّروا عن وجدهم ذلك بعبارة يَستغرب سامعُها »(٢) . والسر فى هذا الاضطراب أن الانفعال يغلب على الوجدان فلا يقوى على احتماله ، فيضطرب ويهتز ويتحرك بعنف . على أن الصوفية قد ميزوا مع ذلك بين نوعين من الواجدين : الواجد الساكن والواجد المتحرك ، وحاولوا المفاضلة بينهما ، فقال « قوم إن السكون والتمكن أفضل وأعلى من الحركة والانزعاج(٢) » . وجاء أبو سعيد بن الأعرابى فى كتابه « الوجد » فميز بين نوعين من الواردات فى الأذكار فقال : إن « منها ما يوجب السكون ، فالسكون فيها أفضل من الحركة ؛ ومنها ما يوجب الحركة ، فالحركة فيها أتم ، إذ حكمُها القهر لأهلها . فإذا لم يَقُم بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً فى وروده ، ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورةَ الحركةَ(٢) . » وعلى هذا فالأمر يتوقف على نوع الوارد : فإن كان عنيفاً أدى إلى الحركة قسراً عن صاحبه ، وإن كان هادئاً أدى إلى السكون . « فمن شرّف أهل السكون إنما شرّفهم بفضل عقولهم وشدة تمكنهم ؛ ومن فَضّلَ المتحركين فَضّلهم بقوة الوارد من الذكر الذى ينخنس (= يتخلف) دون فهم العقل ، فكان أفضل لفضل الوارد . وإذا كان العقلان مستويين ليس أحدهما أفضل ، فالساكن أتمّ . وهذا ما لا أحسبه يكون : أن يستوى رجلان أو عقلان أو واردان ؛ وقد أبى ذلك أهلُ العلم . وإذا بَطل التساوى رجعنا إلى ما قلنا فى أول المسئلة أن لا معنى لتفضيل الساكن على المتحرك ، ولا المتحرك على الساكن ، لاختلاف الحال الواردة التى توجب الحركة ، والحال التى توجب السكون . . . فليس الفضل ها هنا بالحركة ولا بالسكون حتى تُعلَم الحالُ الواردة على المتحرّكين وعلى

---

(١) أبو نصر عبد الله بن على السراج الطوسى : « اللمع فى التصوف » ، ص ٣٧٥ ، نشرة ألن نيكلسون . ليدن ، سنة ١٩١٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

السا كنين . فإن كانت الحال توجب سكوناً فلم تُسكِن صاحبها ، فهو ناقص عن غيره ؛ وإن كانت توجب حركةً فلم تحركه ، دلَّ ذلك على نقص وارده[١] . » وهذا تقرير أوفى على الغاية فى الوضوح ودقة الفهم . وحاصله بالنسبة إلى موضوعنا أن هذا الوجد المفضى إلى الشطح يستلزم الحركة والاضطراب ، لقوة الوارد وغلبته على صاحبه .

لكن ما هى بواعث هذا الوجد ؟ دواعى الوجد عديدة . قال أبو سعيد بن الأعرابى أيضاً : «الوجدُ ما يكون عند ذِكرٍ مُزعِجٍ ، أو خوفٍ مُقْلق ، أو توبيخٍ على زَلّة ، أو محادثة بلطيفة ، أو إشارة إلى فائدة ، أو شوق إلى غائب ، أو أسف على فائت ، أو ندم على ماضٍ ، أو استجلاب إلى حالٍ ، أو داعٍ إلى واجب ، أو مناجاة بسرّ . وهى مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسّر بالسّر ، واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك لتسعى فيه ، فيُكتَبَ لك بعد كونه منك ، فيثبُتَ لك قدَمٌ بلا قدَم ، وذكر بلا ذكر[٢] . »
وليس من شك فى أن داعى الوجد بالنسبة إلى الشطح هو آخر ما ذكر من دواعٍ ، وهو المناجاة بسّر ، هو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن ، أى الشعور بالهوية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول إليه ، فيشعر بأن المعبود هو الباطن ، وأن العبد هو الظاهر ، فباطن العبد هو ظاهر المعبود ، وباطن المعبود هو ظاهر العبد ؛ فناسوتُ الله يُظهِر سرَّ سنا لاهوته الثاقب ، كما يقول الحلاج . وقوله : « استخراج مالك بما عليك مما سبق لك لتسعى فيه » معناه أن تُستَخرَجَ للعبد حقيقتُه الإلٰهية التى وُجِدَتْ وجوداً سابقاً ، وعليه وقد تبينها أن يسعى إلى الظفر بها من جديد ، وذلك « بما عليه » ، أى بأدائه ما يجب عليه من حقوق الرعاية وواجباتٍ نحو الحق . هنالك يكتب له ما كان له ، أى يصير ويستحيل من الناسوت إلى اللاهوت ، فيتحقق الاتحاد بين كليهما ، أو بالأحرى يفنى الناسوت ولا يبقى ثَمَّ غيرُ اللاهوت لأنه هو الذى كان فى الأصل ، فيثبتُ له قدَم بلا قدم ، أى يثبت له اللاهوت بدون الناسوت ؛ ويثبت له ذكر بلا ذكر ، أى يستحيل إلى الذكر نفسه بوصفه المذكور ، فلا يعود بعدُ فى حاجة إلى الذكر ، إذ استغنى بالذكر المذكور عن الذكر الذاكر ، فصار

---

(١) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٣٠٩ .
(٢) أورده السراج : « اللمع » ، ص ٣١٠ .

ذكراً (= مذكوراً) بلا ذكرٍ (= ذاكر). ومن هنا كان عنصر «السر» في الوجد المولّد للشطح من أبرز العناصر في تكوينه وتلوينه ؛ وسنتبين هذا المعنى بتمامه عما قليل. على أنه ، وإن كان داعيه المناجاةَ بسّر ، فإن ثمت عوامل انفعالية مساعدة هي التي تولّد الجانب الحركي فيه ، لأن الأحرى أن يقال إن المناجاة بالسّر هي السبب المباشر ، والسبب المباشر لا بد له من مقدّمات تمهّد له وتفضي إلى إيجاده . ومن هذه العوامل وأقواها الشوقُ إلى الاتحاد ، فيحس العبدُ أن ثمت نار عطش تشتعل في جوفه ، عطش إلى الفناء في حِضن الألوهية ؛ ومن هنا قيل إن الوجد «هو ، في الأحوال ، شعلة متأججة من نار العطش تستفيق لها الروحُ بلمع نورٍ أزلي وشهودٍ رَفْعِي[1] ؛» فيبدأ هذا الوجد بالتحرّق عطشاً ، يزيد لهيبَه لمعُ نورٍ وارد من الحضرة تتنوّره الروحُ فتُلْيح إلى جناب الأزل وتشاهد نفسها وقد رُفِعتْ إليه مقدّماً في تخيّلها . فهنا شوق مشفوع بالرجاء : شوق إلى الاتحاد بالله ، ورجاء في تحقيق هذا الاتحاد بما يلوح له من نورٍ يضيء منه عالم القدس ويطلع على ما في الغيب من الحقائق . لكنه مع ذلك رجاءَ كثيراً ما يبدو كالبرق الخُلّب ، خصوصاً في أول طريق الوجد ؛ إذ يلوّح له بقرب الطريق ، فيبادر مسرعاً فلا يجد شيئاً ؛ وكلما سنح له بارق ، جرى وراءه ؛ لهذا يهيم من بارق إلى بارق ؛ ولا ييأس ، وإلا توقف ؛ لأن البوارق متوالية ، فإن أيس من أحدها فسرعان ما يجد الآخر من بعده . لذا لا تخلو أحوالهم هنا من حال القلق[2] بكل ما ينطوي عليه من ضيق وكراهيــة للحياة وسقوط صبر وتوحُّش عما سوى الله . وكل هذا من شأنه أن يزيد في الانفعالات المولّدة للوجد ، لأن هذه الأحوال كلها تمتاز بالعنف والتأجُّج وعَرامة الحركة وقوة الاضطراب فيها .

وإذا كانت درجة الشوق تتناسب مع مكانة الموضوع المشتاق إليه ، فأي شوق أقوى من الشوق إلى الاتحاد بالله عند الصوفي ؟! وهذا مما يزيد في فوران الوجد . فهو وجدٌ غايته الاتحاد بالله ؛ لذا كان هذا عنصراً جوهرياً في تكوينه . والاتحاد بالله هنا يُقصد كاملاً ،

---

(١) ضياء الدين الكمشخانلي : «جامع الأصول» ، ص ٣٥٧ ، القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ = سنة ١٩٢٠ م .

(٢) راجع كتابنا : «الإنسانيــة والوجودية في الفكر العربي» ، ص ٨٢ — ص ٩٥ . القاهرة سنة ١٩٤٧ .

أعنى أن يصير المحب والمحبوب شيئاً واحداً فعلاً : سواء فى الجوهر والفعل ، أى فى الطبيعة والمشيئة والفعل الصادر منها ، فتكون الإشارة إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر ؛ ثم تختفى الإشارة لانعدام المشير ، فلا يصير ثمت غير واحدٍ أحد هو الكل فى الكل . وهنا يُفرّقُ بين الاتحاد والحلول على أساس أن الاتحاد هو شهود وجود واحدٍ مطلق من حيث إن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد معدومة فى نفسها ، لا من حيث إن لها سوى الله وجوداً خاصاً يصير متحداً بالحق . أما الحلول فيقتضى شيئين ، وينقسم إلى قسمين : حلول سَرَيانى ، وحلول جَرَيانى ؛ والأول هو اتحاد جسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما عين الإشارة إلى الآخر كحلول ماء الورد فى الورد ، فيسمى السّارى حالاً والمَسْرِى فيه محَلاً . أما الحلول الجريانى فهو عبارة عن أن يكون أحد الشيئين طرفاً للآخر مثل الماء للكأس .

وابن تيمية يقسم كلًّا من الاتحاد والحلول إلى قسمين : إذ كلاهما إما مطلق ، أو معين فى شخص . فالمعين « كقول النصارى ، والغالية فى الأئمة من الرافضة ، وفى المشايخ من جُهّال الفقراء والصوفية ، فإنهم يقولون به فى معنى : إما بالاتحاد — كاتحاد الماء واللبن ، وهو قول اليعقوبية ، وهم السودان من الحبشة والقِبْط ؛ وإما بالحلول — وهو قول النَّسطورية ؛ وإما بالاتحاد من وجهٍ دون وجهٍ ، وهو قول الملكانية . وأما الحلول المطلق — وهو أن الله تعالى بذاته حالٌّ فى كل شىء — فهذا تحكيه أهلُ السنة والسلفُ عن قدماء الجهمية . . . وأما ما جاء به هؤلاء (يقصد الحلاج وابن سبعين والصدر الرومى الخ) من الاتحاد العام فما علمت أحداً سبقهم إليه إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون القرامطة . وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون أن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق ، وأن وجود ذات الله ، خالقِ السموات والأرض ، هى نفسُ وجود المخلوقات . فلا يُتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ، ولا أنه ربُّ العالمين ، ولا أنه غنى وما سواه فقير ؛ لكن تفرقوا على ثلاثة طرق ... (الأول) أن يقولوا إن الذوات بأسرها كانت ثابتةً فى العدم ، ذاتُها أبديةٌ أزلية حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات ، وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات ، فوجودها وجود الحق وذواتها ليست ذوات الحق ؛ ويفرقون بين الوجود والثبوت : فما كنتَ به فى ثبوتك ظهرتَ به فى وجودك . . . (الثانى) أن وجود المحدثات هو عين وجود الخالق ليس

غيره ولا سواه . . . (الثالث) أنه ماثمّ غيرٌ ولا سوى بوجه من الوجوه ، وأن العبد إنما يشهد السوى ما دام محجوباً ، فإذا انكشف حجابه رأى أنه ماثمّ غيرٌ وتبينّ له الأمر[1] » .

وهذه الطرق الثلاثة هى طرق ابن عربى والصدر الرومى والعفيف التلمسانى : فابن عربى يفرق بين الوجود والثبوت ؛ والموجود هو المتحقق ، والثابت هو المعدوم الممكن الوجود ؛ فالأشياء كانت ثابتة فى العدم منذ الأزل ثم فاض عليها الحق بوجوده ، فوجودها وجوده ، ولكن ذواتها ليست ذواته . فالاتحاد عند ابن عربى إذاً هو فى الوجود ، والاختلاف فى الذوات . والصدر الرومى يرى أن الله هو الوجود المطلق والمعين معاً ، فليس له وجود إلا وجود المخلوقات نفسها ؛ و إذن فلا يوجد لله وجود غير وجود الكائنات . على أن كُلاً من ابن عربى والصدر الرومى قد أشار إلى شيئين ، و إن كاد الرومى أن يقضى على كل تفرقة ؛ أما العفيف التلمسانى فهو الذى أوفى على الغاية فى الاتحاد فجعل مذهبه أنه ما ثم غير ولا سوًى بوجه من الوجوه ؛ فقضى نهائياً على فكرة السّوى والأغيار . وابن سبعين يعدّ أقرب إلى التلمسانى منه إلى ابن عربى والصدر الرومى .

ولن نستطيع أن نقصر الشطح على نوعٍ واحدٍ من هذه الأنواع المختلفة للاتحاد ، و إلا لكان فى ذلك تضييق لمعناه لا مبرر له . ولذا نرى أن الاتحاد فى هذا الباب يمكن أن يفهم على أية صورة من تلك الصور التى أوضحناها . لكن يمكن أن يقال إن درجات الشطح تتناسب تناسباً طردياً مع درجات الاتحاد أو الحلول — ونقول الاتحاد أو الحلول لأن كليهما صالح لإيجاد ظاهرة الشطح .

وأهمية فكرة الاتحاد فى تكوين أو تكييف عملية الشطح كبيرة ، خصوصاً فى تفسير الشطحيات التى تعبّر عن تساوى الأديان كلها — سماوية وغير سماوية — بالنسبة إلى الصوفى . فالأديان عنده متساوية لأن الوجود واحد ، والوجود هو الله ؛ فكلها إذن من الله ، و بالنسبة إلى الله تنتفى كل تفرقة .

وثالث العناصر فى تكوين ظاهرة الشطح أن يكون الصوفى فى حال سُكْرٍ . وهى حال يؤكدها الآخذون بمذهب الشطح والمنكرون له : الأولون لأن المعاينة لا تتم فى طريق

---

(١) ابن تيمية : « مجموعة الرسائل والمسائل » ، ص ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

السلوك إلا بعد ورود وارد قوى يغلب على السالك فيغيب عن إحساسه ، وهذا هو السكر ؛ وهـذا الوارد هو أن يكاشَف بنعت الجمال ، فتطرب روحه وينتشى فؤاده أقوى انتشاء . ويقول بها المنكرون حتى يتلمّسوا المعاذير فيرفضوا هذه الشطحات . ولهذا نرى ابن تيمية — عدو الصوفية اللدود — يقول إن « بعض ذوى الأحوال قد يحصل له فى حال الفناء القاصر سُكرٌ وغيبةٌ عن السّوى . — والسكر وجدٌ بلا تمييز — . فقد يقول فى تلك الحال : سبحانى! أو : ما فى الجبة إلا الله — أو نحو ذلك من الكلمات التى تؤثر عن أبى يزيد البسطامى أو غيره من الأصِحّاء . وكلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدى »(١) ؛ وعلى هذا فلا يؤخذ بها ، وإذن يجب رفضها ، كما ترفض كلمات السكران بالطعام أو الشراب . كذلك نجد عبد القادر الجيلانى يرى أنه إذا كانت هـذه الكلمات الشطحية صادرة عن الصوفية « فى حال الصحو فهو من الشيطان الذى لا حكم له ، إذ لا يحكم إلا على ما تلفظ (به) فى حال الصحو ؛ وأما الغيبة فلا يقام (فى المخطوط : يدام) عليها (ص : عليه) حكمٌ »(٢) . وواضح أن رأى هؤلاء الخصوم لا يمكن أن يقام له وزن عند من يرى أن الشطح ظاهرة صوفية سليمة ، وأن الكلمات الشطحية لا تقل فى صدقها عن الكلمات التى تصدر فى حال الصحو . فلا دخل للصحو أو السكر فى تحديد القيمة الذاتية لهذه الكلمات ، وإلا أخطأنا فهم هـذه الظاهرة الممتازة . وهؤلاء الخصوم خلطوا — عن قصد — بين السكر الروحى والسكر الجسمانى .

إنما يقصد بالسكر هنا انتشاء الروح بمكاشفة الحق لها بسرّه وبأنه هو هى وهى هو ، فتطرب أشد الطرب لاكتشاف هذه الحقيقة : فسكرها إذاً شدة غبطتها بمعرفة سرّ وجودها ، وهو أن وجودها هو وجود الله أو أنها هى الله ، أو أنه ليس ثمّ إلا الله — وفقاً لاختلاف أنواع الاتحاد كما رأينا . وإذاً فلا مدخل فى هذا السكر للهذيان أو الوساوس الشيطانية أو الهلوسة والتخليط وما يلابس السكر الجسمانى .

وإذن فليس لأولئك الخصوم أن يتهموا السكر وما ينتج عنه من شطحيات بأنه هذيان لا يؤخذ به الصوفى ولا يلام عليه . إنما هو عين الحق فى نظر الصوفى الحق . وابن تيمية كان

---

(١) ابن تيمية : « مجموعة الرسائل والمسائل » ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٢) مجموع رسائل وتعليقات وتقييدات ، مخطوط برقم ١٢٤٢ فاتيكان عربى ، ورقة ٤٣ ب .

من الخبث بحيث أوهم بالتشابه بين السكر الجسمانى والسكر الروحى من حيث قيمةُ الصدق فى كليهما ؛ والحق أنه لا وجه للشَّبَه بينهما إلا فى مقدار اللذة التى ينعم بها السالك والشارب . وعبد القادر الجيلانى كان من السذاجة أو الرغبة فى المداراة — شأنه دائماً فى كل مذهبه ، ففيه تَرضٍّ ظاهر لمن يدعون أنهم أهل السنة — بحيث ادّعى أن هذه الكلمات الشطحية لو صدرت فى حال الصحو لعُدَّت من وساوس الشيطان ؛ وهو بهذا يريد — عن قصد أو غير قصد — أن يضع من شأنها ، لا على أساس ما سيفعله الآخرون ممن لا يأخذون عليها إلا إفشاء السر بدون إذن من الحق ، بل بسبب أنها من قبيل لَمَم المنزوفين من فرط الُخمار .

ماذا يقع فى هذا السكر ؟ قلنا إن سببه هو مكاشفة الحق للروح بسرّ الاتحاد . وهذه المكاشفة على هيئة طائف أو هاتف يأذن لها أن تستبدل بدورها دوره ؛ فتتحدث على لسانه ، ويعلن لها أنه يبادلها حُبًّا بحب ، وأن الآنيّة قد رفعت بينهما ، فصارا شيئاً واحدا . وهذا هو العنصر المميز الخاص فى هذا الجانب من التصوف عند المسلمين . فأحوال الوجد وطلب الاتحاد والسكر كلها توجد فى أنواع التصوف الأخرى ؛ أما هذا التبادل فى الأدوار بين العبد والحق والإذن له بالتعبير بصيغة المتكلم فهو العنصر الجديد حقاً فى التصوف الإسلامى . ويمكن تفسيره على أساس أن الهوّة وقد بعدت كل البعد بين الله والعبد — والتصوف هو المحاولة المضادة للتقريب بينهما — قد اندفع فأوغل فى الطريق إلى الطرف المقابل تماماً . الأطراف فى تماس ؛ والتطرف فى جانب لا يمكن أن يعالج إلا بالتطرف فى الجانب المضاد . أمّا وقد جاءت الشريعة بالعلو فى الفارق بين المخلوق والخالق ، فلتأتِ الحقيقة والطريقة بالغلو فى التوحيد بين العبد والمعبود . ولهذا لم نجد هذه الظاهرة — ظاهرة الشطح — فى التصوف المسيحى مثلاً ، لأن فكرة التوسط تلعب منذ البداية دورها الخطير فى التقريب بين الله و بين المخلوقات ؛ والتجسد هو أظهر تعبير عن هذا التوسط بحيث كان من عقائد المسيحية الرسمية الجوهرية اتحادُ اللاهوت بالناسوت فى شخص المسيح ؛ لهذا لم يكن للصوفى المسيحى أن يتطرف فى جانب الاتحاد[1] ؛ وكان اتحاده بالألوهية دائماً عن

(١) راجع الملاحظات القيمة التى أبداها چلسون فى كتابه « اللاهوت الصوفى عند القديس برنار » =

طريق هذا الوسيط ، المسيح ؛ كما يلاحظ من ناحية أخرى أن فكرة التوسط هذه قد جعلت من غير الممكن قيام صلة مباشرة بين العبد والرب عند المسيحى ؛ بل لا بد من المرور بالوسيط ، أعنى المسيح . أما فى الإسلام فالصلة مباشرة بين العبد والرب ؛ فإن تمَّ اتحادٌ تم بطريق مباشر . لقد حمل المسيح عن المسيحيين مؤونة هذا الاتصال المباشر والاتحاد المطلق ؛ أما فى الإسلام فعلى كل مسلم أن يقوم بهذا الفعل الهائل من تلقاء نفسه ؛ لهذا كان من الطبيعى أن يقف الصوفى المسيحى عند وصيد الألوهية دون أن يفنى فى حِضنها ، إذ المسيح يحجبه دائماً عنها ، وأن يدخل الصوفى المسلم فى قلبها فيفنى فيها معلناً أن بقاءه إنما هو فى هذا الفناء . وهنا قد يقال فى الرد على هذا : إن اليهودية تتصور الفارق بين المخلوق والخالق على نفس النحو الذى يتصوره الإسلام ، فلماذا لم يقل صوفيتها بالشطح أو ما فى معناه ؟ والجواب عن هذا يسير ، وهو أن فكرة اليهودية عن الله كانت من الإرهاب بحيث لم تُعطِ الصوفى اليهودى الثقة بنفسه بحيث يتطلع إلى الاتحاد المطلق بالألوهية ، لأن إله إسرائيل إله جبار منتقم يرسل الصواعق والطوفان ؛ وبالنسبة إلى هذا الإله تنتفى معانى الأنس والحب والقرب وما يطوف بها من معانٍ هى وحدها التى تشجع المرء على الاقتراب من الحضرة ؛ بينما إله المسلمين رحمن ، رحيم ، ودود ، يحب المؤمنين ويحبونه ، إلى آخر كل هذه الأوصاف التى تنطوى على مغريات الأنس به والقرب منه والحبّ له والشوق إلى الاتحاد به ، بل والفناء فيه .

هذه المنزلة التى يبلغها الصوفى حين إعلان تبادل الأدوار هى منزلة التوحيد . وهى « أن لا يُشْهدك الحق إياك[1] » أى لا يطلعك على وجودك ، بل يطلعك على وجودٍ واحد ما عداه غير موجود ، فتفنى أنت عن وجود ذاتك ، وبالأحرى عن وجود كل موجود آخر سوى الله ؛ وتخرج عن جميعك . وفى هذا يقول الشبلى : « لا يتحقق العبد بالتوحيد حتى

= ص ١٤٢ — ص ١٥٦ . باريس ، ط ٢ سنة ١٩٤٧ Et. Gilson : *La Théologie mystique de Saint Bernard*.

(١) الكلاباذى : « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ١٠٣ ، نشرة آربرى . القاهرة سنة ١٩٣٣ .

يستوحش من سرّه وحشةً لظهور الحق عليه »(١) . هنالك لا يخطر بباله شيء آخر غير الحق : « فالشواهد عن سرّه مصروفة ، والأعواض عن قلبه مطرودة ؛ فلا شاهد يشهده ، ولا عوض يعبده ، ولا سرّ يطالعه ، ولا برّ يلاحظه ؛ هو فى حقه عن حقه محجوب ، وفى حظه عن حظه مسلوب ، فلا نصيب له فى نصيب ، وهو مأسور فى أوفر النصيب ، والحق أوفر نصيب »(٢) ؛ فيكون ثمت توحيد للحق ذاته . وكما يقول صاحب « جامع الأصول » إن التوحيد « فى الأحوال : شهود الحب من الحق بالحق للحق ذوقاً ؛ وفى الولايات : الفناء عن رسوم الصفات فى الحضرة الواحدية وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير ؛ وفى الحقائق : الفناء فى الذات مع بقاء رسم الخفاء المستور بنور الحق المشعر بالاثنينية المثبت للخلق »(٣) . على أن هذا الشرط الأخير — أعنى بقاء رسم الخفاء المستور بنور الحق المشعر بالاثنينية المثبت للخلق — لا وجود له عند القائلين بوحدة الوجود ؛ والمؤلف الذى نقل عنه صاحب « جامع الأصول » إنما وضع هذا الشرط حرصاً منه على نفى معنى وحدة الوجود عن مذهبه . لهذا يجب أن نسقطه فى هذا الباب هنا . والخلاصة إذن أن التوحيد الذى يلقنه الصوفى فى حال السكر هو شهود الحق فى ذاته لذاته ، وفناء الذات الخاصة فى ذات الألوهية ، وأنه ما ثمّ إلا الله : فوجود العبد وجود الرب ، والعكس ؛ ولهذا يمكن أن يُنْسَب إلى العبد ما ينسب إلى الرب من صفات وأسماء . والصوفية ، الذين لا يرون هذا التوحيد ، لا يمكن أن تُنْسَب إليهم ظاهرة الشطح . ذلك أن خصوم وحدة الوجود من الصوفية « أنكروا هذا التوحيد ، وقالوا بغلبة المشهود على الشاهد ، واستتار وجود الشاهد بنور المشهود مثل استتار الكواكب فى ضياء الشمس واختفاء صورة الحديد المُحْماة وكونها فى صورة النارية الغالبة عليها » . ولكن القائلين بوحدة الوجود « يردون هذا القول بما يردون به قول أهل الظاهر ، ويقولون : هذا ذوق من لم يصل إلى درجة الفناء التام ولم يُقوّوا سلوكهم ، فبقوا قاصرين . . . ولم يشعروا أن فيما ذهبوا إليه رائحة الحلول ، كما يدل عليه تمثيلهم بالحديدة المحماة ، فإن التجلى — قبل أن يفنى التعيّن فناءً تاماً ويُمْحَى الرَّسْمُ محواً كاملاً — يرى الشاهدُ وجودَه وأنانيته باقياً ،

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٣) ضياء الدين الكمشخانلى : « جامع الأصول » ، ص ٣٦٨ . القاهرة سنة ١٩١٠ .

والمشهود قد استولى على وجوده بعضَ الاستيلاء مع بقاء الاثنينية بين الشاهد والمشهود ؛ فهذا لا يخلو من الحلول . . . وأما إذا كمل التجلي ، فنيت الأنانية فناءً تاماً ثم بقيت ببقاء المشهود ، إذ يرى نفسه فى طورٍ آخر ، ويجد ذاته وجداناً صريحاً سارياً فى الكل ومحيطاً بالكل ، بل يجدها عين الكل »[1] .

والصوفى إذا بلغ هذه المرتبة لأول مرة يبدأ يأخذ صفة العارف . فإن العارف يكون بمشهد الحق « إذا بدا الشاهدُ وفَنِي الشواهدُ وذَهَبَ الحواسُّ[2] ؛ » . ولهذا فإن المعرفة تصدر عن الشطح ، والشطحات إنما تصدر من أهل المعرفة . فإن علامة العارف ، أولَ دخوله فى المعرفة ، الشطحُ ؛ ومن لم يبلغ مرتبة الشطح لا يصح أن يُسْلَكَ فى عِداد العارفين بالمعنى الصحيح ، وإن كان الناس قد توسعوا فى معنى العارف فلم يشترطوا فيه المرور بدور الشطح ؛ ولكننا نحسب أن هذا التوسُّع هو من عدم التدقيق . ذلك أن المعرفة بالمعنى العالى الدقيق هى التوحيد ؛ والمرء لا يبلغ منزلة التوحيد إلا فى حال السكر وما يتلوها ، والسكر يقتضى بالضرورة الشطحَ ؛ فالشطح إذن مرحلة ضرورية فى طريق التوحيد ، أعنى فى تحقيق المعرفة وبالتالى فى تكوين صفة العارف عند السالك .

ولقد أشرنا فى حديثنا عن السكر إلى أن هذه الأحوال كلها ، التى تواكب الشطح أو تهيىء له ، تتم فى حالٍ من عدم الشعور ؛ ونحن نقصد بالشعور هنا التفكير المنطقى ؛ وإذا كانت الأحوال الصوفية كلها لا تنتسب فى حقيقة أمرها إلى البرهان ، بل إلى العِيان والذوق ، وبالتالى تقع بمعزل عن الشعور ، فإن هـذا يصدق فى المقام الأول على الأحوال النفسية المرتبطة بظاهرة الشطح ، وإلى أعلى درجة ، لأن حال السكر هى العصب الرئيسى لكل تلك الأحوال ، وهى حال تجرى فى جوٍّ من عدم الشعور إلى أبعد حدٍّ ممكن فى الطريق الصوفى ؛ فمن هنا كان عدم الشعور عنصراً قوياً فى تحديد الأحوال اللازمة للشطح .

---

(١) رسالة فى الوحدة الوجودية لبهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملى (المتوفى سنة ١٠٣١هـ = ١٦٢١م) فى «مجموعة الرسائل» ، نشرها محيي الدين الكردى ، ص ٣٢٠ — ص ٣٢١ . القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ .

(٢) الكلاباذى : « التعرف لمذهب أهل التصوف » ، ص ١٠٤ .

— ٢ —

وبهذا كله نكون قد أتينا على وصف ظاهرة الشطح من حيث أحوالها النفسية المولِّدةُ لها والمساعدةُ على وجودها . و بقى أن ننظر فى تقدير الصوفية لها . فنرى الجرجانى فى « تعريفاته » يقول إن « الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى ، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب . وهو زلّات المحققين ، فإنه دعوى حقّ يفصح بها العارف لكن من غير إذن إلهى [١] » . وفى هذه العبارة الأخيرة نشاهد الرأى الغالب عند متأخرى الصوفية والكتاب عامة ممن لا ينكرون هذه الظاهرة فى ذاتها ، ولا يستشنعون الكلمات الشطحية ، بل يرون أن الخطأ الوحيد فيها هو أن أصحابها يفصحون بها دون إذن إلهى . وأصحاب هذا الرأى إنما يريدون التوفيق بين الاعتراف بصحة الشطحيات و بين إنكار ما يدل عليه ظاهرها مما استبشعه أهل السنة وخصوم الصوفية . ولهذا جاء رأيهم هذا غامضاً ، لأنه لا معنى لقولهم : « دون إذن إلهى » — إذ أن أولئك الذين باحوا بهذه الأسرار لم يشعروا بأنهم أذاعوا أسراراً محرّمة . كما أنهم جعلوا كل الشطحيات تندرج تحت هذا ، ونقصد بالشطحيات كل الكلمات التى تتصف بالخصائص التى أوردناها فى أول هذا البحث؛ فلم يذكر هؤلاء الكتاب أن ثمت كلمات من هذا النوع قد أُذِنَ بها ، وأن أخرى غيرها لم يؤذن بها ؛ بل كل ما وجدوه مما يخالف المألوف عدُّوه شطحاً ، و إذاً فلا معنى لهذا القول : « دون إذنٍ إلهى » إلا إذا كان قد تم الإذن بالنسبة إلى كلمات من نفس النوع ؛ أمّا وهذا لم يحدث ، فقولهم هذا غير مُحَصَّل ؛ وما لجأوا إليه إلا من باب الاعتذار عن تلك الكلمات دفاعاً عن أصحابها ضد الفقهاء وخصوم الصوفية .

ولعل السبب فى هذا الدفاع على هذا النحو ما شاهده الصوفية أنفسهم بعد عهد الحلاّج من خطر يتهددهم إذا أوغلوا فى الشطح . فمن باب الأمن على أنفسهم آثروا أن يلتزموا الصمت فى هذا الباب إذا وردت عليهم واردات من قبيل الشطحات . فمصير الحلاج إذن كان أبلغ عبرة لهم فى هذا الباب .

---

(١) الشريف الجرجانى : « التعريفات » ، تحت مادة : شطح .

بالسر إن باحوا تُباح دماؤهم   وكذا دماء البائحين تُباح

وليس من المستبعد أن يكون الشبلى هو أول من نبه الصوفية إلى وجوب عدم الإباحة بهذه الأسرار ، لأنه — وقد كان صديق الحلاج الحميمَ ، وشاهد مصيره فأثر فى نفسه أبلغ تأثير وأعمقه — آثر ، طمعاً فى السلامة، أن يدخل هذه الفكرة و يدعو هذه الدعوة . ومن هنا يذكر المؤرخون عن الشبلى هذه الكلمات التى تعبر عن هذا المعنى تمام التعبير . قال الشِّبلى : « أنا والحلاج فى شىء واحدٍ ، فخلصنى جنونى وأهلكه عقله[١] .»وفى هذا القول الغريب نرى الشبلى يعترف عن نفسه بجبنه ، فجنونه هو جبنه عن التصريح بما شاهد وعاين ، وما لقنه إياه الحق ؛ وعقل الحلاج هو إذاعته ما كاشفه به الحق فى تجليه عليه . وفى العبارة ، فضلاً عن ذلك ، مفارقة ظاهرة قد توهم السخرية والتهكم ؛ لكنه فى الواقع قد أراد هذا المعنى بظاهر حروف ألفاظه . وقال أيضاً : « كنتُ أنا والحسينَ بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهرَ وكتمتُ[٢] » .

على أن هذا كله لا يدل مطلقاً على أن الصوفية كلهم قد أخذوا بدعوة الشبلى هذه . إنما كل ما نريد أن نقوله هو أنه لعل الشبلى هو أول من تنبه إلى وجوب عدم إذاعة هذه الكلمات . و إلا فالمتأخرون عنه قد أوفوا على السابقين فى هذا الباب ، و إن اتسمت عباراتهم بالتصنع مما يدل على الرغبة فى التقليد وعلى عدم الإخلاص فى صدورها عنهم كما هى الحال بالنسبة إلى الجيلانى والرفاعى .

إنما كان الصوفية — إلى ما قبل الحلاج — ينطقون بالكلمات الشطحية فى غير تحرُّج ولا تحرُّز ، لأنه لم يكن للسلطان الخارجى بعدُ تأثيرٌ عليها . أما منذ قضية الحلاج فقد بدأ الصوفية يتبينون ما سيترتب على أقوالهم من نتائج عملية لا بد لمن يؤثر العافية منهم أن يحسب لها ألف حساب . ولعل هذا يسمح لنا بتأريخ تفسير الجنيد (المتوفى سنة ٢٩٨هـ = سنة ٩١٠م) لشطحيات أبى يزيد البسطامى ، وهو التفسير الذى أورد لنا صاحب « اللمع » طرفاً منه[٣] .

(١) ماسينيون : « مجموع نصوص لم تنشر خاصة بالصوفية المسلمين » ، ص ٧٩ . باريس سنة ١٩٢٩ .
(٢) الموضع نفسه .
(٣) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٣٨٤ — ص ٣٨٩ .

فأقوال الحلاج قد بدأت تشغل الرأى العام حوالى سنة ٢٩٠ هـ ، وإن كانت القضية لم تتخذ صورة رسمية إلا سنة ٣٠١ هـ (— سنة ٩١٣ م) ، لكن كان مصيره معروفاً مقدماً . لهذا نظن أن الجنيد قد اندفع فى ذلك الحين إلى تفسير شطحيات أبى يزيد حتى يبرئ أبا يزيد لأنه كان من المعجبين به ، بحيث يمكن تأريخ تفسير الجنيد هذا بالفترة مابين ٢٩٠ إلى ٢٩٨ ، وبخاصة فى سنواتها الأخيرة لما أن اشتعلت مسألة الحلاج اشتعالا كافياً .

وإذن فقضية الحلاج هى التى أثارت مشكلة الشطحيات إثارة قوية عنيفة نجد أصداءها المفصلة فى كتاب « اللمع » ، الذى كان قريب عهد بها ، لهذا كرَّس للشطح والشطحيات فصولاً طوالاً ، فيها دافع عنها . وما كان له أن يدافع بهذه الحرارة إلا لأنه كان حديث عهدٍ بالجو الملتهب الذى أثارته بمناسبة قضية الحلاج . ويظهر أن المشكلة قد خبا أوارها فى الربع الأخير من القرن الرابع ، أو هذا على الأقل هو ما يمكن أن يستخلص من صمت أبى بكر الكلاباذى (المتوفى سنة ٣٨٠ أو ٣٩٠ هـ) فى كتابه « التعرف » عن الشطحيات : ذكراً لها أو دفاعاً أو تبريراً . وقد يفيدنا هذا فى تأريخ كتاب « اللمع » (توفى السراج ٣٧٨ هـ) بأن نجعله أُلِّفَ فى حدود سنة ٣٥٠ هـ ، إن لم يكن قبل هذا .

— ٣ —

وهذا يقودنا إلى الحديث عن تاريخ الشطحيات . فنرى أن الصُّوَر الأولى لها نجدها عند ابن أدهم وعند رابعة العدوية ؛ ثم تتخذ أول صورة واضحة كل الوضوح عند أبى يزيد البِسطامى (المتوفى سنة ٢٦١ هـ = سنة ٨٧٥ م) ؛ ثم يفصل الحلاج القول فيها ، ويحللها تحليلا نفسياً موغلاً فى العمق ؛ والشبلى يشير إليها سراراً . « وبعد الشبلى تندر أحوال الشطح فى التصوف الإسلامى ، وينحدر مستواها . فالشطحيات المنسوبة إلى الجيلانى والرفاعى وابن عربى لا تكاد تبين إذا قورنت بشطحيات أسلافهم الكبار . وسَوْرة الكبرياء التى تستشف عند البسطامى والتُّسْتَرِى تقودهم إلى الإفصاح بعبارات صبيانية إلى درجة مؤسفة : « قدمى على عنق جميع الأولياء » ، « أنا عرش الله » ، الخ . وهم فى محاولتهم الاحتفاظ بالفارق بين العلو الإلهى ، الذى لا يمكن بلوغه ، وبين عباداتهم — ترضياً وخضوعاً

منهم للفقهاء — ، قد راحوا ينتقمون لأنفسهم بزيادة الغرور والكبرياء ، على الأقل بأن يجدوا أنفسهم فوق مستوى الآخرين[١] . »

تلك صورة إجمالية رسمها ماسينيون لتاريخ الشطحيات . فلنأخذ نحن في تفصيلها .

أما رابعة فالكلمات التي وردت إلينا عنها مما يندرج في باب الشطح لا تعد من الشطح إلا في معناه ؛ أما في صورته — أعني التحدث عن الله بضمير المتكلم — فليس لدينا من نوعه شيء . إنما هي أقوال ظاهرها مستشنع وباطنها مستقيم . وكلها تتعلق بالتوحيد والتجريد وزيادة المعنى الروحي أو وضعه مكان المعنى المادي فيما ورد به الشرع ؛ ولهذا هي أدخل في باب التجديفات منها في باب الشطحيات ؛ وهي عند خصومها من مكر الله الخفيّ بها .

فهي في سبيل تجريد الحجّ من معناه الحسّي قالت عن الكعبة لما حجّت — ولعل ذلك لآخر مرة — : «هذا الصنمُ المعبود في الأرض! وإنه ما وَلَجَه الله ولا خلا منه»[٢] .
وابن تيمية — بطريقته الحادّة الجافة — يرى أن هذا القول كذبٌ على رابعة ؛ ثم يأخذ في الرد عليه على أساس أن البيت العتيق « لا يعبده المسلمون ، ولكن يعبدون ربّ البيت بالطواف به والصلاة إليه » ؛ وأما أنه «ما ولجه الله ولا خلا منه» — فأما « ما ولج الله فيه — فكلام صحيح ؛ وأما قوله : « ما خلا منه » — فإن أراد أن ذاته حالّة فيه أو ما يشبه هذا المعنى فهو باطل ، وهو مناقض لقوله ما ولج فيه ؛ وإن أراد به أن الاتحاد ملازم له لم يتجدد له ولوجٌ ، ولم يزل غير حالٍّ فيه . فهذا مع أنه كفر وباطل يوجب أن لا يكون للبيت مزية على غيره من البيوت »[٣] . وتكذيب ابن تيمية لهذا القول على أساس أنه ليس لرابعة لم يُقَمْ على أساس تاريخي ، إنما على أساس عقلي هو استحالة نسبته إلى رابعة لأنها كانت عابدة مؤمنة ، وهو قول دالٌّ على الكفر . ولهذا لا يُعْتَدُّ هنا بقوله إن هذا القول كذبٌ على رابعة ، ما دام لم يَبْنِ ذلك على أسباب من الأسانيد التاريخية ؛

---

(١) ماسينيون : «بحث في أصول المصطلح الفني للصوفية المسلمين» ، ص٩٩ — ص١٠٠ . باريس سنة ١٩٢٢ .

(٢) ابن تيمية : «مجموعة الرسائل والمسائل» ، حـ ١ ص ٦٢ ، وص ٨٠ . القاهرة سنة ١٣٤١ .

(٣) الموضع السابق ، ص ٨١ .

والسبب العقلى الذى ذكره ينقضه ماينسب إليها من أقوال أخرى — كما ترى — تستوجب من ابن تيمية التكفير أيضاً .

وهى كذلك فى سبيل تجريد معنى العذاب الحسّى فى النار تصرخ قائلة : « يارب ! أما كان لك عقوبة ولا أدبٌ غيرُ النار ؟! »(١) فهى توجه نوعاً من اللوم إلى الله على أنه لجأ إلى هذه الوسيلة الحسية فى التعذيب ، وكانت تودّ لو أنه ارتفع بالعذاب إلى معنى روحى خالص ، مثل شقاء الضمير وما إليه . على أن لهجتها هنا خفيفة لو قيست بقولها الآخر الذى أورده المناوى(٢) فقال عن رابعة : « وسَمِعَتْ قارئاً يقرأ : « إن أصحاب الجنة اليوم فى شُغُل فاكهون » — فقالت : مساكين أهل الجنة ! فى شغل هم وأزواجهم ! » فالتفسير الشائع لقوله تعالى : « فاكهون » هو أنهم يفضون الأبكار اللواتى منحهم الله إياهن فى الجنة ؛ لهذا نفرت من هذا المعنى الحسى الشهوانى نفوراً شديداً فقالت تلك العبارة القاسية التى أزعجت رجلا مثل ابن عربى — على الرغم مما له مما يشابه هذا — فعاب عليها هذه المقالة وقال : « إنها ما عرفت ، وإنها المسكينة . فإنما شغلهم إنما هو بالله . قال : وهذا مكر الله الخفىّ بالعارفين فى تجريح الغير ببادى الرأى والتعريض فى حق نفوسهم . إنهم مُنَزَّهون عن ذلك »(٣) . وفى هذا نرى ابن عربى يسمى هذا بالمكر الخفى ، لا بالشطح . والحق أن هذه الأقوال وما إليها لا تنطبق عليها شروط الشطح بتمامها . لكنَّا نجد فيها مع ذلك صورةً أولية لما سيكون عليه الشطح الحقيقى من بعد .

إنما نجد الشطح الحقيقى لأول مرة عند أبى يزيد البَسطامى فى القرن الثالث للهجرة . فعنده يتخذ الصورة الأصلية لهذه الظاهرة ، أعنى التحدث بصيغة المتكلم . والأقوال التى تروى عنه فى هذا الباب مختلفة ، « لاختلاف الأوقات الجارية عليه فيها ، ولاختلاف المواطن المتداولة بما خص منها ، فكلٌ يحكى عنه ما ضبط من قوله ، ويؤدى ما سمع من تفصيل مواطنه » ، كما قال الجنيد(٤) الذى شرح طائفة من هذه الشطحات وحللها بحيث

(١) عبد الرؤف المناوى : « طبقات الأولياء » ، ورقة ١٠٥ ا ، مخطوط الظاهرية رقم ٤١٦٤ عام .
(٢) الموضع السابق ، ورقة ١٠٥ ب .
(٣) عبد الرؤف المناوى : « طبقات الأولياء » ، ورقة ١٠٦ ا . مخطوط الظاهرية بدمشق ، رقم ٤١٦٤ عام .
(٤) السراج : « اللمع » ، ص ٣٨٠ ، نشرة نيكلسون .

ينفى ما يوهمه ظاهرها ، إذ رأى أن الحال القصوى التى بلغها أبو يزيد قد أفضت به إلى التفوه بعبارات قل من يستطيع فهمها ويعرف معناها ويُدرك مستقاها ، ومن لم يسبر غورها يردُدها وينكرها . وأبو يزيد قد نطق بهذه المعانى التى « غرّقته على تارات من الغرَق كلُّ واحدٍ منها غيرُ صاحبها »[1] . ويلوح أن هذه الكلمات قد أحدثت فى التوّ ما كان ينتظر لها من ضجة شديدة : فاختلف الناس حولها مختصمين : ففريق أيدها على ظاهرها واتخذ منها سنداً لما يذهب هو إليه ، وفريق آخر اعتقد فى قائلها الكفر . والرأى عند الجنيد أن « الجميع قد غَلِطوا فيا ذهبوا إليه » ، سواء الذهاب إلى ما يوحى به ظاهر معناها من تأييد ، وإنكارُه .

ويحسن بنا أن نبدأ ببيان هذه الشطحات . أما ما أورده السراج فى «اللمع» فهو :

١ — « ذكر عن أبى يزيد أنه قال : رَفَعنى (أى الله) مرةً فأقامنى بين يديه وقال لى : يا أبا يزيد ! إن خلقى يحبُّون أن يروك . فقلتُ : زَيِّنى بواحدانيتك ، وألبِسنى أنانيتَك ، وارفعنى إلى أحديتك — حتى إذا رآنى خَلقُك قالوا : رأيناك — فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك »[2] .

٢ — « وقد حكى أيضاً عنه أنه قال : أولَ ما صِرتُ إلى وحدانيته ، فصرتُ طيراً جسمه من الأحَدية ، وجناحاه من الديمومية . فلم أزل أطير فى هواء الكيفية عشر سنين حتى صرتُ إلى هواء مثل ذلك مائةَ ألفِ ألفِ مرة . فلم أزل أطيرُ إلى أن صرتُ فى ميدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرة الأحدية — ثم وصف أرضَها وأصلها وفرعها وأعضاءها وثمارها ثم قال — : فنظرتُ فعلمتُ أن هذا كله خُدْعة »[3] .

٣ — « وقد ذكر عن أبى يزيد أيضاً أنه قال : أشرفتُ على ميدان الليسية . فما زلتُ أطير فيه عشر سنين حتى صرتُ مِنْ لَيْسَ فى لَيْسَ بليْسَ . ثم أشرفتُ على التضييع حتى ضِعْتُ فى الضَّياع ضياعاً ؛ وضِعْتُ فضِعْتُ عن التضييع بليس فى ليس فى ضَياعة

---

(١) الكتاب السابق ، ص ٣٨١ .
(٢) الكتاب السابق ، ص ٣٨٢ .
(٣) الكتاب السابق ، ص ٣٨٤ .

التضييع ؛ ثم أشرفتُ على التوحيد فى غيبوبة الخلق عن العارف ، وغيبوبة العارف عن الخلق »[١] .

٤ — « قال الشيخ رحمه الله (= أبو نصر السراج) : سمعتُ ابن سالم يقول فى مجلسه يوماً . فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد رحمه الله لأن فرعون قال : أنا ربكم الأعلى ، والرب يُسمَّى به المخلوقُ فيقال : ربُّ دارٍ وربُّ بيت ، وقال أبو يزيد رحمه الله : سُبْحانى ! سبحانى ! وسُبُّوح وسُبْحان اسمٌ من أسماء الله تعالى الذى لا يجوز أن يسمّى به غير الله تعالى »[٢] .

٥ — « وسمعتُ (= السّراج) ابنَ سالمٍ أيضاً وهو يحكى فى مجلسه عن أبى يزيد رحمه الله أنه قال : ضربتُ خيمتى بإزاء العرش — أو — عند العرش »[٣] .

٦ — « وكان (= ابن سالم) يقول أيضاً إن أبا يزيد — رحمه الله — اجتاز بمقبرة اليهود فقال : معذورون . ومرّ بمقبرة المسلمين فقال : مغرورون »[٣] .

ونضيف إليها ما ورد فى المصادر الأخرى :

٧ — (قال أبو يزيد يخاطب الله) : « كنتَ لى مرآةً فصرتُ أنا المرآة »[٤] .

٨ — «قال أبو يزيد : أشرف الحقُّ على أسرار العالم فشاهدها خاليةً منه ، غيرَ سرّى فإنه رأى منه مَلاءاً فخاطبنى معظّماً لى بأن قال : كل العالم عبيدى غيرك »[٤] .

٩ — « طاعتك لى يارب أعظم من طاعتى لك »[٥] .

١٠ — « بطشى أشد من بطشه بى »[٥] .

١١ — « تا الله إن لوائى أعظم من لواء محمد صلم : لوائى من نورٍ تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين »[٥] .

١٢ — « لأَنْ ترانى مرةً خيرٌ لك من أن ترى ربّك ألف مرة »[٥] .

---

(١) السراج : « اللمع » ، ص ٣٨٧ .
(٢) الكتاب السابق ، ص ٣٩٠ .
(٣) الكتاب السابق ، ص ٣٩١ .
(٤) أورده السهلجى ، انظر ماسينيون « مجموع نصوص » ... ص ٢٧ — ٢٩ .
(٥) عن السهلجى والشعرانى فى « لطائف المنن والأخلاق » ج ١ ، ص ١٢٥ — ص ١٢٦ ؛ انظر ماسينيون : « مجموع نصوص » ، ص ٢٩ .

١٣ — «سمعت عُمَىّ خادم أبي يزيد يقول: سمعت أبا يزيد يقول: سبحانى! ما أعظم شأنى! ثم قال: حَسْبى من نفسى حَسْبى!»[1].

١٤ — «من عرف الله صار للجنة ثواباً، وصارت الجنة عليه وبالا»[2].

١٥ — «الجنة هى الحجاب الأكبر، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه، فهو محجوب»[3].

١٦ — «إن آدم عليه السلام باع حضرة ربّه بلقمة ... لو شَفَّعنى الله فى الأولين والآخرين لم يكن ذلك عندى بكبير: غاية الأمر أنه شَفّعنى فى لقمة طين».

١٦، مكرراً: <وقيل له> «لو شفعك فى الخلق كلهم لم يكن كثيراً، فإنه شفاعة فى قطعة طين».

١٦، مكرراً: إلهى! <لو> تنفر عن رأس آدم إلى يوم القيامة غَفَرْتَ <عن> قبضة تراب؛ ولو تحرق من رأس آدم إلى يوم القيامة أحرقتَ قبضة تراب»[4].

١٧ — «جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال: ما هؤلاء حتى تعذّبهم؟ كُفٌّ! عظامٌ جَرَتْ عليهم القضايا. اعفُ عنهم!»[4].

١٨ — «عن الجنيد[5]. قال أبو يزيد: إلهى! إن كان فى سابق علمك أنك تعذّبُ أحداً من خلقك بالنار، فعظّم خلقى فيه (= أى فى النار) حتى لا يسع معى غيرى».

١٨، مكرراً: «ما النار؟! لأستندنّ إليها غداً وأقول: اجعلنى لأهلها فداءاً، أو لأبلعَنّها! — ما الجنة؟! لُعبة صبيان»[6].

١٩ — «إن لله خواصَّ من عباده لو حجبهم فى الجنة من رؤيته ساعةً استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار»[6].

٢٠ — سُئِل (عبدُ القادر الكيلانى) عن قول أبى يزيد: خُضْتُ بحراً وقف الأنبياء بساحله — ما معناه؟ أجاب: إن صَحّ عنه فمعناه: وقفوا بساحله لِيُعَبِّروا فيه من

(١) عن ابن الجوزي: «الناموس»، انظر ماسينيون، الموضع نفسه: ص ٣٠.
(٢) السهلجي، انظر ماسينيون، ص ٣٠.
(٣) عن السهلجى، «النور»، انظر ماسينيون: «مجموع نصوص غير منشورة»، ص ٣٠.
(٤) ماسينيون: المرجع السابق ص ٣٠ — ص ٣١.
(٥) يمكن أن يكون هذا من تفسير الجنيد لشطحات أبي يزيد.
(٦) انظر ماسينيون، المرجع نفسه ص ٣١ — ص ٣٢.

رأوا فيه أهلية العبور ويمنعوا من ليس فيه أهلية له ، وليدركوا مَنْ أشرف على الغرق ، كما يتأخر الأفضل ليشفع فى دخول الجنة ويدخل المفضول[(١)] . »

٢١ — « سمعتُ أبا يزيد البسطامى يقول : غَلِطْتُ فى ابتدائى فى أربعة أشياء : توهمتُ أنى أذكره وأعرفه وأحبُّه وأطلبه . فلما انتهيت رأيتُ ذكره سبق ذكرى ، ومعرفته سبقت معرفتى ، ومحبته أقدم من محبتى ، وطلبه لى أولاً حتى طلبته[(٢)] » .

٢٢ — « قال أبو يزيد : غبتُ عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتى عنه ذكرى إياه . فلما خَنَسْتُ عنه وجدته فى كل حالٍ حتى كأنه أنا[(٣)] » .

٢٣ — « قال أبو يزيد : طلقتُ الدنيا ثلاثاً ثلاثاً بتاتاً لا رجعة فيها ، وصرتُ إلى ربى وحدى ، فناديته بالاستغاثة : إلهى ! أدعوك دعاءً لم يبق له غيرك ! — فلما عرف صِدْقَ الدعاء من قلبى والإياسَ من نفسى كان أولُ ما ورد علىَّ من إجابة هـذا الدعاء أن أنسانى نفسى بالكلية ، ونَصَبَ الخلائق بين يدى مع إعراضى عنهم[(٤)] . »

٢٤ — « وقرئ عند أبى يزيد يوماً : «يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا»[(٥)] — ... فهاج ثم قال : من كان عنده (= الله) فلا يحتاج أن يحشر ، لأنه جليسه أبدا[(٦)] . »

تلك طائفة من أهم ما ورد لنا من شطحات أبى يزيد البسطامى . وقد حاول الجنيد والسراج والجيلانى وكثير ممن ردّدوها أو سئلوا عن معناها أن يؤوّلوها تأويلات كثيراً ما تخرج عن مقصود البسطامى الحقيقى ، رغبة منهم فى تبرئة الرجل مما تحمله معانيها — على الأقل فى ظاهرها — مما يمكن أن يؤخذ على أنه من الكفر . والجنيد فى تأويله لها كان أقرب إلى الاحتفاظ بالمعنى المقصود الحقيقى ، وإن كان تأويله لا يخلو أحياناً من تعسُّف طمعاً فى التماس العذر ؛ أما السرّاج فتأويلاته لها تباعد بين مقصود البسطامى وبين ما يذهب إليه هو فى تفسيره لها بحيث يَبرزُ ما فيها من تعسف شديد يفضى أحياناً إلى تشويه كل المعنى الذى

(١) مجموع مخطوط بالفاتيكان عربى برقم ١٢٤٢ ، ورقة ٣٣ ب — ١٣٤ .
(٢) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٤ ، القاهرة سنه ١٩٣٨ .
(٣) أبو نعيم : المرجع نفسه ، ج ١٠ ، ص ٣٥ .
(٤) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٦ ، القاهرة سنة ١٩٣٨ .
(٥) سورة « مريم » : آية ٨٨ .
(٦) « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٤١ .

أراده البسطامى . والسراج أذكى من أن لا يشعر بهذا التعسف ، لكنه لجأ إليه إمعاناً فى الدفاع عن أبى يزيد ضد هجمات ابن سالم (أبى الحسن أحمد المتوفى سنة ٣٥٠ هـ — سنة ٩٦٠ م) الذى قاد فى ذلك الحين حملة عنيفة ضد أبى يزيد البسطامى ، توكيداً لمذهبه المعروف بالسالمية ، وهو مذهب فيه مزيج من مذهب المعتزلة ومن القول بوحدة الوجود ، وهو لهذا مزيج من التصوف ومن علم الكلام ، وإنا لنرى منه صورة واضحة فى « قوت القلوب » لأبى طالب المكى ، تلميذ ابن سالم هذا . ويلوح أن خصومة ابن سالم كانت خصومة مذهبية خاصة فى داخل التصوف ، وآية ذلك أن السراج[1] فى مناظرته معه قد وجده لا ينكر أقوالاً لسهل بن عبد الله التُّسْتَرى (المتوفى سنة ٢٨٣ هـ — سنة ٨٩٦ م) تشبه أقوال أبى يزيد البسطامى . وإذاً فهجوم ابن سالم ومدرسته لم يكن هجوماً على ظاهرة الشطح فى نفسها . وعبد القادر الجيلانى يسلك نفس السبيل من التأويل البعيد إمعاناً فى تبرئة البسطامى من كل اتهام .

لهذا فليس على الباحث أن يأخذ بهذه التأويلات على أنها تفسير حقيق للمقصود من هذه الشطحات ، وإلا أخطأ فهم المقصود من هذه الظاهرة . إنما يجب أن تفهم بحسب مدلولها الواضح الذى يشف عنه اللفظ . ووفقاً لهذا نستطيع أن نميز فى شطحات أبى يزيد الملامح التالية :

فأبو يزيد رجل استُهلك فى شهود جلال الحق ، وذهل من رؤيته له عن رؤيته لنفسه ، وغلبه حال السكر فنطق بما أجراه المحبوب على لسانه . وما نطق به يرمى إلى :

١ — تجريد الأمور الدينية عن كل ما يشعر بالحس فيها ، كما هو الشأن عند رابعة ، وإلى هذا تضاف أقواله الخاصة بالجنة والنار (رقم ١٨) ، إذ يرى أنه لم يكن لله أن يلجأ إليهما فى الثواب والعقاب ، لأنهما من الحسية والمادية بحيث كان على الله أن يترفع عنهما . وإنه ليبالغ فى توكيد هذا المعنى أكثر من رابعة ، حين ينتقل من الجانب النقدى السلبى إلى الجانب الإيجابى ، أعنى أن يتطوع ليفدى بنفسه كل أولئك الذين يريد الله — أوسيكون من حظهم — أن يلقى بهم فى قاع الجحيم . ولهذا فهو يريد أن يبتلعها . وأما الجنة فهى عنده

---

(١) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٣٩٤ .

لُعبة صبيان ؛ وقصارى أمرها أن تكون مجالاً لرؤية الله . ماذا أقول ! كَلاّ بل معنى للجنة عنده إلا معاينة الله ، بحيث لو حجب الله خواص عباده من رؤيته وهم فى الجنة « لاستغاثوا بالخروج منها كما يستغيث أهلُ النار بالخروج من النار » (رقم ١٩) . وهو يرى أن الله ليس له أن يعذّب البشر . إذ، ما الإنسان ؟ عظامٌ جرى عليها قضاء الله ، فما ذنبها إن هى أخطأت ! إن الله خلق الخلق بغير علمهم وقلدهم أمانة من غير إرادتهم ، فإن لم يُعِنْهم فمن ذا الذى يعينهم[1] ! ما آدم إلا قطعة من تراب ؛ فماذا على الرب لو غفر لقبضة تراب ؟ ! وأى شَرفٍ فى أن يحرق قبضة تراب ؟ ! (رقم ١٦ مكرر ٢) . وهو يحكى عن نفسه (رقم ٢) أنه طاف بالجنة و بشجرة الأحدية فوجدها مجرد خُدْعة ؛ ولهـذا يرى فى نهاية الأمر أن كل الأخرويات ما هى إلا رموز لا يمكن أن تؤخذ بظاهرها ، بل يجب أن تجرّد عن معناها الحسّى كل التجريد . وفى هذا إنما يسير البسطامى فى الطريق الذى بدأته رابعة ، يسير فيه حتى النهاية . والتشابه بينهما واضح فى هـذا الباب ، حتى فى طريقة تفسير بعض الآيات واستنكار ظاهر مدلولها . فهى إذا كانت قد استنكرت أن يكون أهل الجنـة فى شغل فاكهين ، فهو يستنكر حشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، لأن هذا معناه أنهم سيحشرون بأجسادهم يوما ما ، أو أن حشر الأرواح سيتم فى يوم معـلوم ، وإنما أرواح المتقين تنعم بالحضرة أبدا ، فهم جلساء الحق على الدوام ، فكيف يقال إنهم سيحشرون للرحمن ذات يوم وفدا ![2] (رقم ٢٤)

٢ — وشعوره بما ارتفع إليه من سموّ فى معنى التنزيه والتوحيد يدفعه إلى الإحساس بأنه فوق جميع أولئك الذين قصّروا فى معانى التنزيه والتوحيد ، حتى الأنبياء ، لأنهم هم الآخرين قد تخلفوا عنه فى هذا التسامى الروحى الخالص . لهذا يقول إن لواءه أعظم من لواء محمد ، و بالتالى أعظم من ألوية بقية الأنبياء ، لأن محمداً سيد النبيين . إذ يرى أن لواء محمد لا يزال حسياً ، لأنه يتحدث عن الجنة والنار بالمعنى الحسى ولا يزال بعيداً عن التجريد الروحى المطلق ؛ أما لواؤه هو — أى نطاقه وأفقه — فمن نور وتحته الجن هم من النبيين ،

---

(١) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٤ س ١٣ . القاهرة سنة ١٩٣٨ .

(٢) راجع أيضاً رقم ١٤ ، ثم رقم ١٥ ففيهما توكيد لهذه المعانى إلى أبعد حد .

أى فى المرتبة العالية . ذلك أن أبا يزيد قد ضرب خيمته بإزاء العرش ، فهو إذن قد ارتفع فوق مقام الأنبياء أجمعين لأنه لحق بالملأ الأعلى . ولهـذا فإن شفاعته لن تقتصر على أمة دون أمة كما هى الحال بالنسبة إلى الأنبياء — إذ سيطلب كلٌّ منهم إلى الله أن يشفع له فى أمته وملته — وإنما ستمتد إلى الناس أجمعين . وأية غرابة فى ذلك ؟ ! ما الناس إلا لقمة طين ، فهل يكبر عنده أن يُشَفِّعه الله فى لقمة طين ؟ ! ولهذا قال له أحد أصحابه : «لو شفعك فى الخلق كلهم لم يكن كثيراً ، فإنه شفاعة فى قطعة طين » (رقم ١٦ مكررا[١]) .

٣ — أمّا وقد بلغ أبو يزيد هذه المرتبة التى تعلو فوق مقام الأنبياء ، فليثب الوثبة الأخيرة ليلحق بالألوهية نهائياً ، فيصير هو والله شيئاً واحداً : فبعد أن كان الله له مرآةً سيصير هو مرآة لله ، أى أنه بعد أن كان ينشد الله فالله هو الذى صار ينشده ويجد مثله الأعلى فيه (رقم ٧) .

وأبو يزيد يتدرج فى هذا المعنى فيقرر أولاً أن الحق قد أشرف على أسرار العالم فشاهدها خاليةً منه غير سرّه هو ، إذ رأى سرّ أبى يزيد مليئاً بالله فخاطبه معظما له : كل العالم عبيدى غيرَك . لقـد صار مساوياً له بعض المساواة أو كلها تقريباً . هنالك ، وقد خاطبه الحق بهذه العبارة ، تبين له أنه غلط فى ابتداء أمره فى أربعة أشياء : هى أنه توهم أنه يذكره ويعرفه ويحبه ويطلبه ؛ وها هو ذا يرى أن الله هو الذى سبق فذكره وعرفه وأحبه وطلبه . ومعنى هذا أن أبا يزيد كان منذ الأزل وكان الحق هو الذى يذكره ويعرفه ويحبه ويسعى إليه . فالعارف الحق هو الذى يدرك أنه منذ الأزل موجود والله يحبه ويطلبه . ويمكن أن نتبين فى هـذه العبارة آثار معانى الصلة بين الأب والابن فى المسيحية ، وكيف أن الأب يتعشق الابن منذ الأزل ويعرفه عن طريق الـكلمة ويسعى إلى التحقق فى الوجود العينى عن طريقه . فهو يطلبه ، أى يسعى للتحقق والتجسد بواسطته . على أن هذا تأويل قد يبدو مغالياً أو بعيداً ، ولم نذكره هنا لأننا نفترض وجوده فى ذهن أبى يزيد حين فاه بهذه العبارة ؛ وإنما لما يمكن أن يؤوّل به هذا المعنى تقريباً له من الذهن .

وهو إذا تغيّب حيناً عن الله ، وذلك بأن يذكره ولا يحضره ، فإنه بعد هذه الغيبة التى

---

(١) راجع أيضاً رقم ٢٠ .

تعد بمثابة امتحان لحقيقة ما أدركه من هوية بينه و بين الله — لا يجد إلا الله ، و بعبارة أخرى لا يجد إلا نفسه : يجده في كل حال حتى كأنه هو أبو يزيد نفسه : لم يتغير ولم يتبدل . (رقم ٢٢) . إذن فما تبين له صحيح قد دلّت عليه التجربة ، تجربة الغيبة عن الله ثلاثين سنة ، بالا كتفاء بذكره دون التلبس به والجلوس في حضرته . ومن هنا ازداد يقينا بأنه هو هو الله ، وأن الله هو هو أبو يزيد . لقد عَرَف ربُّه منه صدقَ دعائه ، وإياسَه من نفسه ، فأنساه إياها نهائياً ، وهو الذي دعا نفسه إلى الله فأبت عليه واستعصت فتركها ومضى إلى الله[1] ؛ ثم نصب الله الخلائق بين يديه بالرغم من أنه أعرض عنهم (رقم ٢٣) . وكان إعراضه لما أن غاب — وقد بلغ مرتبة العارف — عن الخلق ، وذلك حينما بلغ مرتبة التوحيد المطلق بعد أن جال طويلاً في ميدان الليسية ، وكان يطير فيه عشر سنين حتى صار من ليس في ليس بواسطة ليس : أى أنه ظل يجرد الله عن كل شيء ، أو يجرد كل شيء عن الله ، بأن ينصرف عن كل ما في الخلق ، فيرى فيه مجرد عدمٍ — ليس — ، إلى أن دخل في مقام ليس فيه ثمت إلا وجه الله ، ولا إله إلا الله (رقم ٣) . ✓

٤ — لكن الوقوف عند ليس وفي ميدان الليسية ليس من شأن العارفين الكُمّل ، لأنه ميدان السلب ، والليلة الظلماء ؛ وعليه إذن أن ينتقل إلى ميدان الأيسية ، إلى الإيجاب المطلق للحق . لقد نصب الله الخلائق بين يدى أبي يزيد ، وها هي ذي تتحرق إلى رؤياه في هذا المقام . رفعه الله فأقامه « بين يديه وقال له : يا أبا يزيد ! إن خلقي يحبُّون أن يروك » ؛ لكن لكى يمكنهم أن يروه كان عليه أن يطلب إلى الله أن يزين أبا يزيد بوحدانية الله ويلبسه أنانيته : « ارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقُك قالوا رأيناك — فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك » (رقم ١) : أى أنه يلتمس من الله أن يخلع عليه ثوب الألوهية ويطلق لسانه عن نفسه فيتحدث بصيغة المتكلم ، ويتحد بالله نهائياً ، بحيث تكون الإشارة إليه وإلى الله واحدة ، فيفنى هو عن نفسه بالكلية ، ولا يكون ثمت إلا الله ، فإذا رأوا أبا يزيد قالوا رأينا الله . وتلك هي اللحظة العليا في السكر الذى عاناه أبو يزيد ؛ وإن في هذا الرجاء والدعاء لخيرَ تعبير عما يقع إبان حال السكر بين العبد والرب :

---

(١) أبو نعيم : « حلية الأولياء » ، ج ١٠ ، ص ٣٦ س ، ٢٢ — س ٢٣ .

ففيها حوار يطلب فيه العبد إلى الرب أن يخلع عليه صفة الربوبية فيستبدل دوره بدوره .

ولقد أجابه الرب إلى طِلْبته هذه وزيادة ! فصرخ هذه الصرخة القوية الرهيبة لما أن خلع عليه الحقُّ رداء الربوبية : سبحانى ! ما أعظم شأنى ! (رقم ٤ ، ورقم ١٣) . وأى شأن أعظم من أن يبلغ مرتبة الألوهية ويتحقق له الاتحاد التامّ بالحق ! لقد كان هذا أقصى ما يسعى إليه ، فما أعظم شأنه إذن وقد بلغ الغاية وتحقق بالنهاية !

٥ — بيد أنه يلوح أن أبا يزيد — وقد سكر بنشوة هذه المكاشفة فى تلك اللحظة العالية الرهيبة — قد خرج عن طوره ، فسما إلى ما فوق مقام الألوهية نفسها ، فصاح بهذه العبارات الهائلة : « طاعتك لى يارب أعظم من طاعتى لك » (رقم ٩) ؛ « بطشى به أشد من بطشه بى » (رقم ١٠) ، ثم يرتفع بهذه اللهجة الجريشة الجديدة إلى ذروة الحِدّة حينما يقول : « لَأَن ترانى خيرٌ لك من أن ترى ربّك ألف مرة » . (رقم ١٢) . ومن الواضح أنه لم يقصد بهذه العبارة الأخيرة ما يفهمه الناس من فضل التجسُّد ، بمعنى أنه — وهو المتجسّد عينياً — أقرب إلى نفوس الناس من الحق لأنه مجرد عقلى بعيد فيكون أبعد عن الأفهام ، فتكون رؤية الأقرب خيراً من رؤية الأبعد — كما يمكن أن تؤول به فكرة التجسد فى المسيحية . كلا ! هو لم يقصد إلى شىء من هذا ؛ إنما هو فى حال سكر أخرجه عن طوره فحسِب نفسه أعلى مقاماً من الحق نفسه ؛ وموقفه هذا مفهوم من الناحية النفسية ، إذ أن المكاشفة بهذه الحقيقة العظمى ، حقيقة الاتحاد الكامل بالله ، كان لها من التأثير الهائل فى نفسه ما جعله يتطرف إلى أبعد حد ، كما هو المشاهد فى كل الأحوال التى من هذا القبيل : يندفع المرء إلى الشعور بأعلى من الواقع بألف مرة لذهوله من شدة المفاجأة وجلالة المفاجَأ به . وعلى هذا فإن هذه الأقوال الأخيرة نفسها صادقة فى تعبيرها عن الحال النفسيةَ التى امتلأ بها آنذاك ، بمعنى أن لها مُناظراً فعلاً من مشاعره وقد بلغت ذروة حدّتها ، فليس لنا أن نتهمه إذاً بعدم الصدق فيها من الناحية الشعورية . فما دامت الأحوال الصوفية مشاعر نفسانية كلها ، فأى عجبٍ بعد هذا فى أن ينطق أبو يزيد بهذه العبارات ويكون فيها صادقاً فى الترجمة عن حاله ! ولا عبرة عند الباحث فى التصوف إلا بهذا الجانب النفسى . ولهذا فأمثال هذه الكلمات لا تقل قيمة فى الدلالة النفسية الصوفية عن غيرها مما يبدو فى

عرف الناس معقولاً مقبولاً . كلُّ ما فى الأمر أن :

. . . . بعضهم به جاوزَ الإسكارُ حدًّا فعربَدَ

— ٤ —

ولا شك فى أن البسطامى قد بلغ الذروة فى التعبير عن حال الشطح . فماذا كان رأى معاصريه من الصوفية فى هذا ؟ أكانوا يعدُّون الشطح درجة عالية ؟

هنا نجد رأيين متشابهين لكبيرين من الصوفية فى عهده هما الجنيد والشبلى . وقد أشرنا من قبل إلى عناية الجنيد بتفسير شطحيات أبى يزيد ، نظراً للحملة الشديدة التى أثيرت فى ذلك الحين على ظاهرة الشطح بمناسبة شطحات الحلاج . والجنيد كان ممن يُبغضون الحلاج . لهذا نفترض أن السر فى قيامه بتفسير شطحيات أبى يزيد هو أنه أنكر على الحلاج شطحياته ؛ فردَّ عليه الحلاج بأن نبهه إلى شطحيات أبى يزيد وهى تفوق شطحيات الحلاج ؛ فكيف ينكر هذا على الحلاج دون أبى يزيد ؟ ! هنالك اضطر الجنيد إلى تأويل شطحيات أبى يزيد على النحو الذى نعرفه مما أورده لنا السّراج فى « اللمَع[١] » . لكن لا بد أن يكون الحلاج قد كشف للجنيد عما فى هذا التأويل من تعسف شديد ومجافاة لمقصد أبى يزيد . لذا اضطر الجنيد تحت إلحاح هذا الإحراج أن ينتقص من قدر أبى يزيد فيقول : « إن أبا يزيد — رحمه الله — مع عِظَم حاله وعُلُوّ شأنه لم يخرج من حال البداية ، ولم أسمع منه كلمة تدل على الكمال والنهاية »[٢] . والسّراج ينسب هذا الرأى إلى الكبرياء والحسد اللذين يقعا بين أهل المرتبة الواحدة ، إذ يرى كل منهم « أن حاله أعلى الأحوال ، وذلك غيرةً من الحق عليهم حتى لا يسكن بعضهم إلى بعض » ، و بتعبيره هذا المهذّب يُرجع رأى الجنيد فى البسطامى إلى المنافسة والمسابقة فى السلوك إلى الحق ، ومن هنا ينكر الواحد على الآخر حاله ناعياً عليه التقصير . وقد يكون السّراج على حق فى هذا التفسير ، لكن ما افترضناه من أن يكون السبب فى انتقاص الجنيد من قدر أبى يزيد هو ما وقع فيه الجنيد

---

(١) ص ٣٨٠ — ٣٩٠ ، نشرة نيكلسون . ليدن ١٩١٤ .

(٢) السراج : « اللمع » ، ص ٣٩٧ س ٩ — س ١١ .

من حرج بسبب موقفه من شطحيات أبي يزيد — نقول إن هذا الفرض له أيضاً كل وجاهته .

أما الشبلى فقد ذرّف على الجنيد فى انتقاص قدر أبي يزيد من حيث شطحاته . « حُكى عن الشبلى رحمه الله أنه سُئل عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله وعُرضَ عليه ما حُكىَ عنه مما ذكرناه (أى الشطحيات التى أوردها السّراج والتى ذكرناها قبل تحت أرقام من ١ إلى ٦) وغير ذلك ، فقال الشبلى رحمه الله : لو كان أبو يزيد رحمه الله هاهنا لأسلم على يد بعض صبياننا »(١) . والسّرّاج يفسر هذا القول بمعنى أنه « يعنى : لاستفادَ من المريدين الذين هم فى وقتنا »(١) . ولعل السّرّاج يقصد من هذا أن التقدم السريع فى التصوف قد جعل المريد فى زمان الشبلى يعرف أكثر مما يعرفه البسطامى وهو الشيخ الكبير ، فإن بين وفاتيهما (توفى البسطامى سنة ٢٦١ هـ وتوفى أبو بكر الشبلى سنة ٣٣٤ هـ) ٧٣ سنة كانت كافية لإحداث هذا الفارق . لكن يلوح أن السّرّاج هنا — كما فى كل المواضع المماثلة — إنما يغتصب التفسير حرصاً على التوفيق أو تخفيفاً من حِدّة الأقوال . ولهذا فنحن نرى أن التفسير الحقيقى لموقف الشبلى هذا هو ما اتخذه من موقف التقيّة بعد أن شاهد بعينه مصير صديقه الحلاج ؛ فلعله حُمِل آنذاك على أن يبدى رأيه فى أمر البسطامى — وهو مشابه لأمر الحلاج — فاضطر — مداراةً ونفاقاً — إلى الانتقاص من مكانته على هذا النحو . ولا بد أن تكون قضية البسطامى قد أثيرت فى نفس الوقت هى وقضية الحلاج لتشابههما فى هذا الباب . فكان طبيعيا أن يُسألَ عن رأيه فى البسطامى ، وهو الذى طلب إليه يوم عذاب الحلاج أن يأتى فيعلن على رؤس الأشهاد لعنته لموقف الحلاج واستنكاره لآرائه(٢) . فلا بد أنه نطق بهذا الحكم فى ذلك الحين ، ويظهر هذا من قوله : « أسلَم » ، فهو يدل على أنه كان يُكفَّر فى هذا الوقت ، شأنه شأن الحلاج على السواء .

ونحن نرى من الواجب أن يميز فى حياة الشبلى وآرائه بين عهدين : الأول إلى ما قبل مصرع الحلاج ، والثانى ما بعد مصرعه أو حواليه : فى الأول كان جريئاً يطلق

---

(١) السراج : « اللمع » ، ص ٣٩٢ .

(٢) راجع ذلك فى : ماسينيون ، « مجموع نصوص غير منشورة خاصة بالتصوف » . باريس ، سنة ١٩٢٩ .

الكلمات الغريبة في غير ما تحرّج ، وفي الثاني دارَى وداور وأعلن ما يشبه التوبة ؛ وإلى الأول تنسب الأقوال الشطحية التي وردت إلينا عنه ، وإلى الثاني تلك الأقوال التي تشع منها السُّنيَّة ، لكن في غير إخلاص حقيق .

ولقد أدرج السَّرَّاج طائفة من الأقوال التي تنتسب إلى ذلك العهد الأول الحرّ ، نذكر منها :

١ — «سمعت أبا عبدالله بن جابان يقول : دخلتُ [٣٩٦] على الشبلي رحمه الله في سنة القحط فسلَّمتُ عليه ، فلما قمتُ على أن أخرج من عنده [فـ] [1] كان يقول لي ولمن معي إلى أن خرجنا من الدار : مُرُّوا ! أنا معكم ، حيثما كنتم أنتم في رعايتي وفي كلايتي» [2] .

٢ — «... عن الشبلي رحمه الله أنه أخذ من يد إنسان كِسْرَةَ خبز فأكلها ثم قال : إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز ؛ ولو التفت سرّي إلى العرش والكرسي لاحترق — أو كما قال» [3] .

٣ — «قال بعضهم : وقفتُ على الشبلي ، رحمه الله ، فسمعته يقول : «أمر الله تعالى الأرضَ أن تبتلعني إن كان فيَّ فضلٌ منذ شهر أو شهرين لذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام» .

«وسمعت الحُصْري يقول : كان الشبلي ، رحمه الله ، يقول لي : إن مرّ بخاطرك ذكر جبريل وميكائيل عليهما السلام أشركتَ» [4] .

٤ — «حكى عن الشبلي ، رحمه الله ، أنه قال يوما لأصحابه : يا قوم ! أمُرُّ إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء ؛ وأمُرُّ يميناً وشمالا إلى مالا وراء فلا أرى إلا وراء ؛ ثم أرجع فأرى هذا كله في شَعْرَةٍ من خِنْصَري [5] » .

٥ — «وحكى عنه أنه قال : إن قلت كذا فالله ، وإن قلت كذا فالله ؛ وإنما (في نسخة : فأنا) أتمنّى منه ذرة» [6] .

---

(١) في المطبوع ، ونقترح حذفها .
(٢) «اللمع» : ٣٩٥ — ص ٣٩٦ .
(٣) ص ٣٩٧ س ١ — س ٣ .
(٤) ص ٣٩٨ س ٤ — س ٨ .
(٥) ص ٤٠٢ س — ١٣ س ١٦ .
(٦) ص ٤٠٣ س ٧ — س ٨ .

٦ — ا : « وكان الشبلى رحمه الله يقول : ألف عام ماضية فى ألف عام واردة — هو ذا الوقت ، ولا تغرنكم الأشباح » ؛

ب : « وكان يقول : أنتم أوقاتكم مقطوعة ، ووقتى ليس له طرَفان » ؛

حـ : « وربما كان يشطح ويقول : أنا الوقت ؛ ووقتى عزيز ؛ وليس فى الوقت غيرى ؛ وأنا مَحقٌ . وكان ينشد هذين البيتين :

مَكينٌ فى مُعامِلِه مكينُ   أمينُ الحق آمِنه أمين

تعازَزَ عِزه فاعتز عِزًّا   فقد فات اليقينُ من اليقين »[١]

٧ — « وربما كان يقول : نظرتُ فى كل عزّ ، فزاد عِزّى عليهم ، ورأيت عِزّهم ذلك فى عِزّى . ثم كان يتلو فى إثره : « من كان يريد العزّة فلله العِزّة جميعاً »[٢]. ثم يقول :

من اعتزّ بذى العِزّ   فذو العز له عزُّ »[٣] .

٨ — « وحكى عن الشبلى أنه قال أيضاً : اللهم إن كنت تعلم أن فىّ بقية لغيرك ، فأحرقنى بنارك ، لا إله إلا أنت[٤] » .

٩ — « وذُكِر عن الشبلى رحمه الله أنه كان يقول : لو خطَر ببالى أن الجحيم بنيرانها وسعيرها تحرق منى شعرة لكنت مُشرِكا — أو كما قال[٥] » .

١٠ — « قال : « أيش أعمل بلظَى وسَقَر ؟! عندى أن لظَى وسقر فيها تسكُن » — يعنى فى القطيعة والإعراض ، لأن من عَذّبه الله بالقطيعة فهو أشد عذابا ممن عَذّبه بلظى وسقر[٦] » .

١١ — « وذُكر عنه أنه سمع قارئا يقرأ هذه الآية : « اخسأوا فيها ولا تُكلّمونِ[٧] » فقال الشبلى : ليتنى كنتُ واحداً منهم ![٨] » .

---

(١) س ٤٠٤ — س ٤٠٥ س ٢١ — س ٥ .
(٢) سورة الملائكة ٣٥ : ١١ .
(٣) « اللمع » : س ٤٠٥ س ٦ — س ٩ .
(٤) « اللمع » : س ٤٠٥ س ٢٠ — ٢١ .
(٥) س ٤٠٦ س ٧ — ٨ .   (٦) س ٤٠٦ س ١١ — س ١٣ .
(٧) سورة « المؤمنين » : ١١٠ .   (٨) س ٤٠٦ س ١٣ — س ١٤ .

١٣ — «وذكر عنه أيضاً أنه قال في مجلسه : إن لله عباداً لو بزقوا على جهنّم لأطفأوها — فصعب ذلك على جماعة ممن كان يسمع ذلك[١]» .

وعن غير السراج :

١٤ — « والله لا رَضِيَ محمد صلعم وفي النار من أمته أحد ؛ إن محمداً يشفع في أمته ، وأنا أشفع بعده حتى لا يبقى فيها أحد[٢]» .

١٥ — « أنا أقول وأنا أسمع ، فهل في الدارين غيري ![٣]»

١٦ — « أنا النقطة التي تحت الباء[٣]» .

١٧ — (قيل للشبلي) : « لم تقول : « الله » ، ولا تقول : « لا إله إلا الله » ؟ — < فقال > أستحيي أن أوجّه إثباتاً بعد نفي ... أخشى أن أؤخذ في كلمة الجحود ولا أصل إلى كلمة الإقرار[٤]» .

١٨ — « قال مولانا الشيخ أبو بكر الشبلي — قُدِّس سرُّه — : لو دَبَّت نملةٌ سوداء على صخرة صمّاء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو لم أعلم بها ، لقلتُ : إنه ممكورٌ بي[٥]» .

تلك من أهم ما ورد لنا من أقوال للشبلي قد تدخل في باب الشطحيات ؛ وتكاد تندمج في نفس الأبواب التي تدخل فيها أقوال البسطامي . فالتجريد ظاهر في حديثه عن الجحيم ، وهو يرى أنها لا يمكن أن تؤثر فيه ، فلن تحرق منه شعرة . وتفسير ذلك أن كل شيء من الله ، فلو جعلنا للنار هذه القوة للاحراق لأشركنا مع الله شيئاً آخر . وهو لا يرى النار (لظى وسقر) إلا في القطيعة ، أو إعراض الله عنه ، فهذا هو الجحيم الحقيقي بالنسبة إلى العابد ، كما قال السّراج . وعدم احتفاله بالنار بجملة يطلب أن يُلقَىٰ به فيها . ذلك لأن عباد الله الصّدّيقين لو بزقوا على جهنّم لأطفأوها ، فماذا يهمهم إذاً من أمرها ! وكل هذه العبارات إنما قصد بها إلى تجريد النار من كل معنى حسي ، وردّها إلى المعاني الباطنة العالية

(١) « اللمع » ، ص ٤٠٦ س ١٦ — س ١٨ .

(٢) ابن الجوزي : « الناموس » ، ص ٣٨٦ ؛ أورده ماسينيون في « مجموع نصوص غير منشورة » ، ص ٧٨ .

(٣) عن الكلاباذي ، راجع ماسينيون : المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

(٤) عن ابن الجوزي : « الناموس » ، راجع ماسينيون ، « مجموع نصوص » ، ص ٧٩ .

(٥) مجموع مخطوط بالفاتيكان عربي رقم ١٢٤٢ ، ورقة ٥١ ب — ١٥٢ .

التى لا يمازجها شىء من الحسية . وهو بهذا إذن إنما يتابع نفس التيار الذى بدأته رابعة العدوية وأفضى به إلى ذروته أبو يزيد البسطامى . (أرقام ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) .

وهو قد انصرف إلى الله بكليته ، فلم يعد لغيره لديه وزن ، حتى الملائكة وعلى رأسهم جبريل وميكائيل (رقم ٣) . فإذا كان الملائكة أفضل من الأنبياء — لأن هؤلاء بشر ، وأولئك عقول وأرواح نورانية لا يلابسها شىء من المادة — ، فهو إذن قد انصرف عن الأنبياء وارتفع فوق نطاق ما أتوا به . وهو ما رأيناه كذلك عند أبى يزيد . فالاتجاه يسير نحو الارتفاع فوق مستوى النبوة ، بوصف الولاية أعلى منها درجة بكثير ، إذ فى النبوة لا يزال اللاهوت مأسوراً فى رِبقة الناسوت ، أما فى الولاية حينما تبلغ نهاية الطريق ، فإن الناسوت قد رفع ولم يبق ثَمّ غير اللاهوت . ولعل هذا النزوع إلى الارتفاع فوق طور النبوة كان الدافع الأكبر والفكرة الموجّهة البارزة عند الصوفية فى أعماق نواياهم وأغراضهم .

وها هو ذا الشبلى يبدأ تجربة اتحاده بأن يرى التَّسوية فى كل شىء : فاللاوراء هو الوراء ، أى اللانهاية هى النهاية ؛ وكلتاهما معاً فى شَعْرَة من خِنصَره (رقم ٤) ، أى أن كل شىء مهما ضؤل هو بُضْعة من اللانهاية ، حتى أصغر ذرة ، وفى هذا نجد بذور وحدة الوجود . وهو يتابع هذا المعنى حينما يرى أن كل شئ هو الله ، أى أن الله هو الكل فى الكل (رقم ٥) .

فلما شعر بأول درجة من درجات الاتحاد نظر فى كل عز ، فوجد أن عزّه يزيد عليهم ، ورأى عزهم فى عزه ؛ فإذا كانت العزة لله جميعاً ، فهو قد اتحد مع الله حتى صارت عزة الناس من عزته هو (رقم ٧) . ولهذا صار ينظر إلى نفسه على أنها منبع العز ؛ فلماذا لا يقول إنه أينما كان الناس فهم فى رعايته وفى كلايته ؟ (رقم ١)

وإبان هذا الدور كان لا يزال يشعر بالثنائية بين نفسه وسرّه : فنفسه تشارك فى الدنيا بالمقدار الزهيد الذى تشارك به ؛ ولكن سرّه لو التفت إلى العرش والكرسى لاحترق ؛ ذلك أن العرش والكرسى كليهما مُحْدَث ، أما سرّه فقديم أزلي ، فهو أعلى من عرش الله وكرسيّه بحيث لو التفت إلى أحدهما لاحترق من جلاله (رقم ٢) .

لكنه يبلغ أعلى مراتب هذا الوجد حينما يقول : « أنا الوقت » ، « وليس فى الوقت

غيرى » ، « وأنا محق » — فهنا نجد العبارات الشطحية بالمعنى الحقيق وفى صورتها القانونية : أى بصيغة ضمير المتكلم . ولعله يستعمل هنا كلمة الوقت بمعنى الدهر ، ويفرّق بينه و بين الزمان : فالأول هو ألف عام ماضية فى ألف عام واردة ، وهو إنما يقصد بذلك أنه لا أول له ولا آخر (رقم ١٦) ، أما الزمان و يسميه هو بالوقت المقطوع فله طرفان : بداية ونهاية (٦ ب) . وهذا يدلنا على أول تأثيرات الفلسفة الأفلوطينية لما أن بدأ أمثال كتاب « أثولوجيا » المنسوب إلى أرسطو يؤثر فى الصوفية .

وفى سبيل هذا التوحيد والاتحاد مرّ بفترتين : إيجابية وسلبية . فمرّ أولاً بهذه الأخيرة حين بدأ يجرد الأشياء عن الله قليلاً قليلاً مرتفعاً من الدنيا — التى قال عنها : «لو كانت الدنيا لقمةً فى فم طفل لرَحِمْنا ذلك الطفـل » ، وقال أيضاً : « وددتُ أن لو كانت الدنيا لقمة والآخرة لقمة أجعلهما فى فمى حتى أترك هذا الخلق بلا واسطة »[1] — حتى الأنبياء ؛ مارًّا بالملائكة ، متجاوزاً إياهم حتى يلحق بالجناب الأعلى ، إلى حيث لاتبقى فيه بقية لغير الله . وخلال هذا كله كان شعاره : لا إله إلا الله .

لكن هذا سلبٌ ، وهو يريد أن يتحد إيجاباً ؛ لهذا انصرف عن هذه الصيغة السلبية ، فصار يقول « الله » فقط ، ولا يقول « لا إله إلا الله » لأنه استحيا أن يُوجِّه إثباتاً بعد نفى ، ويخشى أن يؤخذ فى كلمة الجحود ، ولا يصل إلى كلمة الإقرار (رقم ١٧) . والواصل حقا هو من يتجاوز نطاق السلوب — لأنه ينطوى على العدم — ، إلى نطاق الإيجاب ، حيث لا يوجد ثمّ إلا الوجود الخالى من كل عدم ، وهذا الوجود هو هو الله ؛ هنالك يحظى بالاتحاد الحق .

فلما حظى به صار كل شىء ينتسب اليه ، فليس ثمت غيره هو : « أنا أقول وأنا أسمع ، فهل فى الدارين غيرى ؟ ! » (رقم ١٥) . ولن يغرب عن علمه بعدُ مثقالُ ذرة ، حتى إنه «لو دبّت نملة سوداء ، على صخرة صماء ، فى ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو لم أعلم بها ، لقلتُ : إنه مكورٌ بى » (رقم ١٨) ؛ و إذن فهو من وراء كل شىء محيط !

ولعل أعلى ماصاح به فى هذا المقام قوله : « أنا النقطة التى تحت الباء » — والباء هنا

---

(١) أبو نصر السراج : « اللمع » ، ص ٤٠٠ س ٨ ، ص ١٠ — س ١١ .

قد تفهم بمعنى الحرف المعروف مفرداً ، أو فى كلمة « بسم الله » ؛ والمعنى المراد على كل حال هو أنه قوام كل شىء ؛ فكما أن الباء قِوامها بهذه النقطة التى تحتها ، كذلك الوجود كله إنما قيامه وجوهره بواسطة الشبلى . وهى عبارة تذكرنا على نحوٍ غريب بالخطبة المشهورة المنسوبة إلى الإمام على والتى وصف فيها نفسه مستعملاً ضمير المتكلم وأولها : « أنا سرّ الأسرار ، أنا شجرة الأنوار . . أنا سائق الرعد . . أنا جُنَّة الغزاة ، أنا كاسى العراة » (١) .

وهو فى أمر الشفاعة يتخذ نفس الموقف الذى اتخذه البسطامى : فهو سيشفع لبقية الأمم التى لن يشفع لها الأنبياء ؛ ولعل هذا لشعوره بعلو مكانته عليهم : فرغبته فى الرحمة واسعة بحيث لن يبقى فى النار أحد (رقم ١٤) .

ومن هذا الاستعراض لأقوال الشبلى هاتيك يتبين لنا أنه لا جديد فيها على ما أتى به البسطامى . بل هى تدل على تقهقر ظاهر عن موقفه . والحق أن البسطامى قد أوفى على الغاية فى باب الشطحيات ، بحيث كان الذين تلوه مجرد مرددين لأقواله ؛ ولا نكاد نجد لديهم باباً جديداً أو توجيهاً خاصاً . والحق أنهم صاروا جميعاً كلاًّ عليه . والحلاج نفسه ، بالرغم من علوّ شأنه ، لم يكد يتجاوز الموضوعات thèmes عينها التى طرقها البسطامى ؛ بل هو أحياناً ينخنس عنه ، و يتخلف عن جرأته ؛ ولسنا نعزو هذا التخلف إلى طبع الحلاج بقدر ما نعزوه إلى الظروف الأليمة التى أحاطت به فأوقفته عند حدّ ما نظن أنه كان سيقف عنده لو ترك وشأنه ينطلق فى التعبير بحرية عن أحوال وجده ، كما هو الشأن بالنسبة إلى أبى يزيد ، إن صحّ كل ما ورد لنا عنه من أقوال .

لهذا نرى أن كل أخلاف أبى يزيد إنما نسجوا على منواله ؛ وأقوالهم يمكن أن تندرج فى نفس الأبواب التى ابتدعها وأطلق فيها القول . فكان فى الواقع أجرأ من عرفنا من الصوفية ؛ وكل هذا فى إخلاص وحرارة إيمان ، من غير تصنع ولا دلال كما هو الشأن عند ابن عربى وجلال الدين الرومى .

---

(١) مخطوط باريس رقم ٢٦٦١ ، ورقة ٢١ ب — ٢٤ أ .

النور من كلمات أبى طيفور

نص غير منشور فى مناقب وشطحات أبى يزيد البسطامى

ينسب إلى السَّهلَجى

تصدير

- ١ -

هذا كتاب «النور من كلمات أبي طيفور»، أوردناه عن المخطوط رقم ٢٧٨٤ بمكتبة الأوقاف ببغداد ثم عن مخطوط خاص للأستاذ ماسينيون، منقول عن تكية المولوية بحلب. ولم يرد ذكر لاسم المؤلف فى المخطوطتين؛ كذلك لم يذكر حاجى خليفة لهذا الكتاب مؤلفاً، بل كل ما أورده هو: «كتاب النور فى مناقب أبي زيد (كذا) البسطامى»[(١)] . وهو يورد فى موضع آخر (ج ٦ ص ١٥٢، تحت رقم ١٣٠٢٢) كتاباً آخر بعنوان: «مناقب بايزيد البسطامى، ليوسف بن محمد، فارسى». ومن الأسف الشديد أنه لم يورد أوائل هذين الكتابين حتى نتبين ما المقصود منهما بكتابنا هذا، لأنه يرد فى أول كتابنا هذا عنوان له هو: «كتاب مناقب سيدنا أبا يزيد البسطامى رحمه الله، ونفع المسلمين من بركاته»؛ فقد يوهم هذا أن كتابنا هنا هو «كتاب مناقب بايزيد البسطامى ليوسف بن محمد، فارسى»، لكن من الواضح أن هذا العنوان إن هو إلا من وضع الناسخ، بدليل أن الاسم الوارد فى الخاتمة هو: «النور من كلمات أبي طيفور»، فلا بد أن يكون الناسخ قد نقل آخر المخطوط كما هو، فيكون هذا هو الاسم الصحيح. وفضلا عن هذا فإن قوله: «يوسف بن محمد، فارسى» يمكن أن يفسر على أساس أن الكتاب المذكور هو باللغة الفارسية، كما لوحظ ذلك فى النشرة الجديدة باستانبول. فقد ورد فيها: «مناقب البسطامى — ليوسف بن محمد، وهو كتاب فارسى» (ج ٢، ص ١٨٤١)، وإن كان ثمت مع ذلك شك ليس بالهين فى هذا التفسير لكلمة: «فارسى»، لأن من عادة حاجى خليفة ألا يضع كلمة «فارسى» (للدلالة على أن الكتاب باللغة الفارسية) إلا بعد اسم الكتاب مباشرة، لا بعد اسم المؤلف.

وخلاصة الرأى أن كتابنا الذى ننشره فيما يلى اسمه الحقيقى هو «النور من كلمات

---

(١) حاجى خليفة: «كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون»، ج ٥ ص ١٦٦ تحت رقم ١٠٥٨٨، نشرة فليجل، لندن سنة ١٨٥٢ = ج ٢، ص ١٤٦٨ من نشرة شرف الدين بالتقايا، استانبول سنة ١٩٤٣.

أبي طيفور » . أما مؤلفه فمجهول ، وكان مجهولاً حتى فى عهد حاجي خليفة (المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ = سنة ١٦٥٧ م) بدليل صمته عن ذكر اسم المؤلف . فلعله مؤلف مجهول جمع الأخبار المتناثرة عن أبي يزيد البسطامى . وليس فى ثنايا الكتاب ما يمكن أن يوضح شيئاً عن هذا المؤلف ، ولكنه على كل حالٍ لا يمكن أن يتجاوز القرن العاشر الهجرى بدليل إيراد حاجي خليفة لاسم الكتاب .

ولكن يوجد فى مخطوط[١] بمدينة آرل Arles بفرنسا ما يدل على نسبة هذا الكتاب إلى السهلجى ، كما نبهنا إلى ذلك أستاذنا ماسينيون ، فقد ورد فيه : « كتاب النور (للسهلَكى) فى كلمات البسطامى » ، ويورده الفِرْيابى بين المصادر التى اعتمد عليها .

على أن المؤلف لم يراع ترتيباً واضحاً فى جمع الكتاب ، اللهم إلا فى القسم الأول منه حيث يحاول أن يتتبع تاريخ حياته وأسرته و بيئته منذ البداية فى نوع من التسلسل التاريخى ، ولهذا جاء فيه ألوان من التكرار والاستطراد . ويمكن رد معظم أخباره إلى المصادر التى بأيدينا مع اختلاف فى بعض الروايات .

— ٢ —

قلنا إننا ننشره أولاً عن المخطوط رقم ٢٧٨٤ بمكتبة الأوقاف ببغداد (ورمزنا له بالرمز ص = نص) ، وهو يتضمن :

١ — كتاب فقه (كذا !) الأكبر لسيدنا الإمام الشافعى ، رحمة الله عليه ، ونفعنا الله من بركات علومه ، آمين .

٣ — خطبة لطيفة من خطب الشيخ محمد بن إبراهيم الكهمرى البصرى ، رحمة الله عليه .

٤ — خطبة لطيفة من خطب ابن الكهمرى البصرى ، رحمة الله عليه .

٥ — خطبة ثالثة له .

٦ — مسئلة : ما قول مولانا مفتى شريعتنا شيخ الإسلام متع الله بحياته نهج الشريعة : فى طائفة الأكراد المعروفة باليزيدية : هل تجوز ذبيحتهم ومناكحتهم ... والجواب عنها .

٧ — ثم طائفة من التعليقات والتقييدات الصغيرة والفوائد .

---

(١) « خلاصة الحقائق للفريابى » ، حـ٢ ، ص٣٩٢ ، مخطوط مكتبة آرل بفرنسا ، برقم ٤٢٨ .

٨ — ورقات من خطب النبى صلى الله عليه وسلم .

٩ — دعاء الصباح وهو لسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أوله :
«اللهم يا من وَلَّع لسانَ الصبح تبلُّجُه ، ويامن سَرّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه» .

١٠ — حرز ابن المتوج . أوله : «بالحمد أبدأ والذى رفع السما . .» . ثم فائدة ، وصورة مكتوب و بضع أبيات من الشعر .

١١ — رسالة تسمى تحفة السَّفَرة إلى حضرة البررة لأبى الفضل بن عبد الحميد البسطامى. أولها : «الحمد لله الذى أنطق كل شىء بتسبيحه ، والصلاة على رسوله وصفيه محمد ... أما بعد : فهذه رسالة مرتبة على عشرة أبواب وفصول» . — وهى ترد بعد نقول عن أبى العباس المرسى وأبى طالب المكى ثم أبى العباس المرسى وعن الجنيد ، ثم فائدة الباب الأربعون (كذا !) فى معرفة منزل مجاور لعلم جزئى من السكون وترتيبه وغرائبه وأقطابه .

١٢ — نبذة من مناقب الشيخ أبو يزيد البسطامى قدس الله سره العزيز ونفعنا والمسلمين من بركاته آمين :

«قال أبو يزيد البسطامى : كنت يوماً فى بعض سياحتى ملذذا بخلوتى وراحتى ، مستغرقاً بفكرى ، مستأنساً بذكرى ، إذ نوديت فى سرى : يا أبا يزيد : امض إلى دير سمعان ، واحضر مع الرهبان ، فى يوم عيدهم والقربان ، فلنا فى ذلك نبأ وشأن ...» وهى فى مجادلة النصارى ، ومسجوعة .

١٣ — حزب البر المبارك للشيخ أبى الحسن الشاذلى . ثم حزب آخر له . ثم دعاء له .

١٤ — الاستغفار لأبى مدين رحمة الله علية : أوله :

«روحى حياتى ، دعانى طيبتى قسم
سمعى ونطقى وذكرى يقتضى حلمى
ذكرى أنيسى افتتاحى مبتدا كلمى
أستغفر الله مُجرى الفُلْكِ فى الظُلَمِ على عُباب من التيار ملتطم ...»

١٥ — وسيلة الملهوف إلى المعروف ، نظم شرف الدين أبى سعيد شعبان بن محمد القرشى .

١٦ — الفَرج القريب فى معجزات الحبيب ، نظم شرف الدين أبى سعيد شعبان بن محمد القرشى .

١٧ — نزهة الكرام فى شرح طيبة والبيت الحرام . له أيضاً .

١٨ — مسك الختام فى أشعار عليه الصلاة والسلام ، نظم السابق أيضاً .

١٩ — وقصيدة له أخرى لما فتح الله عليه بزيارة النبى .

٢٠ — شفاء السقام فى نوادر الصلاة والسلام ، له أيضاً .

٢١ — مقدمة الديوان : الخير الكثير فى الصلاة والتسليم على البشير النذير . له أيضاً . ويظهر أنه غير كامل .

أما الرسالة فى مناقب البسطامى فمكتوبة بخط نسخى ؛ والصفحة مسطرتها ٢٥ سطراً ، مقاس ١٣ × ١٦ سم مقدار المكتوب ؛ وأوائل السماع : « سمعته » الخ مكتوب بالأحمر ؛ وعلى أوائل الروايات خط بالأحمر .

وعليه تملك لخطيب مسجد الشيخ معروف الكرخى ، وختم للحاج محمد أمين أفندى الكهيه فى محلة دكان شناوه .

والرسائل رقم ١ ، ٢ (رسالتنا) بخط الفقير أحمد بن درويش الخطيب فى جامع الشيخ معروف الكرخى عليه الرحمة عفر الله له .

فى الصفحة الأولى التملك التالى : « قد تملكت هذه النسخة المباركة وكتبتها بيدى وأنا الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن المرحوم الشيخ درويش ، الخطيب فى جامع حضرة الشيخ معروف الكرخى عليه الرحمة . عفر الله له ولوالديه ولوالد والديه ولمن نظر فى هذه النسخة المباركة ولمن دعا لهم بالمغفرة ولوالديه ولجميع المسلمين ولوالديه ، وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون » .

وآخر الرسالة رقم ٦ : « نقل من خط الشيخ محمد الكواكب عليه الرحمة » .

— ٣ —

ومخطوط بغداد هذا كثير الاضطراب والنقص ، ولعل العلة فى هذا أن المخطوط الأصلى الذى نقل عنه لابد أن يكون قد كان مضطرب الأوراق ، فحدث فيه تقديم وتأخير فى عدة مواضع أشرنا إليها فى التعليقات أينما وردت ، واعتوره لهذا أيضاً نقص فى عدة مواضع ، قد بلغت فى أحدها قرابة عشرين صفحة !

لهذا كان لنا فى المخطوط (وقد رمزنا له بالرمز ح = حلب) الذى تفضل فأعارنا إياه أستاذُنا الكبير ماسينيون عونٌ كبير ، وأىّ عون ! فقد استطعنا بواسطته أن نصلح أولاً من ترتيب الكتاب وتأليفه ؛ وأن نتمم مواضعَ النقص الكبيرة والصغيرة على السواء ؛ وأن نفيد منه فى إصلاح بعض القراءات التى نَدَّ عنّا وجهها فى مخطوطة بغداد .

على أن ما يعيب هذه المخطوطة ، مخطوطة تكية المولوية بحلب لما أن ظفر بنسخة منها الأستاذ ماسينيون سنة ١٣٣٩ هـ (= سنة ١٩٢٠ م) ، هو أنها كثيرة التحريف جداً بحيث لم يكن فى استطاعة الأستاذ ماسينيون أن ينشر الكتاب عنها وحدها برغم انتباهه إلى أهميته الكبرى . ولو حاول المرء أخذ الناسخ بصورة كلامه وخطه بالدقة ، لعثر على عشرات التصحيفات فى كل صفحة . لهذا ففائدتها ليست فى إصلاح جزئيات النص وكلماته ، بقدر ما هى فى إصلاح ترتيب تأليف الكتاب وإكمال المناقص فيه . ومن هنا لم يكن ثَمَّ غنى لكل من المخطوطتين الواحدة عن الأخرى .

ثم إن مخطوطة حلب هذه يشتم فى كثير من مواضعها أن ثمت يداً خارجية قد عملت فيها ، غير يد المؤلف أو الجامع الأصلى لها ؛ كما يظهر هذا خصوصاً فى آخر الكتاب ؛ فالفقرة الأخيرة مضافة من غير شك إلى الكتاب الأصلى .

لكن يلوح أن تحريفات نسخة حلب هذه إنما ترجع فى الغالب إلى الناسخ لنسخة ماسينيون الخاصة ، لأن أغلبها ترجع إلى سوء قراءة من جانب الناسخ . أما المناقص فيها فقد تكون من فوات الناسخ الحديث هذا ، أو لعلها فى الأصل المنقول .

وبالجملة ، فلا يسعنا هنا إلا أن نقدم أجزل الشكر لأستاذنا الكبير لوى ماسينيون على هذا الفضل ؛ وكم له من مِنَن لا تحصى على التصوف الإسلامى ودراسته !

ع . بدوى .

[١١١] كتاب مناقب سيدنا أبا يزيد البسطامى
رحمة الله عليه ونفع المسلمين من بركاته

[١١ ب] بسم الله الرحمن الرحيم رَبِّ يَسِّرْ

الحمد لله الذى أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدة ، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدة ؛ وحَلّى لسان المؤمنين بالذكر ، وجَلّى جَناب العارفين بالفكر ؛ وحَرَس سواء العُبّاد عن الفساد ، وحَبَس فوائد الزُّهّاد على السّواد ؛ وخَلّص أشباح المُتّقين عن ظُلْم الشُّبهات ، وأخلص أرواح الموقنين عن ظُلَم الشُّبهات[١] ، وقيّد أعمال الأخيار[٢] بأداء الصلوات ، وأيّد خصال الأحرار بإسداء الصِّلات . أحمده حَمْدَ مَنْ رأى آيات[٣] قدرته وقوّته ، وشاهد شواهدَ فردانيته ووحدانيته ، وطَرّف طرائف سرّه و بِرّه . أشكره شكر من اخترف[٤] من شجر مجده وَجُودِه ، واغترف من بحر فضله وإفضاله . وأومن به إيمان من آمن بكتابه وخطابه ، وأنبيائه وأصفيائه ، ووعده ووعيده ، وثوابه وعقابه ، ونعيمه وجحيمه ، وجَنّاته ونيرانه . وأستغفره استغفار من عَرَف فضائح نفسه وقبائحها ، ومعايبها ومثالِبها ، واعترفَ بكثرة ذنوبها وعيوبها ، وعِصْيانها ونسيانها ، وكفرانها وطغيانها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ؛ — بَعَثه لأصلاب الفَسَقة والفَجَرة قاصماً ، ولأسلاب الظَّلَمة والكَفَرة قاسماً ، ولِباع الشك والشرك والكفر والكفران قاصراً ، ولأتباع الحق والأحق والحُسْن والإحسان ناصرا ، ولجأش الضلالة[٥] والفضول مغرقاً ، ولجيش المحال والعدول مُفرّقا ؛ — فصلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأنصاره وأزواجه وأصهاره : أبى بكر : التقِىّ ، وعمر : النقىّ ، وعثمان : الزَّكِىّ ، وعلىّ : الوَفِىّ — اللهم والِ مَنْ والاهم من عبادك ، وعادِ من عاداهم فى بلادك ، إنك على ما تشاء قدير ، وأنت به جدير . أما بعد :

---

(١) وأخلص ... الشبهات : ناقصة فى ح .
(٢) س : الأخبار .
(٣) س : رايات — ويجوز أيضاً .
(٤) اخترف النخلَ = صرَمه واجتناه .
(٥) ح : الضلال .

سألنى عن حديث الشيخ السيِّد السَّنَد السديد ، سلطانِ العارفين(١) أبى يزيد ، قدسَ الله روحَه ، ونَوَّر ضريحه ؛ وعن حاله ، وعن تفسير بعض ما أشكل مِنْ قاله .

وقد سألنى مِن قبلُ كثيرٌ أن أُميِّز لهم وأُفرِّق بين قوم يُدْعَون بكُنيته ، ويُعَدُّون فى جملته ، ولا يُفرِّقون بين كلامهم وكلامه ، ولا يَفرُقون بين مقامهم ومقامه ، ويسوُّون بين منزلتهم فى الأحوال ، ودرجتهم فى الوصول ومرتبتهم فى الأعمال ، ومنقبتهم فى الخصال . فأوجبتُ على نفسى — بعد ما أجبتُ القومَ إلى ذلك — أن أنزلهم منازلهم ، وأبيِّن درجة كل واحدٍ منهم ، وأذكر منزلته [١١٢] وأعلن خطأ من خلط بينهم ، وأظهر زَلَّته ، وأعرب عما ينسب إليه من النطق ما جلَّ ودَقَّ ، وسَهِّل تفسيره وشَقَّ ؛ وأفصِح عن إشكال ذلك الكلام <بعض>(٢) ما أحاط به أفهامُ الأنام ، وأسحب على البعض منه ذيلَ التغافل ، وأُغمِضَ دونه طَرْف التساهل : فعلم السر على السرّ ، ما لم يُفسَّرْ ويُظهر ؛ فإذا ظهر ما ستر من معانيه(٣) وعلن السرّ(٤) الذى هو فيه ، يخرج(٥) عن ذلك البهاء والضياء والطراوة والحلاوة . رزقنا الله فهم أهاليه وعِلْمَ أعاليه ، فهو عليه قدير ، وتيسيرُ العسير عليه يسير .

اعلم — أيدك الله — أن فى المكنيين بأبزيد(٦) وفورا ، ولكن ثلاثة منهم أنّى(٧) شَهِدْتهم شاهدتهم كباراً صدوراً : رووا الأخبار ، وحَووا(٨) الآثار ، وخدموا الأخيار ، ونادموا الكبار . ثم أحد الثلاثة أكملهم عقلا ، وأكثرهم فضلا ، وأرضاهم سيرة ، وأصفاهم سريرة ، وأحسنهم كلاما ، وأرفعهم مقاما ، وأجلهم قدرا ، وأفشاهم ذكرا ، وأعظمهم منزلة ، وأفخمهم مَرْتبة ، وأعلاهم درجة ، وأسناهم منقَبة(٩) ، وأعجبهم شأنا ، وأوضحهم بيانا ، وأقوامهم حجة ، وأقومهم مَحَجّة ، — وهو أبو يزيد ، الذى ليس عليه مزيد(١٠) — طيفور

(١) سلطان العارفين . ناقصة فى ح .
(٢) الزيادة عن ح .
(٣) ح : معايبه .
(٤) ح : الستر .
(٥) س : بخروج من .
(٦) ح : بأبى يزيد .
(٧) ح : إن .
(٨) ح : حوف — وهو تحريف من الناسخ ظاهر .
(٩) وأعلاهم ... منقبة : ناقصة فى ح .
(١٠) أى أبو يزيد tout court — وهى ناقصة فى ح .

ابن عيسى بن شَرُوشان[1] . وشَرُوشان كان مجوسياً ، فأسلَمَ وحَسُن إسلامه ، واستسلم وجَمُل استسلامه .

سمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله — بَيّض اللهُ وجهه — يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : كان سبب إسلام شَرُوشان — جدِّ أبى يزيد قدس الله روحه — أنه[2] كان يخالطه ويصاحبه وَلَدُ إبراهيم الذى ورد بَسْطام فى بدء الإسلام . فسأله[3] عن ذلك والده ولَامَهُ ، وأنكر عليه ذلك وقال له : لو خالطتَ غيره ، وصحبتَ الأعراب دونه ! خيرٌ لك[4] رجلٌ مجوسىٌّ تصاحبه ، <و> تديم الأُنْسَ به ! فقال : أيها الأب ! رجلٌ مَرْضِىٌّ الخصال ، لا يردُّ السؤال ، سخىٌّ وَفِىٌّ . وإنما أصحبه لذلك . فقال : قل له إن أبى يجيؤك ضيفاً . فأَخْبَرَه . فقال : نعم ! إنْ فَعَلَ فَعَلَىَّ الهدايةُ والكرامة . فلما حضروا حَضَّر شروشانُ الطعام . قال : لستُ آ كله حتى تعطينى مُرادى وتقضى حاجتى . قال : وما ذلك ؟ قال : أن تُسْلِم . فقال : أمرٌ وكرامة ! وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وأسلم . وكان هذا سبب إسلامه ، فبارك الله تعالى عليه وعلى آله .

وقد كثر اسم طَيفور فى قبيلته وقومه ، فى يومه وغير يومه ، وفى الأجانب من كل جانب : كانوا يسمون باسمه ويكنون بكنيته تبركاً واستمداداً[5] ؛ ولكن هو ذلك الطيفور[6] الذى هو نور على نور وبقى ذكره على وجه الدهور ؛ ليلَه قائم ، ونهارَه صائم ، وقلبُه هائم ، ولا يأخذه فى الله لومةُ لائم . عَلِمَ ما لا يعلمه الأكياس ، وفهم ما لا يفهمه أجناس الناس[7] . أصبح مقضىَّ الحاجة ، مَرْضِىَّ المحجة ، قوىَّ الحُجّة ؛ كَلّ عن معرفة كلامه أفهامُ الأنام ، وتحيّرت فى معانى ألفاظه [١٢ ب] أوهامُ الخاص والعام ؛ تُرْوى ألفاظه ولا تُرى أغراضُه ، وتوصف عجائبه ولا تُعرف غرائبه ، وتُجمع دقائقه ولا تسمع حقائقه ، وتُعلم عباراته ولا تفهم إشاراته . ثَبَّتَ فى طريق الله القدَمَ ، وخدم الخدم ، حتى قدم وتقدم ، وما نادم النَّدَمَ .

---

(١) ح : سروشان ، وكذلك فى كل المخطوطة ح .

(٢) ح : أن .

(٣) فسأله : ناقصة فى ح .

(٤) خير لك : ناقصة فى س .

(٥) ح : استسعادا .

(٦) الطيفور : طائر صغير .

(٧) الناس : ناقصة فى ح .

سمعتُ الشيخ أبا عبد الله الداستاني يقول : سمعت[١] مشايخنا يقولون : خدم أبو يزيد[٢] ثلاثمائة وثلاثة عشر أستاذاً ، آخرهم[٣] جعفر الصادق رضى الله عنه < وكان يقول : كانا جعفرين[٤] ، أحدهما أجلّ من الآخر والذى خدمه أبو يزيد كان جعفر بن محمد الصادق >[٥] ؛ فسقى له سنتين ، وكان يسمى طيفور السّقا ، حتى قال له إنى أرى فيك أثر جدّى ، أرى أن ترجع إلى بيت نفسك وتبنى بيتاً وتنادى فى هذا الخلق نداءاً — يعنى تدعو الخَلق إلى الله تعالى . فرجع ولم يسكن قلبُه . وكانت أمُّه فى قيد الأحياء أمَةً غريبة فى النساء مع الضياء والبهاء ، والستر والحياء ، والتواضع والدعاء ، والخوف والرجاء ؛ زاهدة عابدة ، صائمة قائمة ، عفيفة شريفة ، راضية مرضيّة ، رأت اضطرابه وانزعاجه فقالت له : اسكُنْ ! فسكن عما كان فيه وقال رحمه الله — : سدّ ! < يعنى >[٥] سكرتنى إشارتُها ، وسددتنى عن الاغتراب ؛ وسكت وسكن عن ذلك الاضطراب .

سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول حاكيا عن مشايخه إن عيسى ، والد أبى[*] يزيد رحمه الله ، لما تزوج بأمه وزفها لم يباشرها ويلامسها أربعين ليلة حتى علم أن لم يبق فى جوفها أثر ما أكلته من قبل وتناولته فيما عبر من الأيام التى كانت فى بيت والدها . ثم لما باشرها ظهر من أولاده مثل أبى يزيد رحمه الله .

سمعت بعض أقرباء أبى يزيد قال : سمعنا قدماء قالوا : ولدته أمُّه فى مَحلة يُقال لها محلة مويذان . ومويذان كانوا أجداده . ثم رجع إلى محلة وافدان . ووافدان كان أعرابياً سكن تلك المحلة فتنسب المحلة إليه ، وهى الآن تسمى محلة بويذان . وكان فى تلك المحلة مسجد صغير يختلف إليه أبو يزيد دون مسجد أبى الحِنسنان الذى هو كان فى جواره . يقال إنه إنما كان يفعل ذلك — والله أعلم — أنه إذا أراد دخول ذلك المسجد كان ممرُّه على الأعراب <الذين> يجلسون حول المسجد فيقومون له فيثقله ذلك . فليلةً من الليالى جرى على خاطره أن لو كان ذلك المسجد الذى يصلى فيه [كان] أوسع ! فأوقع الله تعالى فى الوقت فى قلب الوافد

---

(١) ح : سمعنا .
(٢) ح : أبو يزيد رضى الله عنه .
(٣) ح : أستاذاً آخر منهم .
(٤) ح : جعفران .
(٥) الزيادة مأخوذة عن ح .
(*) ما بين هاتين العلامتين ناقص فى ح .

وحركه — وكان له مَتْبَنَةٌ بجنب المسجد — أن يضيفها إلى المسجد. فلما أصبح أخبر أبا يزيد بذلك ووسع المسجد بها. فهو المسجد الداخل. وأما المسجد الخارج فبناه عمى موسى بن أبي موسى سنة ثلاثمائة؛ والمتقبل بهما أيضاً وهو بانيه وهو أوسع، ولكن الداخل أحب وأطيب. وإن كان المسجدان بَنَيَاه على التقوى، ولكن أمْرَ أبي يزيد أقوى وقلبه أنقى وسره أصفى وبعهد الله أوفى. فعند اختلافه إلى تلك المحلة [١٣ ا] بَنَى تلك الصومعة التي تنسب إليه. فأحياناً كان يأويها من قبل، ثم سكنها، فالبيت الذي ولد فيه. سمعت بعض أقربائه يقول: كان أقرباؤنا لا يسكنونه احتراماً واحتشاماً(*)، ولكن يترددون إليه أوقات الصلوات، فيُصَلّون فيه. وكان في الدار التي كان فيها(١) البيت الذي وقع ولادته فيه رجل من أقربائه كان يقال له: معلم زرنكيران(٢). فحكوا عنه أن أعرابياً نزل عليه في ذلك البيت فقال له: ربما شربتَ شيئاً محرماً فلا تدخله فإنه بيت الأبرار وموضع الأخيار فترى شيئاً لا تطيقه. قال: فمن قضاء الله تعالى أنه رجع إليه <ليلةً>(٣) سكرانَ(٤) وبات فيه. فلما أصبح رأى نفسه عُرْيانة، وما كان عليه من الثياب وما في البيت من الأمتعة كلها مُحْرقة. فلما أصبح نادى المعلم ودعاه بإزار ائتزر به، وأقرّ بما قيل له وتاب وانتقل من تلك الدار إلى غيرها خوفاً مما أصابه من العذاب والعقاب(٥)، ورأى من الآيات والكرامات.

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يقول: نُفِي عن تلك المحلة فانتقل إلى محلة وافدان، ولا يهولنك عن حكايته ذلك وأنه لقى محنة الأولياء وبلاء الأصفياء! أقلُّ شيء يذكر ولا ينكر.

سمعت <من> داعى العلوى الصوفى الاستراباذى أن أبا يزيد نُفِي من بِسطام سبع(٦) مرات.

وسمعته أيضاً يقول: كلُّ يوم لم يجد(٧) فيه أبو يزيد ولم يلحق به بلاء ولم يُصِبْه عناء كان ينادى ربه فيقول: إلٰهى! بعثتَ إلىَّ اليومَ خبزى وما بعثت إلىَّ بلائى آكله معه!

(*) إلى هنا ناقص في ح.

(١) ح، س: فيه.

(٢) ح: زدبكران.

(٣) ليلة: ناقصة في س.

(٤) ح، س: سكرانا.

(٥) س: العقابة.

(٦) س، ح: سبعة.

(٧) فعل من وجد يجد وجداً.

قال : كان يسأله البلاء ، وكان الكيا داعى — رحمه الله — إذا ذكر حديث بلاء الرجال والأبدال يقرأ هذا البيت بالفارسية :

مراد نيست ، كان چون نمكين نشوذ بغمكنان شوذ ، وغم فراز گيرد وام[١]

سمعت بعضهم يحكى بإسناده عن أبى يزيد — قدس الله روحه — أنه كان يقول : « إلهى ! تعذّب أقواماً <يعنى>[٢] فى النار غداً من الأجنبية لا يعرفون مُعَذِّبَهم ، فهلاّ تعذبنى فأعرف مَنْ مُعَذِّبى ؟! » قلتُ أنا : يكون البلاء للولاء[٣] كاللهب للذهب والكَلَف للشرف ، وهو ابتداء الحال يمتحن به الرجال ، أرباب الوقت والحال ، مرتادى الوصال ومريدى الاتصال .

سمعت الشيخ أبا عبد الله — وقد كان يحكى عن مشايخه رضى الله عنهم[٤] — أن أبا يزيد كان يجد ولم يعلم ما يجد ، فكل من[٥] دخل عليه سأله عن ذلك فيقول له : تعلمُ لوجع قلبى هذا دواءاً ؟ وكان[٦] لفظه دُوَيًّا[٧] . قال : فكان[٨] يقول بعضهم : تأكل كذا ، ويقول بعضهم : تشرب كذا — حتى ورد الحجّ مرة ودخل عليه بعضهم زائراً وقد اشتهر صيته وبَعُدَ صيته فقال له ذلك ، فأجابه ، فقال : إنى وجدت فى بعض الكتب أن الله تعالى إذا أراد أن يتخذ أحداً حبيباً أخذ قلبه فى الإيتاق والاشتياق حتى صَفَّاه ، فإذا صفَّاه أعشقه إلى نفسه وعشق عليه ، يعنى حَبَّبه إلى نفسه وأحبَّه . قال : فلما سمع ذلك عَلِمَ مابه ؛ فقال له : تركت الجمل جانباً والغبيط جانباً (١٣ ب) وقد جئت وقلت إن شئت أم أبيْتَ .
قال : فعند ذلك عَلِمَ أن[٩] مايجد فى قلبه وجعٌ يحصل من اشتياق قلبه إلى الله تعالى ومن مطالبة فؤاده من الحق تعالى . فنال وُصْلةً وقُرْبةً فاشتغل بعبادة الله تعالى وبخدمة[١٠] الأمر حتى بلغ مابلغ . —

(١) س : فراز كير دووام . — ومعنى البيت : « لا يبلغ المتمنى ، لأنه إذا كان المنجم خاليا صار لأصحاب الهموم ، وصاحب الهم الكبير يسترد دينه » .
(٢) الزيادة عن ح .
(٣) ح : للولاء كالأولياء كاللهب ...
(٤) رضى الله عنهم : فى ح : قدس الله أرواحهم .
(٥) س : فكلمن .
(٦) ح : لفظه .
(٧) بالهامش : أى كان دواء ؛ وتحتها : تصغير دواء .
(٨) ح : وكان .
(٩) ح : أن لم يجد .
(١٠) ح : لخدمة .

سمعتُ شيخ المشايخ أبا عبد الله يقول : هم ثلاثة إخوة وأختان[١] : أبو يزيد وآدم وعلى . فآدم كان أكبرهم سناً ، وعلى أصغرهم ، وأبو يزيد وُلد فيما بينهما . وأبو موسى خادم[٢] أبى يزيد ، وابن أخيه ، ولد آدم ، وقد اجتهد فى خدمته وجدّ فى تعهده ووُدّه ، وبالغ فى حشمته وحُرْمته حتى نُقل[٣] <أنه> : كان أبو موسى يحفظ على أبى يزيد أوقات الصلوات حتى كان يتردد إلى باب نوحان ، — ونوحان موضع فسيح لم يكد بينه و بين رؤية الصبح حجاب — فإذا رأى الصبح قد انفجر أعلمه ، <فـ> يبرز إلى المسجد من صومعته . قال : فلما كان فى الليلة[٤] التى ودع فيها روحه حضره وأعلمه فلم يخرج ؛ فدقّ البابَ فلم يجب — إلى أربع مرات . فصاح به وقال : يا أبا يزيد ؟ قال : ولم يكن قط يسميه باسمه احتراما له واحتشاما سوى تلك الليلة . فلما تيقن أنه غير بارز ، علم أنما يمتنع عن الخروج بسبب ، ففتح[٥] الباب فوجده خارجاً عن الدنيا . سمعت شيخ المشايخ يقول : لم يكن لأحد عِلمٌ بوفاة أبى يزيد إلا أنه كان أشار إلى بعض تلاميذه[٦] — واحد يقال له عبد الله يونابادى <رستاق>[٧] — قرية بقرب البلد — جاء لزيارته ، أراد أن ينصرف إلى قريته فاستأذن على الخروج فقال له : لا تمشِ[٨] حتى تصلى الجنازة ، ولم يكن يعلم الرجل ماتلك الجنازة ، إلا أنه علم صدق قوله[٩] فلم يستخبره علمها — حُرْمةً — فلما أصبح كانت الجنازة جنازة نفس أبى يزيد <رضى الله عنه>[١٠] .

سمعت شيخ المشايخ[١١] حاكياً عن مشايخه أن تلامذة أبى يزيد رحمهم الله كانوا يتذاكرون يوماً الحُرْمةَ — يعنى حرمة الأستاذ والشيخ — فكان[١٢] يقول كل واحد

(١) س ، ح : اختين .
(٢) ح : خادم خادم أبى يزيد ولده آدم وقد ...
(٣) حتى نقل ... : ح : حتى سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : كان أبو موسى ...
(٤) ح ، س : ليلة . (٥) ح : فتح .
(٦) ح : تلامذته أحد ...
(٧) الزيادة عن ح . وقوله : قرية بقرب البلد ... لزيارته : ناقصة فى ح .
(٨) س : لا تمشى — فى ح : لا تخرج . (٩) س : ولم .
(١٠) الزيادة عن ح .
(١١) ح : سمعت الشيخ أبا عبد الله حاكيا ...
(١٢) ح : وكان .

منهم شيئا — وأبو موسى يجتاز[١] بهم مشتغلا بأمر الخانقاه والزائرين ، فقالوا له :[٢] قل أنت أيضاً في الحرمة شيئاً ! فقال : لو أن الله تعالى فتح على العبد شيئاً أضوأ من هذا الشمس ، فدعاه الأستاذ إلى أُمَيْرٍ من أمور الدنيا فيترك ذلك ويرجع إلى ما يدعوه أيقول[٣] أن يكون ذلك شويئاً[٤] من الحرمة ؟

سمعت <من> بعض أقرباء أبي يزيد أن أبا موسى كان يخدمه وكان يبالغ في خدمته وحُرْمته في صحبته ، فرأى نفسه مُقصّراً فيها ؛ فجرى على خاطره أن لو كان لأبي يزيد خادم[٥] بدلا منه أبلغ في خدمته ! فالتفت اليه أبو يزيد وقال : اترك — يعني خاطرك — ، فقد كنتُ أحتاج في جميع ما أنا فيه إلى خادم[٦] ، وقد كان لي ذلك — يعني لامزيد عليك .

سمعت[٧] أبا عبد الله يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن أبا موسى من كثرة حُرْمته لأبي يزيد أمر لحافر قبر نفسه أن يجعله أسفلَ من قبر أبي يزيد بالحفر ، كي لا يساوي لحدُه لحدَه — حرمةً له .

سمعت شيخ المشايخ يقول : سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا موسى قال : نقلتُ [١١٤] إلى قبري أربعمائة كلامٍ لأبي يزيد ما وجدت لها أهلا أذكرها معه .

سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قال أبو يزيد[٨] : ينبغي أن تكون قلباً كقلب أبي موسى ؛ فكان[٩] الشيخ أبو عبدالله يقول بالفارسية :

آن دل دلين[١٠] به نه دل كلين[١١]

قال : وسمعته يقول : بلغ أبو موسى مبلغاً عرف كل ما جرى على قلب أبي يزيد ، فقال : يارب ! استردّ مني هـذا ، فإني أرى ذلك تركَ الحُرمة — يعني أن أعرف كلّ ما يجرى على قلبه . لم يقل شيخ المشايخ إن الله تعالى استرد ذلك عنه ولكن قال : ستر

---

(١) ح : يختار .
(٢) قل : ناقصة في س .　(٣) ح : أيقول ذلك أن يكون ...
(٤) ح : شويا .　(٥) س : خادماً .
(٦) ح : خادم مثلك .　(٧) ح : وسمعت الشيخ .
(٨) ح : أبو يزيد قدس الله روحه .　(٩) فكان : ح : وكان .
(١٠) ح : دليني .　(١١) ح : كليني — ومعنى البيت : « القلب القلبي خير من القلب الكلي » — يقصد أن القلب التعلق بشخص معين خير من المتعلق بالجميع .

عليه — حتى مضى أبو يزيد لسبيله . فلما مضى ، بلغ أبو موسى مقامه ودرجته فى الرفعة . قال : وإنى لأستحسن هذه الحكاية منه ، وهى حكاية مفيدة حكاها لنا الشيخ أبو عبد الله عن مشايخه عن أبى موسى رحمه الله أن يومَ القيامة يُؤتَى برجل من طريق النار على حالةٍ صعبة شديدة ، ويؤتى بآخر من طريق الجنة على حالة أحسن ما يكون ، فيراد أن يزداد الذى يؤتى من طريق النار ألماً ووجعاً فيقال له : ترى ذاك[١] الذى يحمل إلى الجنة بتلك الزينة ؟ هو فلان . فيقول : نعم ! كنت سمعت اسمه[٢] فى دار الدنيا . قال : فيُبْلغ اللهُ صوته[٣] ذلك الولى فيقف مكانه فيقال له : لِمَ لا تذهب ؟ فيقول : لا أبرح من مكانى حتى يكون معى من سمع باسمى . قال : فينادَى : وهبناه منك ! خذ بيده واذهب به إلى الجنة . — وكان الشيخ أبو عبد الله يقول إذا حكى هذه الحكاية : فيقول هذا لمن سمع الاسم ، فكيف لمن رأى ولمن صَحِب !

وقد مضى أبو يزيد لسبيله وموسى كان ابن اثنتين[٤] وعشرين سنة . وَلَد أبو موسى هذا[٥] أولاداً أربعة : منهم عَمِّى موسى وكان من الرجال الكبار وصاحب الكرامة والفراسة ، وكان من الدهش فى باب الله تعالى بحيث لم يميز بين أولاده وأحفاده وأولاد غيره وأحفاد مَنْ سواه[٦] . وواحد كان أبو يزيد القاضى : كان ممن يتولى قضاء بسطام فى أيامِ ، وله فى المعرفة تصرّف وكلام ، حتى بلغنا أنه كان له أربعمائة كلام يحكى عنه فى طريق المعرفة ، يرتضيها أهلُ الصنعة حتى قيل لبعض أهل الديار ممن تُعْرَف حاله ويوصَفُ قالُه : إنك تزيد على أبى يزيد فى الكلام وترث به اللام . قال : إنما أزيد على هذا ، لا على ذاك[٧] . وذكرت نسبه وحسبه ، وهو أبو يزيد الثانى .

سمعت[٨] شيخ المشايخ يقول : حكى لنا المتقدمون أن أبا يزيد[٩] رأى فى أبى موسى

---

(١) ح : ذلك . (٢) ح : باسمه .
(٣) ج : وصوته .
(٤) س ، ح : اثنين . (٥) هذا : ناقصة فى ح .
(٦) ح : يميز بين أولاده وأحفاده من سواه ، هكذا سمعت الشيخ أبا عبد الله رضى الله عنه ما ذكرت أصله وقد بقى نسله ، شملتهم البركة ، كثرهم الله تعالى ، وواحد كان أبو يزيد ...
(٧) س : ذلك .
(٧) ح : وسمعت شيخ المشايخ عبد الله الداستانى يقول ...
(٩) ح : أبا يزيد قدس الله سره ... تفرّساً ... — وفى الأخيرة تحريف ظاهر .

تقززاً ، فقال : «ما هذا التقزز وإنى لأراك[1] بين مهدين تحركهما ؟!» — فكان من قضاء الله أنه كان له ولدان ، ففابت أمهما ليلة فبكى[2] كل واحد منهما ، فجلس أبو موسى بين مهديهما يحركهما ؛ فتذكر قول أبى يزيد فقال : صدق أبو يزيد : «إنى أراك بين مهدين» — فكان أحدهما مَهْدَ عَمِّى < موسى[3] > والثانى مهد أبى يزيد هذا ، وواحد كان يقال همدانوا[4] ، وواحد كان يقال له أبو عبد الله — قال[5] : وموسى هذا أحد الرجلين ممن يكنى بهذه الكنية من تلامذة[6] أبى يزيد ، وهو الذى قد ناب عن أبى يزيد فى حياته وبعد وفاته[7] ، فى إقامة رسمه وإبقاء اسمه ، وإحياء آثاره وإفشاء أخباره . ولولا أنه كان [١٤ ب] أمّياً ، وإن لم يكن عامياً ، كان ذِكْرُهُ أكثرَ واسمُهُ أشهرَ وجهدُهُ أظهرَ وجُودُهُ أتمَّ .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : كان مشايخنا يقولون : أبو يزيد الأكبر أيضاً كان أمّياً ؛ وإن شُكّ فى تمام علمه الظاهر فلا ريب فى كمال علمه الباطن . فكان للشايخ[8] يقولون : كان مشايخنا يقولون : طعن بعضُ العلماء[9] فى كلامه فقال : أليس[10] هذا الذى يقوله فى العلم ؟ : فأجابه : أَكُلَّ العلم قد بلغت ؟ قال : لا ! قال : هذا من العلم فى النصف الذى لم يبلغك . وبلغنا أن بعض العلماء طعن فى كلامه وقال : ليس بالذى يقول[11] فى العلم . فقال له : انظر فى كتابك الفلانى إلى ورقة كذا حتى تجد ما أقوله منها . — ففتش عنها فوجد فيها ما أشار إليه من العلم الدالّ عليه .

سمعنا الشيخ أبا عبد الله يقول : سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا يزيد قال : «إلٰهى ! لا تجعلنى

---

(١) ح : وإنى لأزال بين مهدين يحركهما .
(٢) ح : من الليالى فتكامل واحد ... — وهو تحريف ظاهر .
(٣) ح : الزيادة عن ح .　　(٤) ح : همذانه نو .
(٥) ح : أبو عبد الله فأبو موسى هذا ...
(٦) ح : تلازمه ... وهو تحريف ظاهر .
(٧) ح : مماته .
(٨) فى صلب س : الشيخ ، والتصحيح بالهامش ؛ وهو فى ح : الشيخ .
(٩) ح : طفى بعض العلما فى كلامه — وهو تحريف ظاهر .
(١٠) ح : ليس .　　(١١) ح : تقوله .

عالماً ولا زاهداً ولا متقرباً[١] . فإن أهّلتنى فأهّلنى لشوى[٢] من أشيائك » — يعنى : أهّلنى لشىء من أسرارك ومعانيك .

سمعت[٣] يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : قال أبو يزيد : يا شبيبة العلم[٤] : اطلب فى العلمِ العلم ، فغيرُ ما أنت فيه من العلم علم . ويا شبيبة الزهد ! اطلب فى الزهدِ الزهدَ ، فغير ما أنت فيه من الزهد زهد . ويا شبيبة التقوى ! اطلب فى التقوى التقوى ، فغير ما أنت فيه من التقوى تقوى[٥] .

فالذى ذكرتُ بعض حكاياته وأشرت إلى بعض هداياته ونشرت بعض آياته هو أبو موسى الأكبر . وهو الذى أثمر عمره وأمره[٦] فى حسن اعتقاده واعتماده فى تلك الصحبة العزيزة . ولم يرث[٧] أولاد على — أحد أخوى أبى يزيد — ما ورث أولاده وما استفاد أحفاده ما استفاد أحفاده ، وإن فى قوم علىٍّ كثرةً ، ولكن ليس لهم الرواء من البهاء والعلوم والعقول والصيت والقبول مالهم . وهم عن آخرهم سعداء بانتسابهم إلى ذلك الكبير وانتمائهم[٨] إلى ذلك الأثير ، أصابنا اللهُ تعالى بركاتِ أجمعهم — هذا ذكر أبى موسى ، ابن أخى سلطان العارفين شيخ بايزيد البسطامى قدس الله روحه .

فأما أبو موسى الثانى <ف> هو أبو موسى الدَّيْبُلِى ،صاحب عبد الرحيم[٩] بن يحيى الأسود الزاهد الدَّيْبُلِى[١٠] . وَرَدَ على أبى يزيد زائراً ، فلما سمع كلامه أطال عنده مقامه وأكثر من فوائده وحفظ من نطقه[١١] مالم يحفظه كثير من الغرباء الزائرين له والواردين عليه . فلما أراد الانصراف عن حضرته ، نصحه . والذى أفصح عن ذلك النصح ما سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى الصوفى يقول : سمعت أبا النجم[١٢] البردعى المذكى بشكور[١٣]

---

(١) ح : متعربا . (٢) س : لشىء .

(٣) ح : وسمعت . (٤) س : العالم .

(٥) ورد هذا الموضع مضطرباً فى كلتا النسختين فأصلحنا الواحدة بالأخرى .

(٦) وأمره : ناقصة فى ح . (٧) ولم يرث : ناقصة فى ح .

(٨) ح : وانتهائهم . (٩) ح : عبد الرحمن بن يحيى الاسواد الدسلى .

(١٠) نسبة إلى ديبل بضم الباء الموحدة وسكون الياء المثناة ، وهى قصبة بلاد السند .

(١١) ح : نقطة . (١٢) س : أبا النجمة .

(١٣) ح : بشهور .

قال : سمعت عبد الرحيم القنّاد يقول : سمعت أبا موسى الدَّيْبُلِى يقول : قال أبو يزيد فى وقت انصرافى من عنده : « يا أبا موسى ! أنت سائر إلى بلد أرمينية ؛ فإن رأيت إنساناً يتكلم فى هـذه العلوم[١] وواحد ينكره وآخر يقبله ويؤمن به ، فقل للذى يؤمن به يدعو الله ، فإن دعاءه مستجاب » .

فأبوا موسى اللذان[٢] ذكرت حديثهما كثيرا الرواية عن الشيخ أبى يزيد ؛ ولا ريبة فى روايتهما عنه . فما رَوَيا [١١٥] فهو صحيح وهو عن أبى يزيد الأكبر . وأكثر مرادى فى إطالة حديثهما أن تعرفهما به وتنسبهما إليه . وقد كانت له أحباب وأصحاب يروون عنه ، فإذا أثبتَّهم عرفتَ صحة رواياتهم ؛ وما يروون منسوب إليه ، لا إلى غيره .

فنهم أحمد بن حضرويه[٣] :— جاء إلى عنده[٤] زائراً له[٥] فى ألف رجل من تلاميذه ، مع كل واحد منهم سر[٦] ، وعند كل واحد منهم بُرْءٌ[٧] .

*[٥ نسخة ح : ص ١٥] ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : سمعت مشايخنا يقولون : ورد أحمد بن حضرويه من بلخ باب سكة أبى يزيد . فوقف عليه والتفت إلى تلامذته ، وهم ألف نفر ، فقال لهم : كل من له أن يطير فى الهواء ويمشى على الماء وتستجاب دعوته إذ دعا — وكان يَعُدُّ أمثالَ ما ذكرت من الكرامات — : تعالوا ندخل على هذا الشيخ ! ومن لم يكن له ذلك فانصرفوا فلا تصلحون لذلك . قال : فلم ينصرف منهم أحد ؛ فكلهم كانوا بتلك المثابة ، وكان لكل واحدٍ منهم تلك الكرامة ، وقد بلغ تلك المنزلة ، ولحق تلك الدرجة . ثم < لما > لم يرَ انصرافهم ، قال لهم : تعالوا حتى نرى أنفسنا كدرَهمٍ لا يأخذه أحد بشىء . فدخلوا عليه . و < لما > سمع كلامه أبو يزيد لم يقف عليه ولم يدركه . قال له : انكص على عقبك فى كلامك قليلاً حتى أعرف ما تقوله

ثم لما فرغ أبو يزيد من الكلام قال له أحمد : إنى رأيت أبا مُرَّة على باب السكة

---

(١) س : بهذا ؛ وفى ح : يتكلم هذا .
(٢) س ، ج : اللذين . (٣) ح : خضرويه .
(٤) ح : جاء عنده . (٥) س : مع .
(٦) س : مع . (٧) مشكولة فى س .
(*) من هنا نقص فى نسخة بغداد إلى قوله : فلما أيس من الظفر (بعدُ صفحة ٥٧ س١) ، وكذلك يضطرب النص فى نسخة بغداد فترد هنا صفحات عديدة موضعها بعد فى أواخر الكتاب حسبما نشير من بعد .

مصلوباً مضروبا . فقال له أبو يزيد : إنما يضرب[١] اللصوص على أبواب السلاطين .

فلما خرج أحمد من عنده قال : كل من رأيته دعوتهُ « إلى » الله تعالى ، غير أبى يزيد : فإنى قد دعوته « من » الله تعالى .

وإن فى دار أبى يزيد كان بيت[٢] يسمى بيت العصا . فوضع القوم الذين كانوا مع أحمد عصيّهم فيه ، وهى ألف عصا ، مع كل واحدٍ منهم واحدة .

فأحمد بن حضرويه هذا من روايته . فما يروى هو [ح : ١٦] < صحيح > .

وإن أطلق اسم أبى يزيد فهو أبو يزيد الأكبر .

وهكذا أبو إسحٰق الهرمى :— يقال له إبرهيم استنبه — كان من زوّاره والقائلين بفضله وأنصاره . ولقد سمعنا مشايخنا يقولون إن أبا يزيد كان يستقبله إلى ناحية أبيان ، وهى قرية على فرسخ من بسطام ؛ ولعله يشيعه إلى تلك البقعة على الغالب من ظنى . فما يرويه فهو مما كان من عنـد أبى يزيد الأكبر ومما جرى فيـه . وسيأتى من بعدُ حكايته وروايته إن < شاء > الله تعالى .

ومنهم سعيد المنجورانى :— كثر تردده إليه . كان يدور فى البلاد ويجمع كلام العارفين والأحبّاء . فما وجده غريباً عجيباً يورد عليه . فلما سمعه أبو يزيد أفصح عن شىء وتكلم به حتى صار ما قاله وأورده ضئيلا فى جنبه ، صغيراً فى الإضافة اليه ، تافهاً فى الاشتباه <به> .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : صارت أنملته عريضةً من كثرة ما كتب .

ومنهم سعيد الراعى : — قبره على قبره على باب بلد بسطام . كان صاحب الكرامة والفراسة واللقاء ، واختص بدرجة الفناء ومنزلة البقاء . تاب على يديه .

سمعنا مشايخنا يقولون : كان سعيد راعياً على امرأةً منهم . وكان قومه نازلاً ناحيـة قرية يقال لها « استادج » . فقصدها ليلةً من الليالى وهى ليلة ضنك وقذر ، فبقى يرقبها ، أراد أن يظفر بها من غير أن يراه أحد ، فبقى على حالته ولم [ح : ١٧] يظفر عليها بحيلة ، حتى حان وقت السحر .

---

(١) ح : يصرف .
(٢) ح : بيتا .

فلما أيس عن الظفر عزم على الانصراف ؛ <ف> رأى الشيخ أتى عليه ولم يكن به خبيراً ، وذلك من اشتغالِه بحاله . <هنالك> لامَ نفسه ورامَ بالله تعالى أُنسَه ، وتفكر فى دناءة حاله وغلبة مُحاله وسوء أفعاله وقبح خصاله . <ف> ندم على ماعبر [١] من أيامه واستغفر من ذنوبه وآثامه . وقصد باب أبى يزيد ، فلما بلغ مسجد أبى يزيد[٢] رآه مغلقاً ، تفرّق الناس بعد جمعهم فيه وهو — أنار اللهُ برهانه — كان رجع إلى صومعته ، فوضع خده على عتبة المسجد ، فغلبه النوم فبقى على حالته حتى خرج أبو يزيد ، فوجده نائماً على تلك الحالة ، فتبسم وعلم أن قد عمل فيه فكره ، ونفعه ذكره . وذلك أن أبا يزيد جلس قريباً من رجوعه ، متفكراً فى كثرة غفلة الناس ، وغلبة الغِرّة والوسواس . فخطر بباله أن لو دخل فى صحبته ، متعلقاً بمحبته ، من كل قوم وحرفة أحدٌ ، يكون سبباً لخلاص الباقين منهم . وجرى على خاطره أن الرعاة أكثر غفلة وأظهر غِرّة من أجناس الناس ، لو دخل منهم أحد وصحبه لحصول ذلك الرجاء واستجابة ما جرى على ما فيه من الدعاء ! ثبت الشُّعَيْد وسَعْد[٣] ، ونبت على الصلاح والفلاح ، وصعد حتى بلغ مرتبة [٤] الرجال ومنقبة [٥] الأبدال .

سمعنا مشايخنا يقولون : إن يوماً من الأيام طالب سعيد المنجورانى [١٢٣] أبا يزيد بإظهار كرامة منه عليه[٦] ، فأشار إليه . فلما قصده لم يجده على غنمه ، والذئب يدور حول الغنم بِحَفْقَةٍ[٧] . فلما حضر جالسه وآنسه . فأخرج السعيد الراعى[٨] كساءه ووضع بين يديه ما فيه من الطعام . فأخذ سعيد المنجورانى يباسطه الكلام حتى قال : إنى لأشتهى العنب — أراد تجربته ، وأن يرى من الكرامة نصيبه . فأخذ السعيد الخشبة التى كانت معه وكسرها وغرز نصفها على أحد جانبى نهرٍ كانا جالسين على شطه ، والنصف الثانى غرزه على الجانب الذى هو عليه . فأثمرت بقدرة الله تعالى : ما كان من جانب المنجورانى العنبَ الأسود ، وما كان من جانب نفسه العنبُ الأبيض . فقال سعيد الراعى ، لسعيد المنجورانى : كُلْهُ . فقال له سعيد المنجورانى : كيف الذى[٩] هو من جانبى أسود ، وما

---

(١) ح : خبر — وهو تصحيف . (٢) ح : مسجده .
(٣) مأخوذ من المثل المشهور : انجُ سعدُ فقد هلك سُعَيْد .
(٤) ص : مرتبته . (٥) ص : نبلته .
(٦) عليه : ناقصة فى ح . (٧) الحفقة = الغضب والحميّة .
(٨) الراعى : ناقصة فى ح . (٩) ح : الذى ما هو .

هو من جانبك أبيض ؟ قال : لأنك تمنيته وطالبته[١] . وما ظهر من جانبي لم يظهر بإرادتي وأمنيتي . فلما أراد أن يفارقه قال له : هب مني هذا الكساء . فقال له سعيد الراعي : وهبته منك بشرط أن تحفظه ولم تضيعه فيسرقه السارق . فانصرف السعيد مع الكساء إلى بيت الله الحرام ، ولم يزل كان يحفظه حتى كان وقت من الأوقات كان بعرفات نازلا أودعه عند إنسان واشتغل[٢] بأمر . فلما رجع إليه وطالبه به لم يجده[٣] . فقال : كُرْد كليم برد — ذهب الراعي بالكساء — حتى رجع إلى بسطام فرأى الكساء في يد سعيد الراعي . فعلم أنه هو الذي رفعه وحمله . فطالبه به فقال له سعيد الراعي : أليس أني قلت لك : احفظه كيلا يسرقه السارق — أراد أن يريه[٤] قوة نفسه وعجزه ، إظهاراً لفضل أستاذه وشيخه أبي يزيد قدس الله روحه .

ومنهم خطاب[٥] الطرزي رحمه الله : — جاوز الحدّ وفاز بما لا يأتي ذكره بالعد ، وله بتلك القرى بيت الضيافة[٦] والقِرى ؛ واستفاد من ذلك الكبير خَلْقٌ كثير ، دعاهم إلى الله فاقتدوا به واهتدوا بِقُرْبتة وقرابته . بلغ عَمِّي اسماعيل — رحمه الله — تلك الدرجة السنية حتى قال : لو جعل جل عمري سبعين سنة أو أكثر من ذلك على طبق[٧] وعُرِضَ على الله ، لم يستحي منه بسبب شيء من ذلك قل أو كثر .

ومنهم أبو منصور الجينوي رحمه الله : — بلغ الغاية وأوفى على كل نهاية من تلك الدرجات والفوز بالنجاة من النفوسية والأنانية والبشرية . فطوبى له وحسن مآب . فاز قومٌ بصحبته ومحبته ورؤيته وروايته ، وعاشوا في ولايته ودولته ؛ رُفِع رايته ، وقُرِئ آيته ، ورُوِى هدايته ، ورُؤِى كرامته ؛ وما لم يظهر من حاله ، وجميل قومه وآله ، أطنبُ من أن يذكر وأسهب من أن ينشر . أصابنا الله تعالى بركات حركاته في عاداته وعباداته ؛ فهو وليّ ذلك والقادر عليه .

سمعت(*) أبا عبد الله يقول : كان لأبي منصور تلميذ يقال له الاُوزيكي — من قرى

(١) س : إنك — وطالبه مطالبة : طلبه بحقّ .
(٢) ح : استغل . (٣) ح : فلم يجده . والعبارة الفارسية معناها : ذهب الراعي بالكساء .
(٤) س : يراه . (٥) ح : حطاب .
(٦) س : الظيافة (٧) على طبق : ناقصة في ح .
(*) ما بين هاتين العلامتين ناقص في ح .

جرجان . اختلف إليه أحدَ عشر ين سنة ، كل سنة زاره مرة ، فأتى بقمقمة مملوءة من الرُّب[1] .
فكان كل مرة يسأله عن اسمه وعن موضعه يتجاهل ويأمر بإمساك قمقمه تجريباً له وتهذيباً ؛
ولم يؤثر فيه ذلك ولم يصحبه بسببه شر وضر . حتى كان رأس أحد وعشرين دعاه ونفخ
فى فيه ، فخرج من عنده وانصرف عنه فرحاً صائحاً : مَن مثلى وإن أبا منصور قد نفخ فى فمى !

قال الشيخ أبو عبد الله : أظهر الله تعالى بركة ذلك النفخ فى فيه وفى غيره حتى أصابت
بركته ألف نفر وصاروا عن آخرهم أهلَ المعرفة . فهؤلاء أربعة من كبار تلامذة أبى يزيد
وأخيار أصحابه الذين أصابتهم بركة صُحْبَتِه ويُمْنُ دولته ، أهالى الأعالى [٢٣ ب] والمعالى ،
وأرباب اللقاء والبقاء ، مكرَّمين بالوصول والجود قلوبهم ، مفخَّمين بالركوع والسجود
قوالبهم .

< هؤلاء هم > أبو موسى خادمه وابن أخيه ، وسعيد الراعى ، وخطاب الطرزى ،
وأبو منصور الجينوى — وجينوى قرية فى جهينه ناحية جرجان . وكان أيضاً فى صحبته
< و > خدمته ستة من أهل الفراسة والكرامة والمعرفة والمحبة لم يبلغوا درجات من
عرّفتهم بالكمال ، ووصفتهم بالوصال :

فمنهم محمود الكهيانى[2] — وكوهيانى قرية على فراسخ من بسطام .

أبو عبد الله يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : إنه كان من سلامة القلب بحيث لا يحسن
الدعاء — يعنى على حسب ما يدعو من لفظه فيصح وكلامه صحيح ، فاحتاج أهل
قريته وناحيته إلى المطر أن يأتيهم . فقيل له : ادع الله تعالى ليسقينا ! فقال : كيف أقول ؟
قيل له : قل بالفارسية : وارنمان[3] كو — وهذا ألسنهم ولسانهم ، يعنى نحن محتاجون إلى
المطر . فذكر ما قالوا . فمطروا فى الوقت والحين . فيا لها من إسلام ودين ومعرفة ويقين
بالإشارة ! يأتى المطر فى الحين ! إنما أثمر الله ذلك القدر وأظهر ذلك الأثر لقيام ذلك الرجل
الصالح بما نهى الله تعالى عنه وأمر .

سمعت الشيخ أبا عبد الله : حكى مشايخه أنه خرج يوماً من مسجده راجعاً إلى بيته

---

(١) الرُّب بالضم والتشديد : سلافةُ خثار كل ثمرة بعد اعتصارها ، وثفل السمن .
(٢) كذا ، ولعله الكوهيانى بدليل ما يتلوه .
(٣) يقصد : « باران مان كو » — يعنى : أين مطرنا ؟

فرأى إبليس متردداً إلى باب داره ، ففتش عمّا رابه وأصابه ، فرأى طِنجيراً فيه شيء[١] من اللبن ؛ فاتهمه ، فسأل عن حاله فقيل له : إنما أخذ ذلك من عريف القرية . فأخذ بحواشي الطنجير وأتى به إلى الصحراء وقلبه وقال : هذا الذى أداره ناحية[٢] بيتى وحوالى دارى . فلما كان رُوعه وورَعه ماذكرت كان درجته ومنزلته ما فسرت .

ومنهم محمد الراعى — راعى الإبل — : يحفظ كلام أبى يزيد ويحكيه لكل أحد فربما ينكره بعضهم . فذكر ذلك لأبى يزيد فقال له أبو يزيد : لاتذكر كلامنا هذا مع كل أحد[٣] . دعه . تكلمه مع الجمال فى الصحراء . فلم يَحْكِ بعد ذلك . فإذا خرج وهاجه وغلب فيه ، يذكره مع الجمال فتجيئوه الجمال فيصغين إليه وإلى ذكره ذلك . قال : هكذا سمعت أبا عبد الله[٤] يحكيه ويزكّيه ويرى له فضلاً وجمالا أثمرته تلك المعرفة المشهورة ، والصحبة المأجورة ، والحرمة المشكورة ، والحشمة[٥] المذكورة .

ومنهم عبد الله اليونابادى[٦] وسهلوا النمرة[٧] : — كانا من عباد الله الصالحين أصحاب الكرامة والفراسة . كانا رفيقين[٨] أخوين فى الله تعالى يختلفان إلى ذلك الصدر الكبير والبدر الخطير ، يعنى أبا يزيد[٩] . فإذا خرج أحدهما من قريته نادى صاحبه وصاح به فسمع نداءه وجاء ، وكان لهما موعداً لم يخلفاه[١٠] ، وكان بين القريتين بُعَيْد فراسخ .

سمعت[١١] الشيخ أبا عبد الله يقول[١٢] : كان عبد الله من غلبة حب أبى يزيد فى قلبه بلغ بحيث يخرج من بيته قاصداً إليه لم يتفرغ إلى أن يلبس سراويله إن لم يكن يلبسه من قبل ، حتى قال له يوماً من الأيام : إنى لأحبّك . <ف> قال له أبو يزيد : قلبٌ وإن ملىء حباً فكم قدره[١٣] ؟ قال : إنى لأحبك حبا يزيد[١٤] محبتى لك على محبة أبى موسى .

---

(١) ص : شيئاً .
(٢) آخر النقص فى ح .
(٣) ح : مع كلامه .
(٤) ص : هكذا ومنهم أبو عبد الله .
(٥) ح : ولا لحشمه .
(٦) ص : اليونادى .
(٧) ح : سهلوا غره .
(٨) ص : رفقين .
(٩) يعنى أبا يزيد : ناقصة فى ح .
(١٠) لم : ناقصة فى ح .
(١١) ص : ومنهم ... أبو عبد الله ...
(١٢) ح : يقولون .
(١٣) قال إنى ... قدره : مكررة فى ح .
(١٤) ح : يزيد عليه محبتى لك ...

قال : « نعم ؛ ولكن أبا موسى من أنفسنا » . ثم قال له : « هُويناً ، فإنك إن أحببت لم تكن تسكن بالليل ولم تطمئن بالنهار ؛ ولكنك صادق بذلك المقدار » — يعنى بالقدر الذى مُكنت منه[1] .

وسمعت[2] الشيخ أبا عبد الله يقول : كان إذا وقع عليه هيبة أبى يزيد وهو فى المحراب ألقى نفسه على أحد جانبى المحراب ، وشد نفسه عليه حتى ظهر أثر [١٢٤] ميله على الجدار الذى جرت عادته بذلك إليه مثل أثره فى الطين الرطب .

وقد كان له منفق يقال له إبراهيم معاذان . سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن إبراهيم قال لأبى موسى خادم أبى يزيد : كل يوم أبعث ما يحتاج إليه مائة نفر فما يزيدون فقل لى وأخبرنى كى أبعث ما تحتاجون إليه من النفقة . قال : وكان من الورع والصيانة ، والتقوى والديانة ، أنه لا يبيع الكساء يوم الغيم وهو بائعه فيقول : إن الكساء يكون أحسن فى أيام السحاب منه فى أيام الصحو .

قال الشيخ أبو عبد الله : كان قد بلغ حبُّه من قلب أبى يزيد من كثرة تحببه إليه وانفاقه عليه أن قال أبو يزيد : إن لله تعالى خليلاً اسمه إبراهيم ، ولنا أيضاً خليل اسمه إبراهيم .

وسمعته يقول : قال أبو يزيد : من الناس من أتى فى صحبتنا بالنفس ، ومنهم من أتى بالمال ، ومنهم من أتى بالقلب : فإبراهيم معاذان أتى فى صحبتنا بالنفس والمال والقلب جميعاً ؛ أرضى صدراً و بدراً ، ووجد جاهاً وقدراً ؛ ولولا مثل هذه الأمور لتشتدّ بها الصدور لم يساوِ العمرُ شيئاً .

سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : كان من أول[3] الدهر كل من كان رجل من الرجال كان له منازع فى حالته ، مُضاهٍ فى درجته ، مُباهٍ فى منزلته . وكان منازع أبى يزيد داود الزاهد . وكان يحكى[4] عن داود أنه قال : لو أن أبا يزيد حجّ مرة فأنا حججت

---

(١) ح : منها . (٢) س : ومنهم ... أبا .
(٣) س : أقل . (٤) ح : يحكى .

مرتين . وإن زار رِباط دهستان فأنا قد زرته ثلاث مرات ؛ وإن فعل[1] كذا فأنا قد فعلت مثل ما فعله وأكثر . وكان يعد أضعاف أفعاله وأعماله . فبلغ ذلك أبا يزيد رحمة الله عليه ، قال : « نعم فعل ما فعلته ، ولكن أمير المؤمنين واحد . فلو نزل واحد من نكارمنو[2] ويقول : أنا أمير المؤمنين ، يضرب رقبته سريعاً » — ونكارمنو قرية وزُرَيْعة بقرب البلد على جبل . فمن قضاء الله تعالى أنه ظهر منها رجل ارتاد رئاسة البلد فوَلّى وقُتِل عن قريب . فكانت[3] المشايخ يعدون ذلك آية لما أشار إليه الشيخ أبو يزيد رحمه الله . فكان داود الزاهد رحمه الله يجد فى نفسه من علو همته وسمو نهمته شكليّة ومِثلية من أبى يزيد فيما يدعيه والمعنى الذى هو فيه ، وإن لم يكن بمثابته فى المرتبة والمنقَبة والدرجة والمنزلة ؛ فكان ما يظنه ويحسبه ويقدره ويحبه ، ولكن لابذلك المكان والإمكان الذى قام مقامه ونقض كلامه . ولو لم يكن كذلك ، خيف عليه الحتف والهلاك . فما كان فى أبى يزيد من المعنى ورثه[4] قومه . وما كان فيه من الدعوى ورثه قومه . فما كان فى أبى يزيد من علائه ، خفى[5] فى أوليائه . وما كان لداود ، ظهر من حاله على آله . وهذا سرٌ من أسرار الله تعالى أُظهِرَ علىّ دون غيرى . وكان داود هذا جد الأستاذ أبى سعيد البسطامى . وأبو سعيد كان والد القاضى الإمام أبى عمر البسطامى والقاضى أبى إبراهيم ، وله أولاد وأحفاد — كثّرهم الله عن آخرهم وزاد فى مفاخرهم . والقاضى أبو عمر كان والد الشيخ الإمام الموفق ، والشيخ الإمام الموفق كان والد الشيخ الإمام أبى مَنهَل — مَنهَلَ اللهُ عليه أنورَ[6] دينه ودنياه وحَيْنه وأخراه . وأرجو أن تبقى آثارهم على الأعقاب . فداود هذا تولى خَطابة جرجان ؛ ثم عاد إلى دستان ودفن فى تلك التربة ؛ نور الله مضجعه .

فهؤلاء كلهم رواة أبى يزيد رحمهم الله . فماخرج بروايتهم فهو أبو يزيد الأكبر ، ومايروى غيرهم فمعرفة صحته مبنية على المنازلة . فمن لم تكن له تلك الدرجة والمقام والمنزلة لم يميز بين نطقهم وكلامهم ، وإنى على الصدق والصواب من هذا الخطاب ، وقد قلت فى غير هذا

---

(١) ح : فعله .
(٢) وردت فى ح أولاً : زكارمنوا — ثم أصلحت .
(٣) ح : وكانت .
(٤) ناقصة فى ح .
(٥) ح : من .
(٦) أنور : ناقصة فى ح .

الموضع : [٢٤ ب] فما لم تعرف مبناه لم تفهم معناه ، وما لم تعرف مقامه لم تصف كلامه ، وما لم تملك عبارته لم تدرك إشارته ، وما لم تلحق أصله لم تسبق فضله . وإلى هـذا النظام ينتهى كلام ذلك الإمام .

الشيخ أبو عبد الله سمعته يقول : المقام مائة وأربع وعشرين ألف — يعنى فى طريق الله تعالى ؛ فى كل مقام نور لا يشبه بعضُه بعضاً ؛ فمن ادعى[١] بمقام من تلك المقامات أسأله عن صفة نور ذلك المقام — يعنى حتى يتبيّن صدقُ دعواه فى مبناه هذا — وإنى قد حددت لك حدّاً ، وعددت لك عداً ، فاجدد فى ذلك جهدا وجدا . فما أقدر أقدر . والله أعلم بالصواب ، وما فيه من الجواب .

فالخبر الذى يسنده أبو يزيد الأكبر قدس الله روحه[٢] لم يزد — على ما صح عندى — على خبر واحد وهو المشهور ، وهو ما حدثنى أبو عبد الله محمد بن ابراهيم ابن منصور : قال حدثنا أحمد بن بكران الصوفى قال : أخبرنا أبو عمر وعثمان بن جحدر ابن ورامهر الكازريانى قال : حدثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل بن محمد ابن سهل المصرى ، قال حدثنا على بن جعفر البغدادى ، قال حدثنا أبو يزيد البسطامى : قال حدثنا أبو عبد الرحمن السُدّى ، وعن عمرو بن قيس الملامى عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد الخُدْرِى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما يؤتيك الله . إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كره كاره . إن الله — بحكمته وجلاله — جعل الرزق والفرج فى الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط .

وأبو يزيد هذا توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة ، فعليه وعلى من شايعه وصَحِبه وتابعه من التحية والسلام ، بعدد الليالى والأيام .

وحدثنا الأستاذ أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسى ، قال حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال : حدثنا منصور بن عبد الله ببغداد : قال حـدثنا أبو عمرو عثمان بن جحدر ورامهر الكازرونى بها : قال حدثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن بن المصرى — ويعرف بابن الحمصى

---

(١) يعنى ... ادعى : ناقصة فى ح . (٢) ح : رضى الله عنه .

الواعظ بالبصرة — قال : حدثنا على بن جعفر البغدادى قال : قال أبو موسى الدَّيْبُلِى : قال : حدثنا أبو يزيد البسطامى قال : أخبرنا أبو عبد الرحيم السُّدّى عن عمرو بن قيس وروى الحديث كما رواه ، إلا أن فى رواية الأستاذ أبى الحسن أن ضعف اليقين وقال : جعل الرَّوْح والفرج فى الرضا فحسب ، ولم يذكر اليقين .

وسمعت[١] أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى الصوفى يقول : سمعت أبا الحسن الحنظلى يقول : سمعت مؤمل الخصاص يقول[١] : ماسمعت فى التصوف جواباً أشفى من جواب أبى يزيد البسطامى رحمة الله[٢] عليه — رأيته فى النوم فقلت : ما التصوف ؟ قال : شد الأرفاق وصد الأرواق[٣] .

وسمعته يقول : سمعت عثمان الخونى[٤] يقول : سمعت أحمد بن محمد الآملى قال : حدثنا أحمد بن محمد الجزرى[٥] يقول ، سمعت أبا موسى الدَّيْبُلِى يقول : سمعت أبايزيد البسطامى — قدس الله روحه[٦] — يقول : «رأيت ربَّ العزة فى المنام فقلت : كيف الطريق إليك ؟ قال : اترك نفسك وتعالَ » .

وحدثنا أبو الحسن على بن محمد الداودى الصوفى البُسْتى بنَيسابور قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن على بن الشاه المروزى بها ، قال : حدثنا أبو الربيع محمد بن الفضل البلخى قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن الفضل القُومَسى بقُومَس ، قال : حدثنا خلف بن عمر [١٢٥] قال : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : «غُصْتُ فى بحار الأعمال أربعين سنة ، فصعدت فإذا أنا مربوط بكل زُنّار » .

وبهذا الإسناد أبو الربيع قال : حدثنا أبو العباس ، قال : حدثنا خلف[٧] قال ، سمعت أبا يزيد <يقول> : «ما من أحدٍ إلا وقد غَرِق فى بحر الأعمال غيرى ، فإنى قد غرقت فى بحر البر » .

---

(١) سمعت أبا الحسن ... يقول : ناقصة فى ح . (٢) ح : رضى الله عنه .
(٣) الأرفاق: جمع رفاق وهو الحبْل ، كناية عن الجوع بشد الوسط ؛ والأرواق جمع رَوْق وهى الجثة ، كناية عن كبح شهوات البدن . — وفى ح : صد الأرفاق .
(٤) ح : الخونى نيسوى . (٥) ح : محمد بن أحمد المهرى . (٦) ح : روحه العزيز .
(٧) ح : حدثنا خلف قال ... يزيد البسطامى يقول ...

وبه حدثنا أبو الربيع [1] ، قال : حدثنا خلف قال : دق رجل على أبي يزيد باب داره فقال له : من تطلبه ؟ فقال : أطلبُ أبا يزيد . فقال : مُرَّ ! ويحك ! فليس في الدار غير الله .

وبه حدثنا أبو الربيع قال ، حدثنا العباس [2] قال ، حدثنا خلف قال : قصد أبا يزيد رجلٌ من أصحاب ذى النون فقال له : من تطلب ؟ قال : أبا يزيد . فقال : يا بُنَىّ ! أبو يزيد يطلب أبا يزيد [3] منذ أربعين سنة . فرجع إلى ذى النون وأخبره فغشى عليه .

قال : حدثنا أبو الحسن الداودى الصوفى قال : حدثنا أبو الحسين المروزى ، قال : حدثنا الربيع [4] البلخى قال : حدثنا موسى بن عيسى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : قال لنا يوماً أبو يزيد : قوموا بنا ننظر إلى هذا الرجل الذى شهر [5] نفسه بالولاية . وكان بقومَس [6] رجل مشهور بالزهد والورع . فمضينا معه . فلما خرج من منزله ودخل مسجده رمى [7] ببزاقه نحو القبلة ، فقال أبو يزيد : قوموا بنا ننصرف من غير أن نسلّم عليه ، فإن هذا الرجل ليس بمأمون على أدب من آداب الشريعة التى أدب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم [8] ، فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من مقامات الأولياء والصدِّيقين !

قال : وسمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله الداستانى [9] يقول : سمعت المتقدمين يقولون إن أبا يزيد قال : رُبَّ أحدٍ قريب منا بعيد عنا ، ورُبَّ أحد بعيد عنا قريب منا [10] !

وكان يقول : من أتى بأبى العباس من موضع الديلمية هاهنا ؟ ومن تصدّى لهؤلاء الذين هم على هذا الباب ؟ — أبو العباس هذا الذى يقول كان ديلمياً مكث عنده حبًّا له واقتداء به .

وسمعت محمد بن على بن أحمد الواسطى [11] يقول : سمعت بعض المشايخ يحكى عن أبي يزيد

---

(١) ح : أبو الربيع ، قال حدثنا أبو العباس ، قال حدثنا خلف .
(٢) ح : أبو العباس .
(٣) يطلب أبا يزيد : ناقصة فى ح .
(٤) تصحيح فى ح : أبو الربيع .
(٥) ح : فى هذا الرجل الذى قد شهر .
(٦) س : بقرمس .
(٧) رمى : ناقصة فى س .
(٨) صلى الله عليه وسلم : ناقصة فى ح .
(٩) أبا عبد الله الداستانى : ناقصة فى س .
(١٠) العبارة وردت مكررة فى ح .
(١١) ح : ابن أحمد الواعظ .

أنه قال : غُصْتُ فى بحر[١] المعارف حتى بلغت بحر محمد صلى الله عليه وسلم ، فرأيتُ بينى وبينه ألف مقام لواقتربتُ من واحدٍ احترقتُ .

وسمعت أبا العلاء أحمد بن أبى جعفر الزجاهى يقول : سمعت بعضهم يقول : نزل جندى دار أبى يزيد . فلما دخل أبو يزيد داره ، رآه على دكان وسط داره وقد طُيِّن عن قريب . فسأل عن حاله وفتش عن طينه وتبنه ، فوجد التبن الذى هو فيه لاعلى[٢] حسب مايرتضيه ؛ فأمر بقلعه وقال : هو الذى دعاه إلى النزول على هذه الدار . فلما دخل الجندى رأى الدكان محرباً ، فانصرف ولم يرجع إليها بعد[٣] .

وسمعت محمد بن على بن أحمد الواعظ يقول : وجدتُ فى بعض الكتب أن أبا يزيد <لمّا> سئل عن ابتداء أمره قال : إن الله تعالى هدانى للزراعة[٤] ، فزرعت فى نفسى أنواع العبادة . ثم أرشدنى للقِصارة[٥] ، فلم أزل أغسل بأنواع الطهارات والمياه فلم أرها طهرت بعد .

وبه قال أبو يزيد : النساء أحسن حالةً منا : إن المرأة تصير كل شهر طاهرة ، وربما تصير طاهرة فى الشهر مرتين ، فتغتسل من الحيض ؛ ونحن لا نكاد نصير طاهرين[٦] فى عمرنا مرة واحدة .

وبه قال : وكان هجِّيرى[٧] أبى يزيد أن كان يقول : يستزيد أبو يزيد ، ولا مزيد على التوحيد .

وبه أن بكيراً نَظر إلى بعض جيرانه وقد استعد للسفر فقال له : أين[٨] تريد ؟ قال : إلى بسطام إن شاء الله . قال : فإذا أتيت بسطام ولقيت أبا يزيد فقل له إن بكيراً يقول : السلام عليك ! فقال أبو يزيد . عليك السلام وعلى بكير مثله[٩] . قال : فتاب الرجل الذى بَلَّغ سلام بكير ، وتاب بكير وبلغ من زهده [٥ ب] أن أبا يزيد قصده وتبرك به .

أخبرنى أبو سعد اسماعيل بن على الطبرى المثنى قال : سمعت والدى يقول : سمعت

---

(١) ح : بحار .
(٢) ح : هو فيه على حسب ...
(٣) ح : بعده .
(٤) ح : الزراعة .
(٥) س : القسارة ؛ ح : القصادة .
(٦) س ، ح : طاهرا .
(٧) ح : هجيرا .
(٨) ح : فقال لى : أين ...
(٩) ح : وعليك السلام مثله .

عَمّى موسى بن عيسى يقول : سمعت أبى يقول : قال أبو يزيد : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاً لا رجعة لها ، ثم تركتها وصرتُ وحدى إلى ربّى عز وجل ؛ فناديته بالاستغاثة : إلٰهى ومولاى ! أدعوك دُعاء مَنْ لم يبق له غيرك — فلما عرف صدق الدعاء من قلبى مع الإياس منى كان أول ما أورد علىّ من إجابة هذا الدعاء أن إنسانى نفسى بالكلية ، ونَصَب الخلائق بين يدىّ ، مع إعراضى عنهم .

أخبرنى أيضا قال : سمعت بعضهم : قيل لأبى يزيد : بماذا[1] نلت هذه الدرجة ؟ قال : جمعت أسباب الدنيا كلها فربطتها بحبل القنوع ، ووضعتها فى منجنيق الصدق ، ورميت بها فى بحر الإياس ، فاسترحت .

وأخبرنى أيضاً قال : أخبرنا على بن الحسن بن حنويه الدامغانى بروايته أنه قيل لأبى يزيد : بماذا[1] نلت ما نلت ؟ قال : بلا شىء .

وقال : قيل لأبى يزيد : بأى شىء يصل العبد إلى الله تعالى ؟ قال : بالخَرَس والصَّم والعمى . فأخبرنى أيضا قال : وجدت فى كتاب أخى رحمه الله : قيل لأبى يزيد[2] : بماذا نالوا ما نالوا ؟ قال : بتضييع[3] مالَهم ، وشهود مالَه .

وأخبرنى أيضا قال : وجدت فى كتاب أخى رحمه الله بخطه : قيل لأبى يزيد : بماذا بلغت إلى[4] ما بلغت ؟ قال : عملت أشياء أولها : اتخذت سبحانه معلماً . فقلت : إن لم يكفك ربُّك لم يَكْفِكَ غيرُه فى السموٰت والأرض ، وشغلت لسانى بذكره وبدنى بخدمته ، كلما أعيَتْ جارحة رَجَعْتُ إلى الأخرى . ثم قيل : أبو يزيد أبو يزيد[5] !

وأخبرنى أيضا قال : سمعت ولىّ على بن عبد الله ببسطام يقول : سمعت عَمّى يقول[6] : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ورد على رجلٌ من أرباب المال فقال : يا أبا يزيد ! بماذا وجدت هذه المنزلة ؟ فقال أبو يزيد : دع عنك وجود المنزلة ؛

---

(١) ح : بما نلت .

(٢) ح : رضى الله عنه .

(٣) وردت محرفة فى ح .

(٤) إلى : ناقصة فى ح .

(٥) غير مكررة فى ح .

(٦) سمعت عمى يقول : ناقصة فى ح .

ولكن أكرمني الحق[1] بثماني كرامات ، ثم بعده ناداني : يا أبا يزيد !

أوله : رأيتُ نفسي متأخراً ، ورأيتُ الخلق قد سبقوني ؛

والثاني : رضيتُ بأن أُحْرَق بالنار بدلَ خلقه شفقةً عليهم ؛

والثالث : كان قصدي إدخال الفرَحِ في قلب المؤمن ؛

والرابع : لم أمسك شيئاً قط لغدٍ ؛

والخامس : أردت رحمة الله بالناس أكثر مما أردتها بنفسي ؛

والسادس : بذلتُ جهدي في إدخال السرور على المؤمن وإخراج الغمّ من قلبه ؛

والسابع : ابتدأت بالسلام على من لقيني من المؤمنين من شفقتي عليهم ؛

والثامن : قلت لو غفَرَ الله لي يوم القيامة وأذن لي بالشفاعة لشفعت أولاً من آذاني وجفاني[2] ، ثم من برّني وأكرمني .

وأخبرنا أبو الحسن محمد بن القاسم الفارسي قال : سمعت الحسين بن علي بن يحيى المذكر يقول : سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول : قيل لأبي القاسم الجنيد بن محمد : إن أبا يزيد يسرف في الكلام . فقال : وما بلغكم من إسرافه في كلامه ؟ قالوا : سمعناه يقول : سبحاني ! سبحاني ! أنا ربّي الأعلىٰ . فقال الجنيد : إن الرجل مُسْتَهْلَكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله في الحق عن رؤيته إياه ؛ فلم يشهد إلا الحق تعالى ؛ فنعته فنطق به ولم يكن من علم ماسواه ولا من التعبير عنه ضنًّا من الحق به . ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه فقال : ليلى . فنطق بنفسه ولم يكن من شهود إياه فيه .

وبلغنا أنه قيل له[3] : أنت من أنت ؟ قال : أنا مَنْ لَيْلىٰ ، ومن لَيْلىٰ أنا .

سمعت محمد[4] بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله الهروي [١٢٦] الصوفي يقول : سمعت الحسن بن محمد التاجي يقول : سمعت عبد الصمد بن عبد الله < الصوفي يقول ، سمعت أبا الفضل الحافظ يقول : سمعت ابراهيم بن عبد الله[5] > يقول : سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : هذا فرحي بك وأنا أخافك ؛ فكيف فرحي بك إذا أمِنْتُك !

---

(١) س ، ح : بثمان . (٢) ح : جناني . (٣) الضمير يعود على مجنون ليلى .
(٤) ح : أبا محمد عبد الله . (٥) الزيادة عن ح .

وسمعت أبا محمد يقول : سمعت أبا طاهر الطيب بن محمد الصوفى < يقول : سمعت محمد ابن الحسين الصوفى(١) > يقول : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت طيفور البسطامى يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول ، قال أبى ، قال أبو يزيد رحمه الله : لو نظرتم إلى رجل أُعطى من الكرامات حتى تربّع فى الهواء فلا تغترّوا به(٢) حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

قال : وسمعته يقول : إذا وقفت بين يدى الله تعالى فاجعل نفسك كأنك مجوسى تريد أن تقطع الزنّار بين يديه .

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى الصوفى قال : حدثنا أبو الحسن الاصطخرى بالرملة قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصرى قال : حدثنا محمد بن أحمد الهروى(٣) قال : حدثنا كرمان بن عبد الله قال : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : ما من عبد اصطنعه الله لنفسه وشغله بذكره وحماه عن مخالفته ، وجعل له محادثة بقلبه ، إلا سلطه عليه فرعون على كل حال من ذلك ، ينكره و يؤذيه .

وأخبرنا أيضاً أبو عبد الله يقول سمعت شنبذبن يقول : وسمعت أبا موسى الدَّيْبُلِى يقول ، سمعت أبا يزيد يقول : طلبت الله ثلاثين سنة فإذا أنا ظننت أنى أردته فإذا هو أرادنى(٤) .

وبهذا الإسناد قال : سمعتُ رجلاً يقول لأبى يزيد : احسب لى ! فألقى عليه(٥) فقال : كم معك ؟ قال : واحد . فألقى مراراً فقال : واحد . فقال الرجل : أيش تقول ؟ فقال : لا أعلم سوى الواحد ، والجمع(٦) يخرج من الواحدِ ، والواحد لا يخرج من الجمع(٦) ، لأن الحساب لا يتم(٧) إلا بالواحد إذا تم ألفٌ ونقص منه واحد يسقط اسم ألف من الآلاف .

وبهذا الإسناد قال : كان أبو يزيد إذا تكلم فى الصفات بالعلم تراه فرحاً بالسكون ؛

---

(١) الزيادة عن ح . (٢) به : ناقصة فى ح .
(٣) ح : الهرى .
(٤) ح : فإذا أنا هو ظننت أنى أردته وإذا أن هو أرادنى .
(٥) فألقى عليه : ناقصة فى ح . (٦) ح : الجميع .
(٧) ح : لاتم .

وإذا تكلم فى علم الذات وثب وقال : أَمَد ! أَمَد ! أَمَد ! بِسِرّ أَمَد !

وبهذا الإسناد قال : عاب رجلٌ على أبى يزيد فقال : إنك تذكر بالزهد والعبادة ولا أعرف لك كثير عبادة . فهاج وقال : إن الزهد والعبادة[1] والمعرفة مِنِّى انشقت .

وبهذا الإسناد قال أبو موسى : قلتُ لأبى يزيد : كيف أصبحتَ ؟ قال : لا صباحَ ولا مساء ؛ إنما الصباح والمساء لمن تأخذه الصفة ، وأنا لا صفة لى .

وسمعت أبا محمد عبد الله بن طاهر الصوفى : سمعت الطيب بن محمد يقول : سمعت محمد ابن الحسين يقول : سمعتُ عبد الواحد بن بكر يقول : سمعت الحسين بن أحمد يقول : أحمد ابن محمد يقول[2] : سمعت أبا موسى الدبيْلى يقول ، سمعت أبا يزيد يقول : رأيتُ فى سِرّى فقيل لى : خزائننا مملوءة من الخدمة ، فإن أردتنا فمليك بالذِّلّة والافتقار .

سمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : سمعنا[3] المتقدمين قالوا إن أبا يزيد لم يجد فى ابتداء أمره ليلة من الليالى حلاوة الطاعة كما كان يجدها . فقال لأبى موسى : أنظر هل تجد فى البيت شيئاً من المأكولات والمطعومات . قال : فدخل ونظر فرأى نصف معلاق عنب . فأخبره[4] . فقال : اعطه أحداً . فصار بيتنا بيت البقالين .

وسمعت يقول : سمعناهم يقولون : أُسْرِجَ ليلةً من الليالى السراجَ ، فكان يظلمه ويُوحشه ضوء ذلك السراج ؛ فقال للقوم حتى فتّشوا عن ذلك : فقالوا : كنا استعرنا قارورة لنأتى بها الدّهن مرة فأتينا بها مرّتين .

وسمعت أبا موسى [٢٦ ب] بن محمد الواعظ يقول حاكياً عن مشايخه إن أبا يزيد قال : خالفت أمّى مرتين ، فأصابتنى المَضَرّة كل مرة : مرةً لى بأن ألقى الشيخ من السطح إلى أسفل الدار فكنت أرميها[5] فقالت : أمسِكْ ! فقدمت فرميت قطعة منها ؛ فأردت أن أدركها طاعةً لها وامتثالاً لأمرها . فسقطتُ من السطح وانفرح أنفى . فكنت أرى

---

(١) ح : قال : يامسكين ! إن الزهد والمعرفة منى اشتقت .
(٢) سمعت الحين ... محمد يقول : ناقصة فى ح .
(٣) سمعنا : ناقصة فى س .
(٤) فأخبره : ناقصة فى ح .
(٥) ح : أربها .

ذلك الفرح من خلافى لها وتركى أمرها . ومرةً أمرتنى بالاستقاء وقالت[1] : احمل جرة . فحملت جرّتين . فلما بَرَزْتُ جاء سكران وضربنى وكسر جرتى ، فرأيت ذلك من خلافى[2] أمرها .

وسمعته يقول : سمعتهم يقولون : قال أبو يزيد لأمه : قولى لى ما تقدم من حالى وما جرى علىّ من قبل بحيث لم أكن أعلمه أنا ، فإنى لا أجد أحياناً حلاوة العبادة . قال : فقالت له : فكرتُ فيما قلتَ ، وفتشتُ عنه فلم أعلم غير أنك كنت تبكى مرةً ، فدَخَلْتُ < عند > بعض الجيران فألعقتك إصبعاً من كامخهم . فاجتهد فى إصلاح ذلك .

وسمعته يقول : قال : سمعت المتقدمين قالوا : إن ليلة من الليالى بكى صبىٌّ لمجوسى فى جواره ولم يكن معهم السراج ؛ فرفع السراج إلى كُوَّتهم حتى سكت صبيهم . فرأوا شفقته . فقالت أم الصبى لأبيه — وقد غابت حين بكائه لما حضر — : ألا ترى إلى شفقة ابن عيسى شروشان[4] وقد فعل مثل هذا ؟ فعجب من شفقته ، ودعت بركة شفقته عليهم[5] أن أسلموا عن آخرهم .

وسمعته يقول : سمعت المتقدمين يقولون : إن أم أبى يزيد قالت له ليلةً من الليالى : اسقنى ! فخرج فى طلب الماء ليسقيها . فلما رجع رآها نائمة . فأمسك الكوز فى يده حتى انتبهت . فلما انتبهت قالت : يا أبا يزيد ! أين الماء ؟ قال : ها هيه . فأخذت الكوز من يده وقد علقه من إصبعه ، فجمد عليه من شدة البرد . فبقى بعض جلد الإصبع على عروة الكوز . فلما رأت ذلك وسألته عنه أخبرها بذلك وقال : هو جلد إصبعى ، قلتُ فى نفسى : إن وضعت الكوز ونمت فلعلك تريدين[6] الماء فلم تريه[7] ، وما أمرتنى بوضعه ، فأمسكته ابتغاء مرضاتك والقيام بأمرك . فقالت له : رضى الله عنك[8] .

وسمعته[9] يقول : سمعت المتقدمين يقولون : قيل له : بم بلغتَ ما بلغت ؟ قال : أنتم

---

(١) ح : قال .
(٢) ع : خلاف .
(٣) س : سمعت .
(٤) س ، ح : سروشان .
(٥) ودعت ... عليهم : ناقصة فى ح .
(٦) ح : تريدون .
(٧) س ، ح : تريته وما أمرتينى .
(٨) ح : عنها .
(٩) وسمعته : ناقصة فى س .

تقولون ما تقولون ، وإنما أرى ذلك من رضا الأمّ .

وسمعت بعض الأبرار قال : سمعت بعض المشايخ يقول : قصد أبو يزيد الجامعَ يوم الجمعة للصلاة وقد جاء المطر من قبل وكان وَحْلاً . فزلقت رجلُه ؛ فوضع إصبعه على جدارٍ فى الطريق فأمسك نفسه بسببه . فلما ثبت تفكر فى ذلك[1] وقال فى نفسه : تفحُّصى عن صاحب الجدار ليجعلنى فى حلٍّ مما تعاطيت وفعلت ، خَيْرٌ[2] لى من أن أمضى إلى المسجد فإن ذلك لا يفوتنى ، فنى الوقت سَعة . فانصرف وتعرف عن صاحب الجدار فقيل : مجوسى . فتقدم إلى باب داره وناداه فخرج إليه فأخبره بالقصة وطالبه أن يجعله فى حِلٍ من ذلك فقال المجوسى : ولكم فى دينكم تلك الدقة وكل هذا الاحتياط ؟ ! آمنتُ بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم . آمَنَ وآمَنَ كلُّ مَنْ فى داره ببركة ذلك الفعل .

سمعت أبا عبد الله الداستانى يقول : وجد ابراهيم الخليل — صلوات الله عليه — صفة فضيلة هذه الأمة فقال : يا رب اجعلهم[3] من أمّتى . قال : لا أجعل ، فهم من أمة أحمد . قال : إذاً أعطنى لسان الثناء فيهم . قال شيخ المشايخ : فوضع الله تعالى الصلواتِ عليه وعلى آله فى « التحيات » وهو إجابته لما سأل من الثناء على ألسنتهم . قال : وهكذا رأى موسى عليه السلام صفة مدائحهم فى التوراة فقال : إلهى ! اجعلهم من أمّتى ! فقال : لا أفعل ، فهم من أمة أحمد . فقال : إن لم تجعلهم من أمّتى فاجعلنى منهم ! فقال : يبعد ظهورهم فلا تلحقهم ولا تصل إليهم . وهكذا [٢٧ ا] رأى عيسى عليه السلام فضائلهم فى الإنجيل فقال : اللهم اجعلهم من أمّتى ! فقال تعالى : لا أجعل ، فهم من أمة أحمد . فقال : إن لم تجعلهم من أمتى فاجعلنى منهم ! قال : فرفعه إلى السماء ليرده إلى الأرض فى آخر الزمان ليكون من هذه الأمّة . — قال الشيخ أبو عبدالله : جرى بعض ذلك بين < يدى > أبى يزيد فقال : تظن أنهم اشتهوا فضائحكم ! بل رأوا رجالاً جاوز رءوسهم العُلا وأرْجُلهم الثرى وهم مفقودون فيما بين ذلك .

سمعته يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قال أبو موسى ابن أخى أبى يزيد : لم يكن

---

(١) ح : فقال .   (٢) ح : خيراً .

(٣) من : ناقصة فى ح .

لأبى يزيدنا فضيلة ومنقَبة بحوزة عنقه[١] ، بل كانت المنقبة لأهلها .

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى الصوفى يقول : سمعت على بن الحسن الدامغانى يقول : سمعت موسى بن عيسى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبايزيد يقول : الاتصال بالله على أربع مقامات .

(المقام الأول) : واقفين متألمين من ثِقَل مايَرِدُ عليهم من الواردات وهم مُتفَرعون ؛

و (المقام الثانى) : يطردهم من حيث يعلمون ، ويردهم من باب آخر ؛

و (المقام الثالث) : يؤخرهم فيقولون : لا نبرح ؛

و (المقام الرابع) : قد أحاط بهم ، فليس يمكنهم البَراحُ .

وسمعت أبا عبد الله يقول : سمعت[٢] بكراً الكسائى يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : كنت عند ذى النون لجاءه[٣] رجلٌ فقال : رأيتَ أبا يزيد البسطامى ؟ فقال : نعم رأيته[٤] فقلت له أنت أبويزيد ؟ فقال : ومن أبويزيد ؟ ياليتنى رأيت أبا يزيد . — فبكى ذو النون ثم قال : إن أخى أبا يزيد[٥] فقد نفسه فى حب الله تعالى فصار يطلبها مع الطالبين .

سمعت محمد بن على الواعظ قال : وفيما أفادنى بعضُ شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد قال : قال أبوموسى الدَّيْبُلِى : دخلتُ على أبى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف يضطرب . فقال لى : تعالَ . ثم قال : إن رجلاً سألنى عن الحياء[٦] فتكلمت عليه بشىء من علم الحياء ، فدار دوراناً حتى صار كذا كما ترى . فذاب .

وبه ، عن الجنيد ، يحكى عن أحمد بن حضرويه هذه الحكاية ثم يقول : بقى منه قطعة كقطعة جوهرة فاتخذتُ منه فصاً ، فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص حتى لم يبق منه شىء .

وبه ، عن الجنيد ، قال : بلغنى عن بعض العلماء ببسطام أنه قال : كان لأبى زيد خادمة

---

(١) س : بحوزه عفه ؛ س : بحوزه عنفة .
(٢) س : بكران .
(٣) ح : لجاء رجل فقلت .
(٤) رأيته : ناقصة فى ح .
(٥) س : أبو .
(٦) عن الحياء : ناقصة فى ح .

كثيرة الاجتهاد والبكاء لا تنام الليل . قال : فكانت ذات ليلة نامت فرأت فى منامها ربَّ العزة كأنه يقول : الناس كأنهم يطلبون غيرى ما خلا أبا يزيد[١] فإنه طلبنى .

قال : وسمعت بعض الناس هذه الحكاية أنها قالت — إذ سمعت نداء الناس — : كلهم عبيدى غير أبى يزيدى[٢] فإنه ولىّ من أوليائى ، لأن كل أحد طلب منى شيئاً ورجع بشىء غير أبى يزيد فإنه طلبنى .

وبه ، عن الجنيد قال : بلغنى عن أبى حامد — يعنى أحمد بن حضرويه — أنه قال : ما كلمت أحداً من الناس إلا دعوته إلى الله ثم كلمته إلا أبا يزيد فإنى متى أردت أن أكلمه دعوته من الله ثم كلمته .

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى قال : حدثنا عبد الواحد الورثانى قال : حدثنا عبد الله بن عبد الجيد الطرزى قال : حدثنا يحيى بن أحمد الجريادقانى قال : سمعت خادم أبى يزيد يقول : سئل أبو يزيد : هل يقع للعارف عن الله حجبة ؟ قال : لا ، لأن حجابه هويته[٣] .

قال : وسمعته يقول : إن أهل المعرفة بالله اجتمعوا فى الأصول على معرفة الواحد ثم تفاوتوا من بعد اجتماعهم على مراد الله فيهم .

قال : وسمعته يقول : نهاية الصدّيقين[٤] أول أحوال الأنبياء .

وسمعته يقول : سمعت على بن الحسن القومَسى قال : سمعت الحسن بن علوية يقول [٢٧ب] : سمعت عَمِّى يقول ، سمعت أبى يقول ، سمعت أبا يزيد يقول : كنت اثنى[٥] عشرة سنة حدّاد نفسى ، وخمس سنين مرآة نفسى ، وسنة أنظر فيما بينهما ، فإذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعة اثنى عشرة[٥] سنة . ثم نظرتُ فإذا فى بطنى زُنّار ، فعملت فى قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لى ذلك ؛ فنظرتُ إلى الخلق < فرأيتهم > مَوْتَى ، فكبَّرْتُ عليهم أربع تكبيرات .

---

(١) ح : أبو يزيد رضى الله عنه . (٢) ح : أبى يزيد .
(٣) س : هديته . (٤) ح : الصلاتين .
(٥) س : اثنى عشر ؛ ح : اثنا عشر .

وسمعت يقول : سمعت مظفر بن عيسى المراغى قال : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الدَّيْبُلِى يقول : سأل رجلٌ أبا يزيد عن المشى فى الهواء فقال : إذا طابت نفس الرجل بقلبه[١] ، وطرب قلبه بحسن ظنه بربّه ، وصح ظنه بإرادته ، واتصلت إرادته بمشيئة خالقه ، فشاء بمشيئة الله ونظر بموافقة الله وترَفَّع قلبُه برفعة الله وتحركت نفسه بقدرة الله وصار حيثما شاء هـذا العبد[٢] بمشيئة الله تعالى ونزل حيث شاء.[٣] الله فى كل مكان علماً وقدرة — فهذا العبد كان معه فى كل مكان ولا يخلو عنه مكان ؛ فإذا كان هذا العبد مع الله فلا يخلو عنه مكان ؛ وإذا لم يكن مع الله فليس هو فى مكان ؛ نَفَس الرجل متصل بقلبه ، وقلبه متصل بظنه ، وظنه متصـل بإرادته ، وإرادته متصلة[٤] بمشيئة الله تعالى . قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدى بى . فإذا كان الله عند ظن العبد إذا ظن فكأن العبد حيثما كان الله ، كما أن الله لا يخلو عن العبد حيث كان العبد ؛ كذلك العبد لا يخلو عن الله بالله حيثما كان الله ، والله لا يخلو عن مكان دون مكان . فإذا صح حسنُ ظن العبد بالله وقع ظنه بربه ، وقلبه بظنه ، ونفسه بقلبه ، فصار من حيث شاء إلى حيث شاء بمشيئة الله ويأتيه كل شىء هو على مكانه بلا عناء[٥] : يأتيه المشرق والمغرب كله فكلما ظن بمكان فالمكان يحضره ، وهو[٦] لا يحضر المكان ، إذ هو لا يزول ثم لا يزول[٧] ، إذ هو مع من لم يزل ولا يزال ، إذ هو من هو لم يزل ولا يزال . فافهم ذلك ؛ تتبعه الأشياء ، ولا يتبع شيئاً ، إنما الأشياء كلها كائن من الله .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : سرتُ إلى بابه فلم أرَ ثمَّ زحاماً ، لأن أهل الدنيا حجبوا بالدنيا ، وأهل الآخرة شغلوا بالآخرة ، والمدّعين من الصوفيـة حجبوا بالأكل والشرب والكُدْية ، ومن فوقهم حجبوا بالسماع والشواهد ؛ وأئمة الصوفية لا يحجبهم شىء من هذه الأشياء ؛ فرأيتهم[٨] حيارى سكارى .

وبهذا الإسناد قال : حكى لأبى يزيد أن سهل بن عبد الله يتكلم فى المعرفة فقال : إن

---

(١) س : بقلبه ربه .
(٢) العبد : ناقصة فى ح .
(٣) ح : شاء إذا الله .
(٤) ح : متصل .
(٥) س : غناء :
(٦) ح : وهؤلاء .
(٧) ثم لا يزول : ناقصة فى ح .
(٨) ح : فراشهم .

مهلاً على ساحل المعرفة سلك ولم يغرق فى اللُّجَج . فقيل له : يا أبا يزيد ! فكيف يكون من غرِق فى اللجج ؟ قال : يغرق على رؤية الخلق حتى يتعطل[١] عن عمارة الدار .

وسمعته يقول : حدثنا محمد بن داود أن القومسى قال : سمعت طيفور بن عيسى ابن أخى أبى يزيد يقول : حدثنى أبى عن أبيه عن أبى يزيد أنه جاء حاتم الأصمُّ زائراً له فقال حاتم : قد قلتُ لتلامذتى : من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعاً[٢] فى أهل النار فيدخلهم الجنة لم يكن لى تلميذاً[٣] . فقال له أبو يزيد : ولكن قد قلتُ أنا لهم : ليس من تلامذتى إلا من وقف يوم القيامة ، فكل من أمر من الموحدين إلى النار أخذ بيده وأدخله الجنة .

قال : وسمعته يقول : سمعت منصور بن أحمد الطوى قال : سمعت أبا سعيد بن الأعرابى بمكة يقول : سمعت أبا موسى الديبُلِى يقول : سمعت رجلا يسأل أبا يزيد فقال : دُلَّنى على عمل أتقرب به إلى ربى ! قال : أحِبَّ أولياء الله ليحبُّوك . فإن الله تبارك وتعالى [١٢٨ ا] ينظر إلى قلوب أوليائه فى كل يوم وليلة سبعين مرة ، فلعله أن ينظر إلى اسمك فى قلب وليّه فيغفر لك .

قال : وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن على الدامغانى قال : سمعت على الولأنى يقول : سمعت عَمِّى موسى بن عيسى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : قال رجل من أهل الحديث لأبى يزيد — وأبو يزيد رضى الله عنه صبى : يا غلام ! تُحْسِن < أن > تصلّى ؟ فقال : نعم إن شاء الله . فقال له كيف تصلى ؟ قال أكبِّر بالتلبية وأقرأ بالترتيل وأركع بالتعظيم وأسجد بالتواضع وأسلم بالتودع . فقال : يا غلام ! إذا كان لك هذا الفهم والفضل والمعرفة ، فلِمَ تدع الناس يتمسحون بك ؟ قال أبو يزيد : ليس بى يتمسحون ، لكن يتمسحون بحلية حلاتها[٤] ربّى . فكيف أمنعهم من ذلك ، وذلك لغيرى !

وسمعته يقول : سمعت عامر بن أحمد قال : سمعت الكتانى يقول : حدثنى أبو موسى الديبُلِى يقول — وكان عالما فاضلاً — قال : دخلت إلى أبى يزيد فسرّنى بقاؤه واستفدتُ

---

(١) ح : تعطل .
(٢) س ، ح : شفيع .
(٣) س ، ح : تلميذ .
(٤) س : حليتها .

منه . ثم قال لى فى وقت خروجى من عنده : يا متقرى[1] ! انظر إن أعطاك كل ما أعطى الأنبياء ، فقل : أريدك ، لا أريد غيرك .

وبهذا الإسناد قال : سمعته يقول : كنت أطوف حول البيت أطلبه ؛ فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى .

وسمعته يقول : سمعت بكران بن أحمد القزوينى قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت استنبه يقول : حضرت مجلس أبى يزيد والناس يقولون : فلان لقى فلاناً : قال أبو يزيد : مساكين ! أخذوا ميّتاً عن ميّت ؛ وأخذتُ علمنا من الحىّ الذى لا يموت .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد : الناس يقولون به ، وأنا أقول منه .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله بن على الدامغانى يقول : سمعت عمى الولانى يقول : سمعت عمى موسى بن عيسى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : وقد قيل له . بم نِلتَ ما نِلتَ — فقال : انسلختُ من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ، ثم نظرت إلى نفسى فإذا أنا هو .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكل بنو آدم أربعين سنة .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن دادويه السّمنانى قال : سمعت الحسن بن علويه يقول : سمعت[2] عمّى يقول : سمعت أبى يقول : دخل أحمد بن حضرويه البلخى على أبى يزيد البسطامى فقال له أبو يزيد : كم تسيح ؟ فقال : إن الماء إذا وقف فى مكان نتن قال : فكن بحراً لا تنتن .

وسمعته يقول : سمعت عبد الله المذكر المعروف بالرستانى قال : سمعت طيفور الصغير يقول : سمعت أبى يقول : سمعت عمّى خادم أبى يزيد <قال : كان أبو يزيد> حاضرا فقال لنا قوموا نستقبل وليا من أولياء الله . فقمنا فلما بلغنا الدرب إذا ابراهيم الهروى المعروف

(١) ح : منصرى .

(٢) سمعت عمى يقول : ناقصة فى ح .

بنسبه على الدرب فقال له أبو يزيد : وقع فى خاطرى أن استقبلك وأتشفع إلى ربى بك . فقال : لو شفعك فى الخلق كلهم لم يكن كثيراً ؛ فإنه شفاعة فى قطعة طين . فتحير أبو يزيد فى جوابه .

وسمعته يقولى : حدثنا إبراهيم المالكى قال : حدثنا محمد بن يوسف عن أبيه عن أبى موسى الدبيْلى قال : سمعت أبا يزيد يقول : طلبت قلبى ليلة من الليالى فلم أجده . فلما كان فى السحر سمعت قائلا يقول لى : يا أبا يزيد ! هو ذا تطلب غيرنا ؟!

وسمعته يقول : حدثنا أبو اسحٰق ابراهيم بن محمد الجنابرى يقول : سمعت الحسن بن علوية الدامغانى يقول : سمعت طيفور الصغير يقول : سمعت عَمِّى خادم أبى يزيد يقول : سمعت أبا يزيد يقول : سبحانى ، سبحانى ! ما أعظم شانى . ثم قال : حَسْبِى من نفسى حَسْبِى .

وسمعته يقول : ترانى عيون الخلق أنى مثلهم ، ولو رأونى كيف صفتى فى الغيب لماتوا دهشا .

قال : وسمعته يقول : الوصل مثل الفصل ؛ ثم الفصل من الوصل ؛ ولكل واحد منهما[١] اسم ومجرى ؛ ولكل مجرى منه علم [٢٨ ب] فصل ، فإذا وصل بفصله أعطى علم غيب أزَلِهِ . فإذا كمل فيه استحكامه[٢] رجع الفصل إلى الفصل بلا إزالة الوصل ولا[٣] نفى الفصل .

وسمعت يقول : انتهى الأمر[٤] إلى معرفة لا إله إلا الله . ثم قال : انتهى إلى معرفة ثنائى وإلى غاية كمالى[٥] .

وسمعته يقول : كنتَ لى مرآة فصرتُ أنا المرآة . وسمعته[٦] يقول : الرجل <هو> الرجل الذى يكون جالساً وتجيئه الأشياء أو يكون جالساً وتخاطبه الأشياء حيث كان .

قال : وسمعته يقول : أدخلنى معه مُدخلا رآنى الخلق كلهم بين إصبعى .

---

(١) ح : منهم .
(٢) ح : باستحكامه .
(٣) س : فلا تعجب .
(٤) الأمر : ناقصة فى ح .
(٥) س : كما قلالى .
(٦) وسمعته يقول : فى س : قال .

قال : وسمعته يقول : حججتُ أول حجة فرأيت البيت ؛ وحججت الثانية < ف > رأيت صاحب البيت ولم أر البيت[١] . وحججت ثالثاً فلم أر البيت ولا صاحب البيت .

قال : وسمعته يقول : يُرْزَق العبد الحلاوة ؛ فلفرحه به يمنعه عن حقائق القرب .

قال : وسمعته يقول : أدنى صفة العارف أن تجرى فيه صفات الحق وجنس الربوبية .

قال : وسمعته يقول : العابد يعبده بالحال ؛ والعارف يعبده فى الحال .

قال : وسمعته يقول : وددت أن الله تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة فأعطانيها حتى أنبِذَها بين يَدَى كلب حتى لا يغتر به الخلق . ولو عذبنى فى نار جهنم مكان الخلق جميعاً لما كان منى بكبير بما ادعيت أنى أحبه ؛ ولو غفر لجميع الخلق لما كان منه بكبير[٢] حيث قال : إنى على الخلق رؤف رحيم .

وسمعت[٣] أبى يقول : حدثنا على بن بندار المثنى ، قال : حدثنا عمويه يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى[٤] يقول : أهل المعرفة مع الله تعالى[٥] على ثلاثة[٦] مقامات : فقوم طلبوا الله عز وجل من حيث الغفلة عنه ؛ وقوم هربوا من الله سبحانه من حيث العجز عنه ؛ وقوم وقفوا فيما لا طلب لهم معه ولا هرب لهم عنه .

وسمعته يقول : حدثنا على بن بندار المثنى قال : حدثنا عمويه البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : رأيت جماعة وردوا وقالوا : يا أبا يزيد ! كنا نسمع كلام ذى النون وأبى سليمان ونتفع به ؛ ومنذ سمعنا كلامك تبشرنا وتركنا كلامهما . فقال : نِعْمَ القوم ! تكلموا من بحر صفاء الأحوال ؛ وأنا أتكلم من بحر صفاء المنة ؛ فتكلموا ممزوجاً وأتكلم صرفاً . كم بين[٧] من يقول : أنا وأنت ، وبين[٧] من يقول : أنت أنت !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن داويه السّمنانى يقول : سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصرى يقول لبعض من أراد أن

(١) وحججت الثانية ... البيت : ناقصة فى ح .
(٢) س : لكبير .
(٣) س : سمعته . وسمعته ... حدثنا (عمويه) : ناقصة فى ح .
(٤) ح : قدس الله سره وروحه العزيز . (٥) ح : سبحانه .
(٦) س : ثلاث . (٧) ح : بينى .

يزور أبا يزيد ، قلْ لأبى يزيد : إلى متى هذا النوم والراحة وقد جازت[١] القافلة ؟ ! قال فخرج الرجل قاصداً إلى أبى يزيد وسلَّم عليه فقال : ذو النون يقرئك السلام ويقول : إلى متى النوم والراحة ؟ فقال أبو يزيد : قل لأخى ذى النون إن الرجل كلَّ الرجلِ من ينام الليل كله . فإذا أصبح أصبح آمناً فى المنزل قبل نزول القافلة . قال: فرجع الرجل إلى ذى النون وأخبره فقال : هذا كلام لا تبلغه أحوالنا . هنيئاً له !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن دادويه السِّمنانى قال : سمعت عبد الله بن سهل يقول : سمعت أبا موسى الدَّيْبُلِى يقول : سمعت أبا يزيد وقد سئل عن اللوح المحفوظ فقال : أنا اللوح المحفوظ .

قال : وسمعته يقول : لا تغترُّوا باللوائح ، فإنها تلوح من متاهات يضيع فيها من لا سابقة له .

قال[٢] : وسمعته يقول : سمعت مظفر بن عيسى المراغى يقول[٢] : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الديْبُلِى[٣] يقول : سمعت أبا يزيد يقول : توبة الناس من ذنوبهم وتوبتى من قولى : لا إله إلا الله . إنى أقول بالآلة والحروف ، والحق خارج عن الحروف والآلة .[٥]

[١٢٩] وبهذا الإسناد قال أبو يزيد : توبة المعصية واحدة ، وتوبة الطاعة ألف توبة .

وبهذا الإسناد يقول : قال أبو يزيد : لو تغفر من رأس آدم إلى يوم القيامة غفرت عن قبضة تراب . ولو تحرق بالنار من رأس آدم إلى يوم القيامة أحرقت قبضة تراب[٤] .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : أهل خاصة الله تعالى على أربع منازل : فطائفة هم مقيمون مبهوتون ، لا يحتملون ما يرد عليهم ، فهم يريدون الخلاص من ثقل ما يرد عليهم ؛ إلا أنهم ممنوعون من الاختيار . وطائفة يوادُّهم فيقولون : لا نبرح . وطائفة قد أحاط بهم ولا يمكنهم البراح .

وبهذا الإسناد سمعته يقول : قال أبو يزيد : كنت ثلاثين سنة أذكر الله ؛ ثم سكنت، فإذا حجابى ذكرى له .

---

(١) س : وجاوزت .
(٢) قال : ناقصة فى ح .
(٣) س : الدئيل .
(٤) ولو تحرق ... تراب : ناقصة فى س .

(٥) يريد أن: التوحيد الحقيقى هو توحيد الروح ، وتسبيح الروح ، بغير حروف ولا لسان ، بشهود المعبود وإسكات اللسان ، وهو لا يتحقق إلا بكشف الحجاب وأن يصير مثل الملائكة .

وبهذا الإسناد سمعته يقول[١] : قال أبو يزيد : الناس كلهم يقولون به ، وأنا أقول منه .

وسمعت أبا علي عبد الله بن ابراهيم الواعظ فيما استفاد عن بعض مشايخه أن أبا يزيد قال : علامة الانتباه خمسة : إذا ذكر نفسه افتقر ؛ وإذا ذكر حَوْبته استغفر ؛ وإذا ذكر الدنيا اعتبر ؛ وإذا ذكر الآخرة استبشر ؛ وإذا ذكر المولى افتخر .

وسمعته يقول : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن طاهر بن يوسف الشيرازي قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن أحمد الحميدي قال : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الله ؛ سمعت أبا عبد الله القرشي[٢] يقول : قال لي الجنيد : قال لي السري[٣] السقطي : قال أخي أبو يزيد طيفور ابن عيسى : من نظر إلى الخلق بعين العلم مَقَتهم وهرب إلى الله عز وجل ؛ ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم وكان طريقاً لهم إليه .

قال : وقال أبو يزيد : منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله عز وجل تمضمضتُ وأغسل لساني إجلالاً لله عز وجل .

وقال : عند نسيان النفس ذكرُ باريء النفس .

وقال : كمال العارف احتراقه بمحبّة ربه .

وقال : من أظهر من نفسه علم الأزل يحتاج أن يكون معه نورُ الذات .

وسمعته[٤] يقول : أخبرنا محمد بن الحسين — إجازةً — قال سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمر البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سمعت أبا يزيد[٥] يقول : من لم ينظر إلى شاهدي بعين الاضطرار[٦] ، وإلى أوقاتي بعين الاغترار ، وإلى أحوالي بعين الاستهزاء[٧] ، وإلى كلامي بعين الافتراء ، وإلى عبادي بعين الاجتراء ، وإلى نفسي بعين الإزراء ، فقد أخطأ النظر فيّ .

قال محمد بن الحسين : ذكرت لأبي عثمان المغربي هذه الحكاية فقال : لم أسمع لأبي يزيد حكاية أحسن منه .

---

(١) وبهذا ... يقول : ناقصة في س .
(٢) ح : حدثنا عمر بن محمد بن عبد الله القرشي يقول ...
(٣) ح : سري .
(٤) س : وسمعت منصور ...
(٥) ح : أبا يزيد البسطامي .
(٦) س : الاضطراري .
(٧) س ، ح : الاستدراج .

قال : وسمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمر البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : لوْ صَفَالى تهليلةٌ ما بالَيْتُ بعدها بشىء .

سمعت أبا عبد الله الشيرازى الصوفى قال : سمعت مظفر بن عيسى المراغى يقول : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الدبيْلِى[1] يقول : سمعت أبا يزيد يقول : أوفى صفة العارف أن تجرى فيه صفات الحق ، ويجرى فيه جنس الربوبية .

وبهذا الإسناد قال : سمعته يقول — وقد سأله رجل : كيف الأمر[2] الذى هو لا يعرف ؟ — فقال : منه علا ، وإليه وصل . ثم قال : الوصل من الفصل ؛ ثم الفصل من الوصل ؛ ولكل واحدٍ منهما اسمٌ فى مجراه ، وهو يأتيه مختلفاً لأن كل مجرى منه علم فصل ؛ فإذا وصل بفصله أعطى علم غيب أزله ؛ فإذا كمل فيه باستحكامه رجع الفصل[3] إلى الفصل بلا إزالة الوصل ولا نفى الفصل .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول وقد سئل عن الزاهد فقال : الزاهد هو الذى يلحظ إليه لحظة ، فيبقى عنده ، ثم لا يرجع نظره إلى غيره ؛ والعابد هو الذى يرى مِنة الله تعالى عليه فى العبادات أكثر من العبادة حتى تغرق عبادته فى المنة .

وبهذا الإسناد سمعت أبا يزيد يقول : الأسماء كلها اسم الصفات ؛ و «الله» اسم الذات . الاسم علامة المعنى ؛ [٢٩ ب] والمعنى علامة تعرف[4] بها الذات ؛ والأسماء علامة تعرف بها الصفات[5] ؛ والصفات علامة تعرف بها الذات ؛ فمن أقر بالصفات ولم يقر بالذات فليس بمسلم . ومن أقر بالذات قبل الصفات فيسمى مسلماً ويجب أن يقر بالصفات . والدليل على ذلك ، لو أن رجلا قال : لا إله إلا الرحمن ، أو لا إله إلا الرحيم ؛ ثم يأتى على الأسماء كلها ، لا يكون مسلما حتى يقول : لا إله إلا الله . ومن أقر بهذا الاسم الواحد ، وهو الله ، فالأسماء كلها داخلة فى هذا الاسم ، وخارج منها . يخرج من هذا الاسم معانى الأسماء كلها ، وتدخل

---

(١) ح : الدئبلى . وورد هكذا فى ح : يقول أبا موسى الدئبلى يقول أبا موسى الدئبلى يقول سمعت ...
(٢) س : كيف هذا إلا الذى ...
(٣) بفصله أعطى ... رجع الفصل : ناقص فى ح .
(٤) س : يعرف به .
(٥) والأسماء ... الصفات : ناقصة فى ح .

فى هذا الاسم وجوه الأسماء ، ولا يحتاج هذا الاسم من اسم سواها . والدليل على ذلك أن الله تعالى تفرد بهذا الاسم دون خلقه وأنه شارك خلقه فى أسمائه كلها سوى هذا الاسم . ويجوز أن يسمى الرجل عالماً ورحيما وكريماً على معانى هذه الأسماء . ولا يجوز أن يسمى الرجل « الله » فإنه اسمه لا إله إلا الله . وما دعا أحد الله باسم من الأسماء كلها إلا ولنفسه فى ذلك نصيب ، إلا « الله » ، فإن ذلك حظ الله من عبده[١] . ومعنى ذلك أن من طالب ربه برحمته فيقول : يا رحيم ! ومن طالب بكرمه فيقول : يا كريم ! ومن طالبه بجوده فيقول : يا جواد ! فكل اسم تحته معنى يدعوه إلى نصيب الناس من أمر الدين والدنيا إلا « الله » ؛ فإن هذا الاسم يدعوه إلى وحدانية الله تعالى ، وليس للنفس فى[٢] هذا نصيب . ومن أراد من الله عطاءاً يدعو الله بأسماء الصفات ، ومن أراد من ذات الله يدعو الله بأسماء الذات .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنا على بن أحمد القومَسى قال : حدثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا خلف بن عمر قال : حدثنا عَمِّى خادم أبى يزيد : قال : سمعت أبا يزيد يقول : ذكرته بذكر أصناف خلائقه حتى ذكر[٣] أصناف الخلائق لذكرى ، ثم ذكرته بذكره حتى ذكرنى لذكرى .

وقال : أعرفه بى حتى فنيت ، ثم عرفته به فحييت .

وحدثنى أبو الحسن على بن محمد القومسى[٤] قال : حدثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى[٥] قال : حدثنى موسى بن عيسى قال : حدثنى أبى عيسى آدم بن أخى[٦] أبى يزيد قدس الله روحه قال : قال : أبو يزيد : أحببت الله حتى أبغضت نفسى ؛ وأبغضت الدنيا حتى أحببت الله ، وتركت الدنيا حتى[٧] وصلت بالله واخترت الخالق على المخلوقين حتى آنست به .

وبهذا الإسناد : قال أبو يزيد : خرجت إلى الحج فرأيت فى الطريق أسودَ فقال لى :

---

(١) ح : من عنده وحق ...
(٢) ح : فيها .
(٣) س ، خ : ذكروه
(٤) س : القوهى . ح : القوى (القومسى ؟) .
(٥) ح : حدثنا عيسى قال : حدثنا بى (كذا) عيسى بن آدم ...
(٦) س ، ح : أخ .
(٧) حتى : ناقصة فى ح .

يا أبا يزيد ! إلى أين ؟ فقلت إلى مكة . فقال : الذى تطلبه تركته[١] ببسطام وأنت لاتدرى ! تطلبه وهو أقرب إليك من حبل الوريد ؟ !

وبهذا الإسناد ، أنه سُئِل فقيل : متى يصل العبد إلى الله تعالى ، فقال : يا مسكين ! وهل وصل إليه أحد ! لو بدا للخلق منه ذرة ما بقى الكون ولا ما هو فيه !

وبهذا الإسناد عنه أنه قال : من نظر إلى الناس بالعلم مقتهم ؛ ومن نظر إلى الناس بالحقيقة رحمهم .

وعنه أنه قال : من نظر إلى الخلق بالخلق أبغضهم ؛ ومن نظر إلى الخلق بالخالق رحمهم .

وبهذا الإسناد : سمع رجلا يقول : عجبت ممن[٢] عرف الله كيف يعصاه ![٣] فقال رضى الله عنه : عجبتُ[٤] ممن عرف الله كيف يعبده !

وبهذا الإسناد قال : لله عباد لو بدت لهم الجنة بزينتها لضجوا منها كما يضج أهل النار من النار .

وبهذا الإسناد أنه سُئِل : متى يكون الرجل عاملا على معنى العبودية ؟ فقال : إذا لم يكن له إرادة . فقيل : كيف يكون ذلك ؟ قال : تكون إرادته وتمنيه وشهوته داخلة فى محبة ربه ، ولا تتقدم له إرادة فى شىء أبداً حتى يعلم إرادة الله عز وجل ومحبته فيه .

وبهذا الإسناد عن عيسى أنه قال : كنت عند أبى يزيد قدس الله روحه[٥] ، فذكر عنده الجاه والنفس فقال : يا أبا موسى ! إن المؤمن بلا نفس . ثم قرأ[٦] : « إن الله اشترى [١٣٠] من المؤمنين أنفسهم[٧] » فمن باع نفسه فكيف تكون له نفس ؟ !

وبهذا الإسناد أنه قال : أول مقام التوحيد أن يقول العلم قائلا ومستمعاً (١) .

وبهذا الإسناد أنه سئل عن الاسم الأعظم فقال : فى قولك لا إله إلا الله[٨] ، وأنت لا تكون هناك .

وقال مرة أخرى : لا إله إلا الله وكنت أنت ثَمَّ .

---

(١) ح : تركت . (٢) ح : من .
(٣) س ، ح : يعصيه . (٤) ح : فمن .
(٥) قدس الله روحه : ناقصة فى ح . (٦) يا أبا موسى ... قرأ : ناقصة فى س .
(٧) سورة التوبة : آية ١١٢ . (٨) ح : هو .

(١) يسمع من الله فيقول ما يسمعه للناس ، كما قال الخضر : (وما فعلته عن أمرى) . فهو نعل ما أمره به

وبهذا الإسناد قال : جاء رجل إلى أبي يزيد فقال له : أريد أن أجلس فى مسجدك[١] الذى أنت فيه . فقال : لا تطيق ذلك . فقال : إن رأيت أن توسع لى فى ذلك ؟ فأذن له . فجلس يوماً ، فلم يطعَم وصبر . فلما كان فى اليوم الثانى فقال له : يا أستاذ ! نريد القوت . قال : يا غلام ! القوتُ عندنا اللهُ . فقال : يا أستاذ ! لا بد مما لا بد منه . قال : يا غلام ! لا بد من الله . قال : يا أستاذ ! أريد شيئاً يقيم[٢] جسمى فى طاعتى الله . فقال : يا غلام ! إن الأجسام لا تقوم إلا بالله .

وسمعت أبا نصر أحمد بن محمد الدامغانى حاكياً عن مشايخه أنهم قالوا : سئل أبو يزيد: ما التصوف ؟ قال : صفةُ الحق يلبسها العبد .

وسمعته يقول : سمعت بعض المشايخ يقول : قال أبو يزيد : رأيت ربَّ العزة فى المنام فقال لى : كل الناس يطلبون مِنّى ، غير أنك تطلبنى .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن بكر[٣] الغزالى أنه قال : سئل أبو يزيد عن قول الله تعالى : «هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن»[٤] . قال : هو « الأول » بكشف أحوال الدنيا حتى لا يرغبوا[٥] فيها ؛ « والآخر » بكشف أحوال الآخرة حتى لا[٦] يشكّوا فيها ؛ «والظاهر» على قلوب أوليائه حتى يعرفوه[٧] ؛ « والباطن » على قلوب أعدائه حتى ينكروه .

وأخبرنا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى قال : سمعت أبا بكر بن إدريس يقول : سمعت حَمُّويَه يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : إن فى الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون إلى أن تطلبوا المعاصى .

وأخبرنا أبو على قال : أخبرنا أبو يعقوب اسحٰق بن ابراهيم الحافظ بِهَرَاة يقول : سمعت محمد بن الفضل[٨] الوراق يقول : سمعت شيخا بخاريا بمروالروذ يقول : سئل أبو يزيد فقيل له : إن الناس يقولون إن شهادة أن لا إله إلا الله مفتاح الجنة . قال : صدقوا ؛ ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق ، ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء : لسان بغير كذب ولا غيبة[٩] ،

---

(١) ح : مجدى .
(٢) ح : يقم .
(٣) ح : بن أبى بكر .
(٤) سورة الحديد : آية ٣ .
(٥) س ، ح : يرغبون .
(٦) ح : يشكون .
(٧) س ، ح : يعرفونه .
(٨) ح : فضل .
(٩) ح : كذب وغيبة .

وقلب بغير مكر[١] ولا خيانة ؛ وبطن بغير حرام[١] ولا شبهة ؛ وعمل بغير هوى[١] ولا بدعة.

وأخبرنا أيضاً أبو على قال : أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن[٢] صالح الوراق الشجرى[٣] بهراة قال : أخبرنا أبو محمد محمد بن أحمد بن محمد[٤] بن الفضل قال : سمعت الحسن بن علوية يقول : قال أبو يزيد : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم خِلَعاً من خِلَعه ؛ فشغلوا بالخلع عنه ؛ وإنى لا أريد من الله إلا الله.

وأخبرنا أبو على قال : أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد قال : أخبرنا أبو محمد ، قال : سمعت ابن علوية يقول : قال أبو يزيد : عَرَجَ بروحى فخرقت الملكوت فما مررتُ بروح نبى إلا سلمت عليه وأقرأتها السلام غير روح محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان حول روحه ألفُ حجاب من نور كادت[٥] أن تحترق عند أول لمحة.

وأخبرنا أبو على قال : أخبرنا أحمد بن محمد المالينى الصوفى يقول : سمعت على بن محمد الدينورى[٦] يقول : سمعت ابراهيم بن شيبان يقول : قال أبو يزيد البسطامى : كنت قاعداً يوماً من الأيام فخطر لى أنى شيخُ الوقت . قال : فخرجت إلى طريق خراسان فجلست وجعلت على نفسى وآليت عليها أن لا أقوم حتى يوجِّه إلىَّ الحقُّ مَن يعرّفنى نفسى ؛ فبقيت ثلاثة أيام بلياليها قاعداً . فلما أن كان اليوم الرابع أشرف علىّ رجل أعور على راحلته فشهدت فيه حالاً فأخرجت يدى وأومأت إلى الجمل فغاص رجليه فى الأرض اليبسة فنظر إلىّ وقال : تُلجئنى إلى أن أفتح عينى[٧] المغلوقة ، فأُغرِقَ بسطامَ وأهلها وأبو يزيد فيهم ؟ ! ثم التفت إلىّ فغشى علىّ فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وقت الذى عقدت بينك [٣٠ ب] وبين الحق ، وقد جئتك ثلاثة آلاف فرسخ . ثم قال : يا أبا يزيد ! احفظ قلبك ! — وحوّل وجهه عنى ومرّ.

أخبرنا أبو على قال : أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله بن جهضم الهمذانى بمكة قال : حدثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن بن على الدامغانى قال : كان رجل من أهل بسطام

---

(١) ولا : ناقصة فى ح .
(٢) ابن أحمد : ناقصة فى ح .
(٣) ح : البجرى .
(٤) ابن أحمد بن محمد : ناقصة فى ح .
(٥) س : كانت . ح : وكادت .
(٦) سمعت ... الدينورى : ناقصة فى ح .
(٧) س : عيونى .

لا ينقطع عن[1] مجلس أبى يزيد ولا يفارقه . فقال له ذات يوم : أستاذ ! أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل ؛ وقد تركت الشهوات وليس أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئاً بتّةً ، وأنا أؤمن بكل شىء تقول وأصدّق به . فقال له أبو يزيد : لو صُمْتَ ثلثمائة سنة وقُمْتَ ثلثمائة سنة وأنت على ما أراك[2] لا تجد من هذا العلم ذرة . قال : ولِمَ يا أستاذ ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك . قال له : فلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب ؟ قال : نعم ! ولكنك لا تقبل ولا تعمل . قال : بلى ! أنا أقبل وأعمل ما تقول . فقال له أبو يزيد : اذهب الساعة إلى الحجّام واحلق رأسك ولحيتك وانزع منك هذا اللباس واتزر بعباءة وعَلق فى عنقك مخلاة واملأها[3] جوزاً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك : يا صبيان ! من صفعنى صفعة أعطيته جوزة . وادخل إلى سوقك التى تعظم فيه وينظر إليك كلُّ من عرفك على هذه الحالة . فقال : يا أبا يزيد ! سبحان الله ! تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا ؟ فقال أبو يزيد : قولك : « سبحان الله » شِرْكٌ . قال : وكيف ؟ قال أبو يزيد : لأنك عظمت نفسك فسبّحتها . فقال : يا أبا يزيد ! هذا ليس أقدِر عليه ولا أفعله ؛ ولكن دُلّنى على غير هذا حتى أفعله . فقال له أبو يزيد : ابتدأ بهذا قبل كل شىء حتى تُسقط جاهك وتُذِل نفسك ، ثم بعد ذلك أعرّفك ما يصلح لك . فقال له : لا أطيق هذا . قال : قلت إنك لا تقبل وأنا أعلم .

وأخبرنا أبو على قال : أخبرنا أبو الحسن ، قال : حدثنا أبو الفتح أحمد بن الحسن ، قال : أخبرنا على بن جعفر عن أبى موسى قال : كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه ، عالم تلك الناحية ، فقصَدَ أبا يزيد وقال له : قد حُكِى لى عنك عجائبُ . فقال له أبو يزيد : وما لم تسمع من عجائبى أكثر . قال : علمك هذا عمّن ومن أين ؟ فقال أبو يزيد : على من عطاء الله عز وجل ، ومن حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عَمِل بما يعلم ورّثه الله عِلمَ ما لا يعلم ؛ ومن حيث قال : العلم عِلمان : عِلمٌ ظاهر وهو حُجّة الله على خلقه ، وعلم باطن وهو العلم النافع . فعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم[4] لا للعمل ، وعلى

---

(١) عن : ناقصة فى س .
(٢) س ، ح : أريك .
(٣) س ، ح : املأه .
(٤) ح : المتعلم .

من الله إلهامات من عنده . فقال له الشيخ : على بالتأكيد عن الثقات : أكابرَ عن أكابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربّه عز وجل . فقال له أبو يزيد : يا شيخ ! كان للنبى صلى الله عليه وسلم عِلمٌ عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل . قال : نعم ! ولكن أريد أن يصحّ لى أن علمك الذى تقول هو .

قال[1] : نعم ! أثبته لك على قدر ما يستقر فى قلبك معرفته . ثم قال : يا شيخ < أما > علمت أن < الله > عز وجل كلم موسى تكليماً قبلاً ، وكلم محمداً صلى الله عليه وسلم ورآه كفاحاً ، وكلّم الانبياء وحياً ؟ قال : بلى ! ثم قال : أيها الشيخ ! أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالإلهام منه لهم ، وفوائده وتأييده لهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة ؟ ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله عز وجل أمَّ موسى أن تلق موسى فى التابوت حتى حملت ولدها وألقته فى اليمّ . وكما ألقى الخضر أمر السفينة وأمر الغلام وأمر الحائط ، وقوله لموسى : وما فعلته عن أمرى ، وأتاه علماً من عند الله عز وجل < فى > قوله : « وعلّمناه من لَدُنّا علماً[2] » . وكذلك ألهم يوسف فى السجن . وكما قال أبو بكر لعائشة إن ابنة خارجة حامل بابنة ؛ فولدت جارية . فقال : إنما أُلهمت ذلك . وما ألهم عُمَرَ وكان على المنبر فنادى : يا ساريةَ الجبلَ ! ومثل هذا كثير . وأهل الإلهام قومٌ خصّهم الله بالفوائد فضلاً من الله عليهم وكرامةً منه . وقد فضّل الله بعضهم على بعض فى الإلهام والفراسة . فقام الشيخ وقال : أعطيتنى أصلاً وشفيت صدرى .

وقال أبو يزيد : الجنة اثنتان : جنة النعيم ، وجنة المعرفة ؛ فجنة المعرفة أبدية ، وجنة < النعيم > مؤقتة .

قال : وحدثنى أبو الحسن على بن محمد القومَسى قال : حدثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى قال : حدثنى موسى بن عيسى قال : حدثنى أبو عيسى بن آدم بن أخى أبى يزيد قدس الله روحه أنه سمع رجلا يقول : < الله أكبر ! > فقال : ما معنى : الله أكبر ؟ فقال الرجل : أكبر من كل شىء . فقال له : ويحك ! حدّدْتَه ؛ أوَ كان معه شىء فيكون أكبر منه ؟ ! فقال الرجل : ما معنى الله أكبر ؟ فقال أبو يزيد : أكبر من أن يقاس

(١) من هنا تأتى قرابة عشرين ورقة من مخطوطة حلب لم ترد فى مخطوط بغداد .

(٢) سورة الكهف : آية ٦٤ .

بالناس ، أو يدخل تحت القياس [٦٢] أو يدركه الحواس .

وبهذا الإسناد أنه قيل له : من تأمرنا أن نصحب ؟ قال : < من > إذا مرضتَ عادك ، < و > إذا أذنبت تاب < عليك > .

وبهذا الإسناد أنه قيل له : أليس الله يعطى العباد الجنةَ برضاه ؟ < فقال > : إن أعطى عبداً من عباده رضاه ، < ف > ما يرجو بقصور الجنة ؟!

وسمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسى قال : سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن الغميسى البُستى القادم علينا حاجًا سنة أربع وسبعين قال : سمعت موسى البسطامى المعروف بعمى ؛ سمعت أبى يقول : قال رجل بين يدى أبى يزيد يوماً : « الله » ! — فزبره أبو يزيد زبرة وقال : اسكت ! ثم قال عمى : أراد أبو يزيد أن لا يذكر العبد معبوده على الغفلة(١) .

قال : وسمعت أبا الحسن يقول : سمعت محمد بن الحسن الصوفى يقول : سمعت أبا موسى الدَّيْبُلِى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : سأله رجل فقال : دُلّنى على عمل أتقرب به إلى الله ! فقال : تحبُّ أولياء الله وتحبّب إليهم ليحبوك ، فإن الله ينظر إلى قلوب أوليائه فى كل يومٍ وليلةٍ سبعين مرة . فلعله أن ينظر إلى اسمك فى قلب ولىّ من أوليائه فيحبَّك ويغفر لك .

وسمعت أبا الحسن قال : سمعت الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوى النقيب يقول : سمعت معروف بن محمد الأميرى يقول : [٦٣] قال أبو يزيد البسطامى — قدس الله روحه — : سِرْ فى ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد ؛ وطِرْ فى ميدان التفريد حتى تلحق وادى الديمومية . فإن عطشت ، سقاك كأساً لا تظمأ من الذكر بعدها أبداً .

وسمعت أبا الحسن قال : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن جعفر النيسابورى قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل قال : سمعت خالى على بن الحسين يقول : سمعت الحسن ابن على بن حنويه يقول : قيل لعمى ، وهو أبو عمران موسى ، ابن أخى أبى يزيد طيفور ابن عيسى البسطامى قال : سمعت أبى يقول : خرج أبو يزيد حاجًا مع عديل له من أهل

---

(١) ح : الغفل .

بسطام . فلما أراد الحاجُّ دخولَ البادية عمد أبو يزيد فاشترى شيئاً من الحوائج وحمل على الجمل الذى عليه محماله . فقال له عديله : كل هذه الأمتعة لا يحمله الجمل . و < ظل > ينهاه عن ذلك وأبو يزيد يتغافل عنه ، وكان يضع أمره على قلة الورع . فلما ارتحل ، قال أبو يزيد لعديله : يا مسكين ! طأطئ رأسك ! هل نحن على ظهر الجمل ؟ فنظر فإذا الجمال تمرُّ ، وإذا[1] المحامل فى الهواء تمر فوق ظهر الجمل . فتعجب وقال : يا أبا يزيد ! المحامل بينها وبين ظهور الجمال أكثر من ذراع . فقال أبو يزيد : إذاً فلا تكثر عليَّ . فقلتُ : بمَ نلت هذا يا أبا يزيد؟ فقال : يا مسكين ! هل يقوم أحدٌ على هذا غير الله ؟

وبإسناده [٦٤] قال : سمعت عمى يقول ؛ سمعت أبى يقول : كان أبو يزيد إذا أراد الخلوة دخل بيتاً فجعل يحشو ثُقُب البيت كلها لئلا يدخل فيه صوت ويقول : هذا شَغل عن ربى .

قال : وسمعت الشيخ أبا عبد الله الداستانى يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن بعض الناس طعن فى أبى يزيد طعنة . فسمع بعضُ محبّيه قوله فلطمه لطمةً ، فبلغ ذلك أبا يزيد — رضى الله عنه — فقال : إن لم يكن مثل ذلك الرجل ، فمن يلطم مثل تلك اللطمة !

وسمعته يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : إن أبا يزيد أمر بعض تلامذته أن يشترى له الخبز فاشترى . فلما وجده رآه مُحاشاً[2] . فأمره برده على صاحبه وقال : كأنهم يقولون إنهم متقرّبون يأكلون كيفما يكون ! < و > أمره أن يأخذ الأجود والأبيض

وسمعته يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : قال أبو يزيد : إذا كان هو الواحد ، فما أكثر ما تحتاج إليه حتى تكون رجلاً !

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين قالوا : جاء واحد من خراسان وقال : إن أهل خراسان يسلمون عليك . فقال له : قل لرءوس خراسان إن تقتدروا أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه من الأول من الفناء ، إن لم يكونوا ، وإلا فكان هذا الصلاح نسياً هبت عليكم !

وسمعت محمد بن أحمد المذكر [٦٥] يقول : سمعت بعض مشايخى يقول : حكينا أن أبا يزيد — رضى الله عنه — بلغه أن فلاناً المجوسى جارَه قد مرض فدخل عليه عائداً .

---

(١) ح : وأرى .

(٢) المُحاش (بضم الميم) : المحترق .

فلما بَصُرَ المجوسى بأبى يزيد [ف] أزال رأسه من فراشه ووضع خده على التراب تعظيماً وإجلالاً لأبى يزيد . قال : فلبث ساعة ثم قام منصرفاً . فلما توسط الدار رفع أبو يزيد[١] طرفه إلى السماء كأنه سأله[٢] فيه . فلما بلغ الدهليز إذا ببعض أولاد المجوسى جاء على أثر أبى يزيد يقول[٣] : إن أبى يقول : بحق الله عليك لا انصرفت . فما انصرفت . فقال : يا أبا يزيد ! اعْرِض علىّ الإسلام . فعرض عليه . فأسلم . وقضى المجوسى مكانه . فقام أبو يزيد بأمره حتى دفنه .

وبه ، قال أبو يزيد لرجل قد صلى فى مسجده : إن زعمت أن صلاتك مواصلة فهى مفاصلة : إن تركتها كفرت ، وإن شاهدتها أشركت .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : سمعنا المتقدمين يحكون أن أبا يزيد — قدس الله روحه — قال : يقول الخراسانى — يعنى الصوفى — : خَلِّ الكُنْدوج ! خَلِّ الكُنْدوج[٤] ! إنك إذا خليت الكُنْدوج فلا ينبغى أن تطمع فى سبعين أخرى .

وسمعت محمد بن أحمد المذكر يقول : سمعت بعض مشايخى يقول : حكينا عن أبى يزيد رضى الله عنه أنه قال : عجباً من الحبيبين ! حياء العبد من العصيان ، وحياء المعبود من العقوبة (٦٦) على العصيان — يعنى بذلك قوله : استحْيِ ! قال : فإنى أستحيى منك أن أحرقك بالنار .

وبه ، يحكى أنه جاء شقيق[٥] وأبو تراب فقدم إليهما ، وكان أصحاب أبى يزيد قاموا لخدمتهما[٦] — فقال له أبو تراب : كُلْ معنا ولك أجر شهر . فقال : أنا صائم . فقال أبو يزيد : دعوه ، فإنه سقط من عين الله . فما مضى إلا مدة يسيرة حتى أُخِذَ الرجل فى سرقة فقطعت يداه .

وبه ، قال أبو يزيد : العارف لا يكدره شىء ، ويصفو له كل شىء .

---

(١) ح : أبا يزيد .
(٢) أى : سأل الله فى هذا المجوس المريض حتى يسلم .
(٣) ح : أن أبى يزيد يقول إن أبى ...
(٤) الكندوج (بضم الكاف) : شبه المخزن ، معرّب كَنْدُو .
(٥) أى شقيق البلخى وأبو تراب النخشبى .
(٦) ح : قام لخدمها .

وبه، قال أبو يزيد: من عرف الله صار على النار عذابا، ومن جهل الله صارت عليه عذابا؛ ومن عرف الله صار للجنة ثواباً، وصارت الجنة عليه وبالا.

وبه، قيل لأبي يزيد: مالك والدعوى؟ فأجاب: أين الدعوى؟! المدعى هو الله، والله حيث قال: يا عبادى.

وسمعت أبا عبد الله الداستانى يقول: سمعنا المتقدمين قالوا: قال أبو يزيد — رضى الله عنه: كل يوم يدخل ألف نفر فى هـذا الفريق. فإذا كان المساء فلا يذهبون بالإيمان مع أنفسهم — يعنى لا يبقون على ذلك، فيخسرون أيضاً إيمانهم.

وسمعت أبا عبد الله الداستانى يقول: سمعنا المتقدمين يقولون: قال أبو يزيد: المتقرى لا يبصر تحت شجرة التمر — يعنى تحت النخيل لطولها وكثرة الشوك عليها — فيأخذ شجرة الغبراء منحنية يرقاها فيأكل البعض [٦٧]. لو صبر المسكين تحت النخيل لأكل ما كان يساوى! — يعنى < ما > كان يصلح للأكل — يعنى لا يصبر مع الرجال فى طريق الحق تعالى، فيصحب بعض المتزهدين والقربين وأمثالهم، فيأخذ بعض طريقته، وينزل بعضها من الضنك والضيق، ويضل بسبب صُحبة الطريق.

وسمعته يقول: سمعنا المتقدمين قالوا: < قال > أبو يزيد: أخذت مخلاتين، فعلقت إحداهما خلفك، وجعلت فيها ما لنفسك؛ وعلقت ثانيتهما قدامك، وجعلت فيها ما لغيرك.

وسمعت محمد بن أحمد المذكر يقول: سمعت بعض مشايخى يقول: حُكِى لنا أن كان فى جوار أبى يزيد — قدس الله روحه — فقيه يحسده على ما كان يُجرِى اللهُ تعالى على يديه. قال: فتقدم إلى أبى يزيد رجل فقال: إذا يقرّبُنا هذا الفقيه يقول لنا: ألا تشتغلون(1) عما يعنيكم؟ ألا تعلمون ما ينفعكم؟ ما هذا الذى يحملكم على خدمة هذا المهووس الذى لا يحسن < أن > يتطهر؟ فقال أبو يزيد: قولوا له، عليك بنفسك، فالزم دينك! إن تُرِك عليك فإنى لا آمن عليك أن تموت يوم تموت مُسْلِماً. فأُخبر الفقيه بذلك فغاظه ذلك. فقضى أن الفقيه مرض؛ فأوصى أنه لا يدفن فى مقابر المسلمين فإنه كان على دين النصارى.

---

(1) ح: تشتغلوا ... تعلموا.

وكان أبو يزيد يقول بعد ذلك : ما شيء بِأهْوَنَ على أحدكم من تعظيمه لأخيه المسلم وحفظ حرمته [٦٨] ! ولا شيء أضرّ بكم فى دينكم من تهاونكم بإخوانكم فى تضييع حرمتهم !

وسمعت الشيخ أبا سعيد ابن أبى الخير رحمة الله عليه وقد حضر رأس قبره جالساً فى وجاهة ، فأشار إليه وقال : قال هذا الشيخ : إن الله تعالى جعل الأولياء نثار (؟) الأرض فما لهؤلاء الحساد ؟ ! — يعنى : لا يرتضون ذلك .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يقول ، سمعنا المتقدمين حكوا عن أبى يزيد — قدس الله روحه — أنه قال ، وكان كثير الشكايه عن المتقرئين : شيبنى متقرّئو[1] بسطام . ليتنى ما رأيتهم !

وهكذا سمعته يقول ، إنه قال : يا متقرىء ! أرِ كما أنت ! أو : كُنْ كما تُرى !

وسمعته حكى هذا : أنه قال : تفكرت أن أجعل نفسى فى قبة خضراء فى هذ الهواء بعد موتى ، فخشيت من سهم المتقرئين أن يقول : انظر إلى هذا الرعناء ! جعل نفسه هكذا ! أراد أن يظهر نفسه . فتركتُ ذلك ولم أفعل .

وسمعته حكى هذا : أن عصاه سقطت مرة فى المسجد[2] الجامع فسقطت على عصا غيره فأسقطتها . فأمر بعض تلامذته أن يرفعها عنها و يقول لصاحبها أن يجعله فى حِلّ من ذلك . وقال لتلميذه : افعل ذلك فى خفية بحيث لا يرى[3] متقرىء .

وسمعته يقول < حكاية > حكاها عن المتقدمين أن أبا يزيد قال : إن المتقرىء إذا وقع فى الرجال [٦٩] جعل شفتيه كشفة التيرانى . قال — والتيرانى سمكة فى البحر يحذرها سمّاك البحار فتضرب فتخرق ، و إن المتقرىء ليخرق نفسه ولا يدرى .

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين يحكون عن أبى يزيد أنه قال : يمدحون الله تعالى فيظن المتقرىء أنهم يمدحون أنفسهم . — قلتُ أنا : يعنى يريدون بذلك المدح فضل الله عليهم بذلك ، وأنهم يظنون أنهم يريدون به مدح فضل أنفسهم بانتسابهم إلى ذلك الفضل .

---

(١) ح : متقري ، (٢) ح : مسجد .

(٣) ج : لم ير .

وسمعته يقول ، حاكياً عن مشايخه : إن رجلاً حجب أبا يزيد مدةً يسيرة ؛ فرآه وقتاً يهتز . فقال له : يا أبا يزيد ! من أيش تهتز الرجال ؟ فقال له : تقدر أن تسعى عشرين وثلاثين سنة فى طريق الصدق حتى تعلم ماتهتز منه الرجال . فمذ متى قمت من تحت التخيخ(١) تريد <أن> تعلم ؟ ما تهتز الرجال من أى شىء .

وسمعته يقول حاكياً عن المتقدمين يقول إن أبا يزيد قال : كنت أربعين سنة ديدبان القلب ؛ فبعد الأربعين وجدتهُ شِرْكا وشِرْكه أن تلتفت إلى ما سواه .

وسمعت بعض الصالحين قال : قال : وجدت أن أبا يزيد بلغ دجلة بغداد ، فانضمت الدجلة بعضها إلى بعض كرامةً له ، فجلس أبو يزيد وقال : أنا أحمل من هذا الجانب إلى الجانب الآخر بدانق ، وأنا لا أبيع عمر ثلاثين سنة فى هذا الحديث [٧٠] بدانق — يعنى إنى لا أوقع منك شيئاً آخر دون الكرامة لأرضى منك بغيرك .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يقول : قال أبو يزيد رضى الله عنه : لم أرَ من الصلاة إلا نَصَب البدن ، ولا من الصوم إلا جوع البطن . — وقلتُ أنا : إنما قال ذلك عند بلوغه نهاية الرجال وغاية الأبدال ، كأنه يرى الوصول إلى المرتاد ، وحصول المراد فى الجد والاجتهاد ؛ فلما وافى المعنى والمطلوب ، والمراد(٢) والمحبوب ، تيقن أن لم يكن ذلك بجهده وورعه وزهده واكتسابه وانتصابه ، بل كان بفضل الله تعالى .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله يحكى عن مشايخه عن أبى يزيد رحمه الله عليه أنه كان يقول : بالكسب لا تحصل القربة(٣) : فالعبد الجوهرى من يمشى فتغور رجلاه فى كنز . قلتُ : معنى كلامه — رضى الله عنه — : ما يحصل بالكسب فتافهُ يسير ، وإنما يحصل الشىء الخطير بالجَدّ لا بالجِدّ .

وأخبرنا أبو الفضل جمهور بن حيدر القرشى قال : سمعت أبا الحسن العلوى الوصى ، قال : سمعت جعفر الخلدى يقول : سمعت على بن صخر الدَّيْبُلِى يقول : سمعت أبا موسى يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : من ترك قراءة القرآن والتقشف بالجماعات(٤)

---

(١) يقصد السكنة ، فالتخيخة هى السكنة ، وهو تخيخاخ وتخيخانى ، أى : ألكن .
(٢) ح : المواد .
(٣) هنا كلمتان غير مقروئتين رسمها هكذا : والسكلادجه .
(٤) ح : الجماعات . ولعله يقصد حضور صلوات الجماعة . على أن فى النص تحريفاً ظاهرا .

[٧١] وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادّعى هذا الشأن ، فهو مُدَّعٍ .

سمعت أبا عبد الله الداستانى يحكى عن مشايخه أن أبا يزيد لم يكن يحضر الجنائز ولم يَعُد المرضى ولم يحضر التعازى . فقيل له فى ذلك : إن الصالحين من قبل كانوا يعودون المرضى ويحضرون الجنائز ويعزّون . فقال أبو يزيد مجيباً : فعلوا هم ما فعلوا بالعقل ، وليس مثلى بلا عقل (١) . — ما حكيت عنه أولاً : قوله : حضر الجنائز وعيادة المرضى ، ينبىء عن ابتداء حاله ؛ وما حكيت عنه أخيراً : تركه تلك الخصال — تخبر عن كماله ، والمرء < و > قد بلغ النهاية وأوفى على كل غاية صار ذاهلاً ، لا جاهلاً . منهم من يكون محفوظاً فيكون غائباً حاضراً ، ومنهم من لا يبقى على حالته ولا يرجع إلى ما عليه من آلته ، فيكون حاجزاً غائباً .

وسمعته يقول : سمعنا المتقدمين يقولون : قيل لمجوسى فى أيام أبى يزيد — قدس الله روحه — . أسْلِمْ ! فقال مجيباً لهم : إن كان استعمال الإسلام كما يستعمل أبو يزيد فلست أطيقه أنا ؛ وإن كان كما يستعملون فلستُ أشتهيه .

وسمعته يقول : سمعنا مشايخنا يقولون : اجتاز شقيق البلخى ببسطام حاجّا ، فتفقد المجلس فى مسجد من مساجدها فى محلة يقال لها كُدغان — وكان ذلك المسجد فى تلك الأيام جامعاً ، فالصبية يلعبون على بابه [٧٢] وأبو يزيد فيهم ؛ فكان يجىء باب المسجد ويسمع كلامه وينصرف ويضحك . فوقع عليه بصر شقيق ، فقال فِراسةً : سيكون هذا الصبى رجلا من الرجال . فصار كما قال .

وقال : حدثنى أبو الحسن (٢) على بن محمد القومَسى ، قال حدثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ، قال حدثنا موسى بن عيسى ، قال حدثنى أبى عيسى بن آدم ابن أخى (٣) أبى يزيد أنه قال : طلقت الدنيا ثلاثاً بتاً لا رجعة لها ، وصرتُ وحدى إلى ربى ؛ فناديته بالاستغاثة : إلهى ! أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك . — فلما أن علم صدق الدعاء من قلبى كان أول ما ورد علىّ من إجابته أن أنسانى نفسى بالكلية ، ونصب الخلائق بين يدىّ مع إعراضى عنهم .

---

(١) ح : بلا عقل كجانب (؟) ...

(٢) وردت مكررة . (٣) ح : أخ .

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه قال : رأيت ربّ العزة في المنام فقال : إيش تريد ؟ فقال : أريد أن لا أريد غير ما تريد . فقال لي : أنا لك كما كنت لي .

وبهذا الإسناد ، عنه رضي الله عنه : غلطت في ابتداء أمري : حسبتُ أني ذكرته فإذا هو ذكرني[1] قبل ذكري له ؛ وحسبتَ أني أطلبه وأني أعرفه فإذا هو عرفني قبل معرفتي له ؛ وحسبتُ أني أحبّه فإذا هو أحبّني قبل محبّتي له ؛ وحسبتُ[2] أني أعبده فإذا هو قد جعل خلائق الأرض في خدمتي .

وبهذا الإسناد — رحمة الله عليه — أنه سئل عن السُّنَّة والفريضة فقال : السُّنَّة ترك الدنيا ، والفريضة صحبة المولى . فمن يعمل السُّنَّة والفريضة فقد كملت[3] معرفته لأن الكتاب كله يدل على صحبة المولى ، والسنة تدل على الدنيا .

وبهذا الإسناد أنه سئل عن الصوفي فقال : هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه ، وسنة رسوله بشماله ، وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار ، ويتزر بالدنيا ، ويرتدي[4] بالآخرة ، ويلبي من بينهما للمولى : لبيك اللهم لَبيك !

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد رضي الله عنه : رأيت ربَّ العزة في المنام < فقلت > : يا خُدا ![5] كيف الطريق إليك ؟ فقال : دع نفسك وتعالَ .

وبهذا الإسناد أنه قال : الدنيا لأهل الدنيا غرور في غرور ؛ والآخرة لأهل الآخرة سرور[6] في سرور ، ومحبة الله سرور من نور .

وبهذا الإسناد أنه قيل له : كيف ترى الخلق ؟ فقال : به أرام .

وبه رضي الله عنه : من اختار الدنيا على الآخرة يغلب جهلُه علمَه ، وفضولُه ذكرَه ، ومعصيتُه طاعتَه . ومن اختار الآخرة على الدنيا يغلب سكوتُه كلامَه ، وفقرُه غِناه ، وهمُّه سرورَه ، وقلبُه محبّتَه ، وسرُّه قربَه ، فتصير نفسه مقيدة بقيد الخدمة ، وقلبه أسيراً لخوف الفرقة ، وسره مستأنساً بأنس الصحبة .

---

(١) ح : ذكرى .

(٢) ح : وحبت له وحسبت أني أني …

(٣) ح : كمل .

(٤) ح : يتردى .

(٥) خُدا بالفارسية معناها : الله .

(٦) ح : برور .

وبهذا الإسناد عن أبي يزيد أنه سئل عن التوكل فقال : التوكل < أن > يجد كل ما همّ ، به . [٧٤] وبهذا الإسناد عنه أنه كان يعظ نفسه فيصيح عليها ويقول (١) : يا مأوى كل سوء ! المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام وأكثر بعشرة ، وأنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة < و > بعد ما طهرت ! فمتى تطهرين ؟ إن وقوفك بين يدى الطاهر ينبغى أن يكون طاهراً .

وبهذا الإسناد ، أنه سئل فقيل له : كيف عرفت الله ؟ فقال للسائل : لو عرفت لما (٢) كنت تسألنى عنه ؛ ومن لم يعرف الله فلا يعرف قول العارف . ومن عرف الله يستغن (٣) عن السؤال .

وبهذا الإسناد أنه قال : < قال > الله تعالى للكافر آمِنْ وللمنافق أخلِص ، وللعاصى ارجِع ، وللمحب ارضَ ، وللعارف أبصر .

وسمعت عبد الواحد بن بكر الورثانى قال : حدثنا محمد بن أحمد المارستانى قال : حدثنا عبد الصمد بن محمد قال : حدثنا أبو موسى الدَّبيلِي أنه سمع أبا يزيد يقول : مجرى طريق العبودية لله تبارك وتعالى ومنازلها على ثلاثة أوجه : عام ، وخاص ، وخاصّ الخاص . فأما مجرى حفظ عبودية العوام فعلى خمسة أوجه : أوله عبد مذنب مريب غير تائب ، قد غرته الدنيا فاغتر بها ونسى الآخرة ، ورضى بحطام الدنيا ؛ فهذا عبد متى هابَ من ربه لا يعرف حق ربه ولا يحفظ حرمته ، وهو عبد سوء لا يخاف من الله ، ولا يخون الوعد والوعيد . فإن تاب تاب الله عليه ، وإن مات على غير (٤) [٧٥] توبة فهو فى مشيئة الله : إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له ، فهو عدل منه . وعبدٌ مُراءٍ بعمله ، يريد محمدة الناس له ، وحسن الثناء عليه ، مجتهد فى العبادة والخدمة لله عز وجل ، ويريد بها العزّ عند الناس ، والشرف والذكر فى الآفاق (٥) ؛ قد رضى من الآخرة بالدنيا ، ومن الدنيا بثناء الناس ؛ — فهذا عبد خاسر غافل . وعبدٌ مطيع لله تعالى فى تأدية حقه ، سامع له ، مؤدٍّ لفرائضه ، مجتنب للمعاصى كلها ، متباعد

---

(١) ح . وقال .
(٢) ح : كما .
(٣) ح : يستغنى .
(٤) ح : غيره غير .
(٥) ح : الآفات .

عن الآثام ، متابع لأمر الله عز وجل ، مُقْتَدٍ بسُنَّة رسول الله ؛ — فهذا عبد ناصح لله ولنفسه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وهو محمود عند الله وعباده ، قائم على حفظ العبودية لله ، مستقيم عليها . وعبدٌ راغب فى أعمال البرّ ، مقبل فى إقامة التطوع بعد أداء الفرائض ، كثير النوافل ، طالب للخيرات ، بائع دنياه بآخرته ، يحمل أيامه فى طاعة الله ؛ — فهذا عبد عاملَ الله تعالى طالباً للثواب ، ملتمساً رضاه ، راغباً فيما عند الله ؛ تابع لأنبيائه ورسله ، فطوبى له ! وعبد يجتهد فى ارتياد مرضاة الله تعالى ، مؤدّب لنفسه ، قائم عليها باستخراج العيوب منها ، محارب لعدوه ، صاحب اجتهاد وسهر وبكاء وتفزع ، مخالفاً لنفسه غير متبع هواها ، زاهداً فى دأبها ، يروم كسرها ، يحملها[١] على المحجة الواضحة ، مرة تقوم ، ومرة تسقط ؛ وهو < دائم > المحاربة مع العدوّة[٢] إلى أن ينصره الله [٧٦] عليها ؛ — فهذا عبد صالح يحفظ حق عبودية معبوده . وأما[٣] مجرى الخاص والعام فعلى خمسة أوجه : عبد تائب إلى ربه ، نادم على ما ضيع من أمر ربه ، مقبل إليه بقلبه ، هارب من الخلق إليه . وعبد حزين خائف ، قد عرف الوعد والوعيد ، راجٍ[٤] ، راغب ، راهب ، كريم على ربه ، صادق ، مستقيم ، شاكر لآلاء الله ، راضٍ بقضائه متنعم به . وعبد زاهد فى كل ما شغله عن ربه عز وجل ، قد ولّى وجهه عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، واستأثر ذكر مولاه على سائر خلقه . وعبد مُفَوِّض أمره إلى الله تعالى ، قانع بعطيته ، ساكنٌ قلبه إليه ، راكن إلى ما عنده ، منيبٌ إليه ، يريد الأنس والزلفة لديه ، لا يريد من الدنيا والآخرة غيره .

وسمعته أيضاً قال : حدثنى محمد بن سعدان الفارسى ، قال : حدثنى عيسى بن موسى البسطامى ، قال : سمعت أبى يقول : سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . فقال له أبو موسى الدَّبيلِي : أشد شىء[٥] لاقيته فى أمر الله ما هو ؟ قال : لا أستطيع أن أخبرك . قال : فأسهل شىء لاقيته فى أمر الله ما هو ؟ — ولا ذاك . قال : فأصعب ما لاقيته من أمر نفسك ؟ — قال : ولا ذاك . قال : فأسهل ما لاقيته من أمر نفسك ؟ قال : أسهل ما لاقت نفسى منّى

---

(١) ح : لحملها .
(٢) يقصد النفس .
(٣) ح : أنا .
(٤) ح : راجى .
(٥) ح : شيئاً .

< أنى > سألتها أمراً من الأمور [٧٧] فأبت ، فعزمت أن لا أشرب الماء سنة .

وسمعت[١] أيضاً أبا عبد الله قال : حدثنى على بن أحمد القومَسى قال : حدثنا أحمد ابن الفضل قال : حدثنا خلف بن عمر قال : حدثنا عمى خادم أبى يزيد قال : سمعت أبا يزيد يقول : لم أزل أسوق نفسى إليه وهى تبكى حتى ساقتنى إليه وهى تضحك .

قال : وسمعت مظفر بن عيسى المراغى قال : سمعت شنبذين[٢] يقول : سمعت أبا موسى الدبُيْلِى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : طلقت الدنيا ثلاثاً بتة لا رجعة لها ؛ ثم تركتها وصرتُ وحدى إلى ربى . فناديته بالاستغاثة : إلٰهى ومولاى ! أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك . قال : فلما عرف صدق الدعاء من قلبى مع الإياس ، وكان يمنعنى من كل عطاء عرفته حتى ينتهى بأنانيته على غاية فَهْم الفِهْمين ثم يفهمنى طلبه بلا كيف ، حين لا إله إلا الله فمنَّ علىَّ المطايا دهراً ؛ ثم أخرجنى[٣] منها إلى ميدان التوحيد . ثم أرتعنى[٤] فى فسحات ربوبيته وبهاء ذاتيته فقال : يا عزيزى ! كن قدرتى < و > آياتى ، وصفتى فى أرضك ، ونوراً فى كونك ، ومناراً فى خلقك . ثم ألبس علىَّ ستورَ أنواره فغطانى بستوره ، وأنارنى بنور ذاته فقال : يا حُجّتى ! فقلت : أنت حجة نفسك ، لا حاجة لى فى ذلك .

وبهذا [٧٨] الإسناد ، قال : سمعت أبا يزيد رضى الله عنه يقول : سمعت مرة فى الغيب : يا أبا يزيد ! كيف ترى فِعْلى بك ؟ فقلتُ : فعلك بى . ثم رفعنى إلى مكنون غيبه فقال : يا عزيزى ! كن غيباً فى غيبى . فقلت : يا عزيزى ! أنتَ غيب نفسك فى نفسك .

وبهذا الإسناد ، قال أبو موسى : قلت لأبى يزيد : بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل . قال : أنا أولئك . فقلت : كيف ؟ قال : قلبى واحد ، وهمّى واحد ، وروحى واحد — . وبلغنى أن واحداً قلبه على قلب إسرافيل . قال : أنا ذلك الواحد .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : مثلى مثل بحر مصطلم ، لا أول له ولا آخر .

(١) ح : سمعته .
(٢) ح : شنبذر .
(٣) ح : أخرجتنى .
(٤) ح ، س : أترعنى .

قال : وسمعت أبا يزيد يقول : غيب معروف ، وشهود مفقود ، وأنا فى الغيب محضور ، وفى الشهود موجود .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : روح بلا روح لاسم واقع ، ولو فتح من ذلك النور المكنون لانتهى الأمر إلى معرفة لا إله إلا الله .

وقال مرةً : انتهى الأمر إلى كمال شأنى . وقال : وقد انتهى إلى غاية كماله .

وسمعت أبا عبد الله محمد بن عبدالله الشيرازى الصوفى ذكر باسناده عنده ، قال : وسمعت أبا موسى يقول : قيل لأبى يزيد : لو قال الله لك يوم القيامة : عبدى ! هل سجدت لى سجدة قط ؟ — فما أنت قائل له ؟ قال : أقول : كنت إذا سألت عنك [٧٩] أجبت منك ، وإذا سألتنى عنى أجبتك منك[١] .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال : حدثنا محمد بن خلف الطرزى قال : حدثنى عمى الولانى عن اشتنبه[٢] الهروى قال أبو يزيد : خصصت رجالا وأكرمتهم فأطاعوا فيما أمرتهم ولم يبلغوا ذلك إلا بك . وكانت[٣] رحمتك إياهم قبل طاعتهم لك .

قال : وسمعته يقول : لا يكون العبد محباً لخالقه حتى يبذل نفسه لله فى طلب مرضاته سراً وعلانية : يعلم الله من قلبه أنه لا يريد إلا هو .

قال : وسمعته يقول ذات يوم : هلمُّوا إلى رغبة الزاهدين ، وشوق الدارجين ، وركون المتناسين ، وحب الواصلين ، وحلاوة المتصلين ، وأُنس ربِّ العالمين .

قال : وسمعته يقول : عبادة العارفين وحفظ أنفاسهم مع معروفهم لأنهم تركوا فى جنبه كل شىء .

وقال : وسمعته يقول : على الباب صوتٌ وصياح واضطراب من شوق صاحب الدار وخوفه ؛ وفى الدار سكون وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاحب الدار .

قال : وسمعته يقول : ما أفرح العارف بقدر معرفة إذا أيقن أنه قادر على كل شىء ،

---

(١) ح : وإذا سألتنى عمن أجبتك . (٢) ح : ستنبه .
(٣) ح : وكان .

فيرى نفسه من قدرته متحركا بمشيئته ، لا يبالى بأى تحريك يحركها بعد ما عرف أنه عليها بقدرته ، ولا يخرج من العبودية فى القدرة .

وسمعته يقول : اطلُبْ هواه فى خلاف هواك [٨٠] ، ومحبته فى بغض نفسك ، فإنه معروف عند مخالفة الهوى ، محبوب عند بغض النفس .

قال : وسمعته يقول : اقطع قلبك عن التصنّع والتملك والتزيين والتدبير حتى ترى قلبك فوق المملكة بين ضياء عرشه ، مستغنياً عن كل ما دونه .

قال : وسمعته يقول : لا تكلف[١] بفكرة قلبك فيه فتهلك بالتشبيه ، فإنه موجود عند المتفكرين فى صفته ، ومفقود عند المتوهمين فى ذاته .

قال : وسمعته يقول : لا تصل إلى المخلوق إلا بالسير[٢] إليه ، ولا تصل إلى الخالق إلا بالصبر عليه . وإذا أردت أن تطلبه فاطلبه فى رجوعك عما دونه .

قال : وسمعته يقول : لا يسكنَنَّ قلب العارف وإن قطع بالمقراض ، ولا ييأس منه ألبتةَ ، ولا يأمن من مكره وإن نودى بالغفران . ولا يدل عليه إلا به ، ولو مشى على الماء والهواء . ولا يستريح من كده ولو جلس على السرير . ولا يغفل عنه ولو كان فى السوق . ولا يطمئن بدونه فى الملك فى السماء .

قال : وسمعته يقول : إذا سكت العارف يريد أن لا ينطق إلا عند معروفه ؛ وإذا غمض يريد أن لا يفتح إلا عند لقائه ؛ وإذا وضع رأسه على ركبته يريد أن لا يرفع إلى < أن > ينفخ فى الصور من شدة الأنس به .

قال : وسمعته يقول : نفسُك دابّتُك ، فلا تدعها فى الطريق إلى ميتها تبق (؟) فى الطريق .

[٨١] قال : وسمعته يقول : كن فارس القلب ، راجل النفس .

قال : وسمعته يقول : روح المؤمن كالمصباح فى الزجاجة تضىء فى الملكوت ، لأن الله تعالى موجود عند الناظر فى ذاته .

---

(١) ح : تتكلف .   (٢) ح : باليسير .

قال : وسمعته يقول : الحق مثل الشمس مضىء[1] : إذا نظر الناظر إليه أيقن به . فمن طلب البيان بعد البيان فهو فى الخسران .

قال : وسمعته يقول : إذا شربوا بكأس حبه وقعوا فى بحار أنسه ، وتلذذوا بروح مناجاته ؛ وإذا عرفوه[2] حق معرفته وَلِهُوا فى عظمته .

قال : وسمعته يقول : إذا عرفوه أسرّوا ؛ وإذا أسرّوا سكنوا فى معرفته .

قال : وسمعته يقول : إذا علموه هربوا من الخلق .

وسمعت أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسى يقول : سمعت أبا المكارم الأنصارى يقول[*] :

سمعت ابراهيم بن سغدويه[3] المروزى[4] يقول : سمعتُ أبا صالح الُحذا مؤذن مسجد[5] أبى يزيد يقول : كان أبو يزيد يقول : هلاك الخلق فى شيئين : فى ترك الُحرمة ونسيان المِنّة .

وسمعته يقول : حدثنى عبد الله بن أحمد السمسارى يقول : سمعت أبا الحسن الشقيق يقول : صَلّى أبو يزيد البسطامى[6] ليلة فأضاء البيتُ كأنه نصف النهار . فقال أبو يزيد : إن كنتَ شيطاناً ، فأنا أعزُّ وأمنعُ جانباً من أن تطمع فِيَّ ؛ وإن كان من عند الله ، فانى أسأله أن يؤخره من دار الخدمة إلى محل الكرامة .

وسمعته [١٣١] يقول : سمعت محمد بن الحسين بن بهرام الفارسى يقول : سمعت أبا الحسن على بن عبد الرحمن[7] البغدادى قال : سمعت أبا محمد الحريرى يقول : قال أبو يزيد : أشرف الحقُّ على أسرار العالم فشاهدها خالية منه غير سِرّى فإنه رآه منه ملآنا ؛ فخاطبنى مُعَظِّماً لى بأن قال : كل العالم عبيدى غيرك . قال : فسألت النباجى عن هذه الحكاية فقال : قصّر به الحق عن لحوق[8] الإغراق فى الفناء ؛ ولكنه كاشفنى فى حال

---

(١) ح : الضىء .
(٢) ح : عرفوا .
(٣) ح : بغدويه .
(٤) ح : المرزوى .
(٥) ح : بمسجد .
(٦) البسطامى : ناقصة فى ح .
(٧) س : عبد الرحيم .
(٨) س : لحق .
(*) إلى هنا آخر النقص فى مخطوط بغداد .

سؤالك لى بأن قال : أصبح الكل عبيدى غيرك ، فإنك أنا .

قال الحريرى[١] : مقام النباجي أتمُّ فى باب الإيجاد بالخروج عن مشاهدة الحق بنعت الأحباب ، لأن أبا يزيد أخرج[٢] من نعت العبودية ولم يلحق بإيجاد نعته بالحق . والنباجي أشهده الاستقباح فى دهش الإجلال ، وألحقه مشاهدة الكلّ به مربوطاً فاستجاز الاتصاف بالتنزيه .

وسمعته[٣] يقول : سمعت محمد بن الحسن ، سمعت على بن عبد الرحمن يقول : سمعت محمد الداعى يذكر عن أبى يزيد أنه قال : أنا ربى الأعلى[٤] . قال : ثم جئت إلى الجنيد فسألته عن إشارته فيه فقال الحكاية .

وسمعته يقول : حدثنا أحمد بن ابراهيم العدل الخشاب قال : سمعت ابن الأنبارى يقول : أراد صاحبٌ لنا أن يسافر فقال لأبى يزيد : أوصنى وصية ! فقال : أوصيك بثلاث : إذا صاحَبَكَ سيِّئُ الخُلق فأَدْخِل سوء خُلُقه فى حُسْن خلقك حتى يهنئك العيش . وإذا أنعم عليك مُنعِمٌ بنعمة فاشكر الله أبداً فإنه هو الذى أعطف بالقلوب عليك . وإذا بدا عليك شىء من بلاء الله فأسْرِع الاستقالةَ منه ، فإنه شىء لا يعْيِى متصبر عليه .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن الحسن[٥] يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت يعقوب بن اسحٰق يقول : سمعت ابراهيم الهروى يقول : سمعت أبا يزيد وسئل : ما علامة العارف ؟ قال : أن لا يفتر من ذكره ، ولا يملّ من حقّه ، ولا يستأنس بغيره .

وسمعت يقول : حدثنا إبراهيم بن العباس قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بسَرَخْس يقول : سمعت محمد بن الحسن الجرجانى يقول : سمعت على بن محمد بن صالح بن سهل القومسى يقول : قال أبو يزيد البسطامى : عشرة أشياء فريضة على البدن : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والتواضع لله ، وكفّ الأذى عن الإخوان ، والنصيحة للبرّ والفاجر ، وطلب المغفرة ، وطلب مرضاة الله فى جميع أموره ، وترك الغضب والكبر والبغى والمجادلة من ظهور الجفا ، وأن يكون وَصىَّ نفسه : يتهيأ للموت .

---

(١) ح : الجريرى . (٢) ح : لخروج .
(٣) الفقرة التالية ناقصة فى ص . (٤) ح : الأعمل .
(٥) ح : ابن أبى الحسن .

قال : وقال أبو يزيد : عشرة أشياء حصن البدن : [و] حفظ العينين ، ومعاودة اللسان بالذكر ، ومحاسبة النفس ، واستعمال العلم ، وحفظ الأدب ، وفراغ البدن من شغل الدنيا ، والعزلة من الناس ، ومجاهدة النفس ، وكثرة العبادة ، ومتابعة السُّنة .

قال : وقال أبو يزيد : عشرة أشياء شرف البدن : الحلم[١] ، والحياء ، والعلم ، والورع ، والتقى ، والخلق الحسن ، والاحتمال ، والمدارة ، وكظم الغيظ ، وترك السؤال . قال : وعشرة أشياء تخرّب البدن : مصاحبة من لا يهمه دينه ، ومفارقة أهل الخير ، ومتابعة النفس ، ومجانبة الجماعة ، ومجالسة أهل البدعة ، وطلب ما لا يعنيه ، وتهمة الخلق ، وطلب العلو ، وهم الدنيا[٢] . قال : وعشرة أشياء تميت البدن : قلة الأدب وكثرة الجهل ، ونعمة الخلق ، وشهوة البدن ، وطلب الرئاسة ، والميل إلى الدنيا ، ومحاباة النفس عند الحق ، وكثرة الأكل[٣] . قال : وعشرة أشياء فيها ذل البدن : الحِدّة ، والغضب ، والكِبْر ، والبَغْي ، والمجادلة ، والبخل ، وإظهار الجفاء ، [٣١ب] وترك حرمة المؤمن ، وسوء الخلق ، وترك الإنصاف .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي الحسن[٤] الصوفي يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبي يقول : سئل أبو يزيد : كيف الطريق ؟ قال : غِبْ عن الطريق تَصِلْ إلى الله .

وسمعته يقول : حدثنا عبد الواحد بن محمد بن الشاه الفارسي ، قال : حدثنا أبو الفرج الصوفي ، قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال : حدثنا أبو بكر بن يزدانيار ، قال : حدثنا أبو موسى : قال سمعت أبا يزيد البسطامي يقول : أهل المعرفة مع الله على ثلاثة[٥] مقامات : فقومٌ طلبوا الله من حيث الغفلة عنه ؛ وقومٌ هربوا من الله من حيث العجز عنه ؛ وقومٌ أوقفهم فيما لا طلب لهم معه ولا هرب لهم عنه .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي الحسن يقول : سمعت[٦] طيفور البسطامي

---

(١) س : الحكم .
(٢) المذكور هنا تسعة لا عشرة !
(٣) المذكور هنا ثمانية لا عشرة !
(٤) ح : بن الحسن .
(٥) س ، ح : ثلاث .
(٦) ناقصة في س .

بسطام[١] يقول: سمعت عمى يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: حسبُ المؤمن من عقله أن يعلم أن بالله غنى عن عمله.

وسمعته يقول: سمعت محمداً يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت[٢] القَنَّاد[٣] يقول: سمعت أبا موسى الدَّبيلي يقول: سمعت أبا يزيد: إن الله تعالى يرزق العبد الحلاوة، فمن أجْلِ فرحه به يمنعه من حقائق القرب.

وسمعته يقول: وفيما كتب إلى عمى أن على بن محمد بن الشاه حدثهم قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الخواص قال: سمعت أبا يزيد البسطامى يقول: ظاهر الصدق وباطنه سواء؛ ولقد[٤] اشترك الإيمان والحب فى قلب الصِّديق، فكلما ازداد الإيمان ازداد الحب لله. قال الله تعالى: «والذين آمنوا أشدُّ حُبًّا لله» — فإذا قال ذلك رمى قوسَ الدنيا بالفرقة وقطع حلقوم الطمع بسكين الإياس، وألجم نفسه لجام الخوف، وساقها بسَوْط الرجاء، ولبس قميص الصبر، وتردّى برداء التصابر، واستوى عنده المنع والعطاء، والشدة والرخاء، والذم والثناء، فسقط[٥] من ظاهره وباطنه التصنع فليس عنده فرق بين الدانق والدينار، لعلمه أنه لو بورك له فى الدانق كان أعظم بركة من الدينار، ويعلم أنه لو سلط عليه السَّنَّوْر كان أضرَّ عليه من الأسد. فإذا كانت هذه حالته قالت الجنة: اللهم أدْخِل[٦] هذا العبد <بين> ساكِنِيَّ؛ فكانت الجنة طالبة له دونه. وإذا رأته النار على هذه الحالة، علمت أن نوره يطفىء شررها؛ فتعوّذَت[٧] النار منه. فلو عرج بذلك العبد أعلى عِلّيين لكان شكره ذلك الشكر الذى كان فى أعظم البلاء. ولو أنزله الله من أعلى العِليين فأسكنه الدرك الأسفل من النار لكان شكره ذلك الشكر الذى كان فى أعلى العِلّيين[٨].

وسمعته يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي سهل يقول: سمعت أبي يقول: قال أبو يزيد البسطامى[٩] [يقول:] يا من باع كلَّ شىء بلا شىء، ويامن اشترى لا شىء بكل شىء!

---

(١) س: بسطامى.
(٢) ناقصة فى س.
(٣) س: القناد.
(٤) ح: سواء؛ لقد...
(٥) واستوى ... فسقط: ناقص فى ح.
(٦) ح: افعل (اجمل؟).
(٧) محرفة تماما فى ح هكذا: فرحوت!!
(٨) ح: عليين.
(٩) البسطامى: ناقصة فى ح.

إن فى طاعتك من الآفات ما يشغلك عن السيئات .

وسمعته يقول : سمعت جدى محمد بن عبد الله جشاد الفقيه[١] يقول : سمعت أبا بكر محمد بن على الشالوسى ، — ويعرف بالطبال ، لقيته بديار مصر — قال : سمعت أبا يعقوب البحرى يقول : قال لى عمى : قدم علينا من العَجَم فتىً يقال <له> أبو يزيد[٢] . فلما قضى نُسُكَه وفرغ صَعِد أبا قُبَيْس وجلس يتفكر ساعة . فأتاه ثلاثة نفر وصار أبو يزيد رابعهم . فقال من القوم قائل : ما مقام أولياء الله فى الولاية ؟ فقال الآخر : مقامه مع الله أن يكون عنه راضياً إن هو حبسه فى الماء أو أدخله النار . ثم قال الثانى : ما تقول أنت : كيف مقام الولى مع الله ؟ فقال : لو صَيَّرَ السماء من صُفْرٍ فلا ينزل منه المطر ، وصَيَّرَ الأرض من حديد فلا ينبت منها نباتاً ، لا يدخل فى قلبه شىء من الاهتمام بما وعد الله له [١٣٢] من رزقه . ثم قال للثالث : ما تقول أنت : كيف المقام مع الله ؟ فقال : مقامه مع الله أن لو ضربه بأنواع البلاء فطحنه فى كل يوم مائة مرة تحت حَجَرَىْ البلاء والبلوى لا يتغير قلبه مع الله . قال : أما أنا فلا أقول مثل ما قلتم . قالوا : فكيف تقول ؟ قال : أقول : مقامُ الولى مع الله لو قال لهذا الجبل زُلْ عن مكانك لزال فتحرك الجبل . فقال أبو يزيد : ما هذه السعاية التى سعيت بى إلى خَلْق الله ؟ أتريد أن يَفشو سرِّى مع الله بين خلق الله ! فاستقر الجبل .

وسمعته يقول : سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن زكريا الصوفى الفسوى يقول : سمعت عبد الواحد بن بكر يقول : حدثنى أبو بكر الحوال يقول : حدثنى عيسى بن موسى البسطامى يقول : سمعت أبا يزيد طيفور بن عيسى بن موسى البسطامى[٣] يقول : منذ ثلاثين سنة لم أزَلْ كلما أردت أن أذكر الله أتمضمض وأغسل لسانى إجلالا لله إن أذكره .

وسمعته يقول : حدثنى أبو الفرج الصوفى قال : حدثنى أحمد بن الفضل قال : حدثنا أبو بكر بن يزدانيار قال : حدثنا أبو موسى قال : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : أهل المعرفة مع الله على ثلاثة[٤] مقامات : فقوم طلبوا الله من حيث الغفلة عنه ، وقوم هربوا من الله من حيث العجز عنه ، وقوم أوقفهم فيما لا طلب لهم معه ولا هَرَبَ لهم عنه .

---

(١) ح : جشاد الفقيه !   (٢) س ، ح : أبا يزيد .
(٣) يقول سمعت أبا يزيد ... البسطامى : مكررة فى س .
(٤) س ، ح : ثلاث .

وسمعت محمد بن أحمد الحاكم يقول حاكياً عن بعض مشايخه قال بعضهم لأبي يزيد : صَفِّ معي قلبك ساعةً حتى أتكلم معك بشيء ! فأجابه وقال : منذ ثلاثين سنة هو ذا أريد أن أصفّي قلبي مع الله تعالى ساعة < وهو > بعدُ لم يَصْفُ، < ف > كيف أصفو[١] معك ساعة واحدة[٢] ! ؟

وسمعت أبا محمد بن الراعي مهدي العلوي الصوفي يقول : سمعت الشِّبلي يقول : سمعت أبا الحسن بن مقسم ببغداد يقول : سمعت أبا القاسم المطرز يقول : سمعت الجنيد بن محمد يقول : قال أبو يزيد : من زهد في الدنيا فقد نبَّه عن قدرها من قلبه .

قال : وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي عمرو يقول : سمعت منصور بن عبدالله[٣] يقول : سمعت عمي يقول : سمعت أبي يقول : سأل رجل أبا يزيد عن التصوف فقال : طرح النفس في العبودية ، وتعليق[٤] القلب بالربوبية ، واستعمال كل خلق سنيّ ، والنظر إلى الله بالكلية .

وسمعته يقول : سمعت السلمي[٥] يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : سمعت عمي البسطامي يقول : سمعت أبا يزيد يقول : من الناس من يزورني فيرجع عني وهو في لعنة الله . فقيل له : كيف ذلك ؟ قال : ربما يزورني الإنسان فتكون عليَّ غلبةُ الحق فيرجع عني فيعذرني ، فيرجع عني[٦] وهو في رحمة الله . ومنهم من يزورني فيرى عليَّ غلبة حال فينقلب عني ويقع فيَّ فينقلب عني وهو في لعنة الله . قال السلمي : قال أحمد بن حضرويه لأبي يزيد : إني لا أصِلُ إلى التوبة . فقال أبو يزيد : العزة لله ، فأنت تطلب العزة .

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبي عمرو يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا عبد الله السيرواني يقول : سمعت أبا موسى الدُّبيلي يقول : قيل[٧] لأبي يزيد : ما التوكل ؟ فقال لي : ما تقول أنت ؟ قلت إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعي عن

---

(١) س : أصفُ . (٢) س : معك في ساعة .
(٣) يقول سمعت محمد ... عبد الله : ناقصة في س .
(٤) ح : تعلق .
(٥) سمعت السلمي : ناقصة في ح . (٦) عني : ناقصة في ح .
(٧) ح : وقيل .

يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سِرُّك . فقال أبو يزيد : نَعَم ! هذا قريب ؛ ولكن : لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون ، وأهل النار فى النار يعذبون ، ثم وقع بك تمييز عليها خرجت من جملة التوكل .

وسمعت أبا الحسن القارى قال : حدثنى الحسن بن أبى بكر الواعظ قال : سمعت بكير ابن على الجرجانى يقول : سمعت طيفور بن محمد الدامغانى يقول : سمعت عمى يقول : رأيت أبا يزيد البسطامى فى منامى فقلتُ له : عِظْنى ! فقال : الناس بحر عميق ، والبعد منهم سفينة ، وقد نصحتك فاحفظ لنفسك السكينة .

وسمعته يقول : بلغنا عن أبى [٣٢ ب] يزيد يقول : لو عرف الناس أنكرونى . فقال له بعض أصحابه : ما نكرته أنت ، فما معنى معرفة الحق ؟ قال : لا حق إلا وفِىَّ صافية فيوصفنى قوام الحق ؛ ولا حق إلا وأنا هو[١] .

وسمعت أبا الحسن على بن محمد القومَسى قال : حدثنا عيسى بن محمد بروايته عن أبى حفص النيسابورى عن أبى موسى الدُّبَيْلى ، قال أبو يزيد : كنت أطوف حول بيت الله الحرام ، فلما أن وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى .

وسمعت محمد بن على الواعظ يقول[٢] : وفيما أفادنى بعض شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد أنه قال : حكى لى أبو موسى عيسى بن آدم البسطامى ابن أخى[٣] أبى يزيد طيفور بن عيسى البسطامى بالفارسية فترجمناها بالعربية . قال أبو موسى : كان بدء أبى يزيد وتوبته من رحم أمّه وصُلْب أبيه أنه كان صبياً ابن أقل من عشرة إذ نبّهه الله تبارك وتعالى لأمره[٤] وألهمه حكمة العمل فائدة من عنده من غير تعليم . فقال أياماً[٥] لوالدته : ياوالدتى ! أقسم عليك هل تناولت شيئاً من الحرام بسببى أيام كنت ترضعينى ، فإنى لا آمَنُ أن يكون قد وصل إلىَّ شىء من قلبى ، وأنا لا أعلم فيحجبنى ذلك عن ربى . فقالت له أمّه : لا أذكر إلاّ أنى دخلتُ يوما إلى بعض جيراننا وأنت فى حِجرى فأخذت قارورة دُهْنهم فدهنت[٦]

---

(١) ح : لو عرف الناس ما أنكرونى . فقال له بعض أصحابه : فأنكرته أنت . فما معنى معرفة الحق ولا حق إلا وأنا هو .
(٢) وسمعت ... يقول : ناقص فى ح . (٣) س ، ح : أخ .
(٤) ح : لأمى .
(٥) س : أيام .
(٦) محرفة فى ح كذا : قد سمنت ... أعلم .

رأسك ولم أعلمهم⁽١⁾ . ويوما آخر كحلتك بكحلهم ولم أستأذنهم . فقال أبو يزيد : إن الله يحاسب عباده على مثقال ذرة . ثم قال : ألا ترى إلى قوله عز وجل : «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »⁽٢⁾ ؟ وهذا أعظم من ذرة ؛ فأخشى أن يقطعنى عن ربى . ثم قام وسأل عن القوم وطلب ورثتهم فاستحل منهم⁽٣⁾ لنفسه ولأمه .

وسمعت محمد بن على الواعظ : وفيما أفادنى بعض شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد قال : سمعت أبا موسى عيسى بن آدم ابن أخى⁽٤⁾ أبى يزيد طيفور بن عيسى بالفارسية فترجمناها بالعربية قال أبو موسى : وكان أبو يزيد إذا هاج بدا منه كلام نحفظه منه قوله : وُدُّه وُدّى ، وودّى ودُّه ؛ عشقه عشقى ، وعشقى عشقه ؛ حُبُّه حبّى ، وحُبّى حبُّه . قال : وكان يقول بالفارسية : جاء سيلُ عشقه فأحرق الماء دونى ، فبقى الواحد كما لم يَزَلْ أحداً إذا هو الواحد .

وقال :

أشار سِرّى إليك حتى فنيت عنى ودُمْتَ أنت⁽٥⁾

محوت إسمى ورسْمَ جسمى سألْتَ عنّى فقلت أنت⁽٦⁾

فأنت تسلو خيال عينى فحيثما دُرْت كنت أنت⁽٧⁾

وقال : من ابتلى به وهب له ما قد ملكه⁽٨⁾ .

وقال أبو يزيد : بك أدُلّ عليك ، ومنك أصل إليك . ما أطيب واقعات الإلهام منك على خطرات القلوب ! وما أحلى المشىَ إليك بالأوهام فى طرقات الغيوب ! اللهم ما أحسن ما لا يمكن للخلق كشفه ، ولا بالألسنة وَصْفُه ، من حيث لا تدركه العقول .

وقال أبو يزيد : عند نسيان نفسى ذكرت بارئ النفس .

وقال أبو يزيد : ليس العجب من حبى لك وأنا عبد فقير ، وإنما العجب من حبك لى وأنت مَلِكٌ قدير !

---

(١) ثم قال ... ذرة : ناقصة فى ح .
(٢) سورة الزلزلة : ٨ .
(٣) ح : منه .
(٤) س : أخ .
(٥) بضم التاء فى س .
(٦) هذا البيت ناقص فى ح .
(٧) راجع : « ديوان الحلاج » نشرة ماسينيون ، ص ٤٦ .
(٨) س : هلكه .

وقال أبو يزيد : لو بدا للخلق منه ذرة ما بقى السكون ولا ماهو فيه .

وقال أبو موسى : جاء رجل فدقّ الباب على أبى يزيد فقال أبو يزيد : ماذا تطلب ؟ فقال : أبا يزيد . قال أبو يزيد : وأنا كذلك فى طلب (١) أبى يزيد منذ عشرين سنة .

وقال أبو يزيد : أدخلنى معهُ مدْخَلاً فرأيت الخلقَ كلهم بين الإصبعين .

وقال أبو يزيد : إن لله خواصَ (٢) من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ساعةً استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهلُ النار بالخروج من النار .

وقال أبو يزيد : أهل الجنة يتزاورون . فإذا رجعوا من الزيارة عُرض عليهم صُوَرٌ . فمن اختار منهم صورة لم يرد إلى الزيارة .

وقال أبو يزيد : ليس للعبد خير من أن يكون أبداً فقيراً ليس معه شىء : [١٣٣] لا التزهد ، ولا التعبُّد ، ولا العلم ، ولا شىء من الأشياء فيبقى (٣) عن الجميع ؛ فإذا بقى عن الجميع كانت الجميع وراءه .

وقال أبو يزيد : بلغنى أن الله تعالى يقول : من أتانى منقطعاً إلىّ جعلتُ له حياةً لا موت فيها ؛ ومن أتانى منقطعاً إلىّ جعلتُ < له > (٤) مُلْكاً لا يزول ؛ ومن أتانى منقطعاً إلىّ جعلتُ إرادتى فى إرادته .

وقال أبو يزيد : قال الله تعالى : إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بِيَ (٥) ، جعلت نهمته ولذته فى ذكرى ، ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه ، وكنت مثالاً بين عينيه .

وقال أبو موسى : كان أبو يزيد يوم الجمعة بحذاء المنبر وقد صعد الخطيب المنبر وهو يخطب : فلما بلغ هذه الآية : قوله تعالى : « وما قدروا الله حَقَّ قَدْره (٦) » فسمع أبو يزيد فطار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر .

قال وسُئِل أبو يزيد : متى يبلغ الرجل حدَّ الرجال فى هذا الأمر ؟ فقال : إذا عرف عيوب نفسه فحينئذ يبلغ حدَّ الرجال فى هذا الأمر . فهذا مبلغه ، ثم يُقَرِّبه الحق تعالى على قدر همته وإشرافه على نفسه الأمّارة .

---

(١) س : طلبى .
(٢) س ، ح : خواصا .
(٣) س : فبقى .
(٤) له : ناقصة فى س .
(٥) س : فى به .
(٦) سورة الأنعام : ٩١ .

قال : و بلغنى عن أبى يزيد أنه جلس فى المسجد أربعين سنة ، قال : فكان ثياب أبى يزيد للمسجد على حِدَةٍ ، وللبيت على حِدَةٍ ، وللخلاء على حِدَةٍ ، وكذلك نعلاه[١] .

قال : وجاءه رجل من أهل المعرفة مصاب بفرد العين فقال : إن لاحظتك بعينى لحظةً غرّقتك وأهلَ بسطام . قال : فقال له أبو يزيد : أنا قد دخلتُ طبرستان وقد رأيت تلك السيول والأنهار كلها إذا دخلت البحر غرقت ، تأمرنى أن أغوص ها هنا غوصةً أخرج من حيث لا مخلوق !

قال : وجاءه رجل فقرأ عنده : « إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ[٢] » — قال أبو يزيد : وحياتِه إن بطشى أشدُّ من بطشه .

وقيل لأبى يزيد : بلغنا أنك من السّبعة ؛ فقال : أنا كُلُّ السبعة .

وقيل لأبى يزيد : إن الخلق كلهم تحت لواء محمد صلى الله عليه وسلم ؛ <ف> قال أبو يزيد : تا الله إن لوائى أعظم من[٣] لواء محمد عليه السلام : لوائى من نور تحته الجان والإنس كلهم من النبيين .

وقال رحمة الله عليه : سبحانى ! سبحانى ! ما أعظم سلطانى !

وقال : ليس مثلى مثل فى السماء يوجد ، ولا لمثلى صفة فى الأرض تعرف .

وقال أبو يزيد : صفاتى غائبة فى غيبه ، وليس للغيب صفاتٌ تعرف .

وقال أبو يزيد : أنا لا أنا أنا أنا ، لأنى أنا هو أنا هو ، أنا هو هو .

وقال : وعاب عليه رجل مرةً فقال : يا أبا يزيد ! إنك تذكر بالزهد والمعرفة ، ولا أعرف[٤] لك كثير عبادة . فهاج أبو يزيد وقال : يا مسكين ! إنما الزهد والمعرفة مِنّى انشعب .

وقال رجل لأبى يزيد : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح ولا مساء ؛ إنما الصباح والمساء لمن تأخذه الصفة ؛ وأنا لا صفة لى .

وقال : وَجّه ذو النون إليه مُصَلًّى ؛ فرده[٥] وقال : ما أصنع به ! وَجِّه إلىّ متكئاً[٦] أتّكئُ عليه .

---

(١) س ، ح تعليه .
(٢) سورة البروج : آية ١٢ .
(٣) س : فى .
(٤) ح : ولا عرف .
(٥) ح : فوده .
(٦) س : ح : متكى .

وقال رجل لأبى يزيد : إنى سمعت أنك تَعْبُرُ إلى المشرق والمغرب فى ساعة . فقال : يكون هـذا ؛ لـكن هذا المؤمن عناه ؛ إنما المؤمن الجوهر ، أنَّى يطلع فيكون المشرق والمغرب بين يديه ، فيتناول من حيث شاء .

وقيل له : بأى شيء وجدت المعرفة ؟ فقال : بنفسٍ[١] عريانة و بطن جائع عن الـكل .

وقال : أدنى صفة العارف أن تجرى فيه صفات الحق ويجرى فيه جنس الربوبية .

وقال : جاء رجل إلى أبى يزيد فقال : يا أبا يزيد ! رأيت الصخور والجبال يبست والناس محتاجون إلى المطر ، فقال لخادمه[٢] : انظر هل سوّى الناس ميازيبهم ؟[٣] فقال الرجل : تهتم لميازيبهم[٤] ! ليت أن الله تعالى قد سقاهم ! فقال : هم أقوام مساكين عسى <أن> يُضِرَّ بهم . فما خرج الرجل من عنده حتى أخذ المطر السهلَ والجبل ، وما رأوا منه دعاء ولا شيئاً ؛ إنما هم به .

قال : وكان أبو يزيد إذا رأى الآيات والـكرامات يسأل الله تعالى تصديق ذلك ، فيرى نوراً أصفر فيه مكتوبٌ بنور أخضر : « لا إله إلا الله ؛ محمد رسول الله ؛ ابراهيم خليل الله ؛ موسى نَجِيُّ الله ؛ عيسى روح الله » فيأخذ من الله بآياته وكراماته بخمسة من الشهود صلوات الله عليهم . وذلك فى بدئه . ثم انقطع عنه وارتفع .

وقال رجل : يا أبا يزيد ! مات رجل بِطَبَرِستان ، فحضر الناس جنازته فرأيتك مع الخضر عليه السلام ، يَدُكَ على عنقه ، ويَدُه على عنقك . فلما رجع الناس من الجنازة رأيتك فى الهواء . قال : كان كذلك .

وسئل عن اسم الله الأعظم فقال : قل لا إله إلا الله وأنت هناك ثابت . فقيل له : كيف ذلك ؟ قال : تعرفه إذا ذكرته .

كُذِبَ عليه

وقيل لأبى[٥] يزيد : ربّما نرى عندك شبه النساء والرجال ؛ فما هم ؟ قال : هم ملائكة يأتونى ويسألونى[٦] عن العلم .

(١) س : نفسى .　　(٢) س : الخادمة .
(٣) س ، ح : ميازبهم .
(٤) فقال له الرجل ... ميازبهم : ناقصة فى س .
(٥) ح : وقيل له رضى الله عنه .　　(٦) س ، ح : يأتونى ويسألونى .

وقيل لأبي يزيد : يقولون إن فى اللوح كلَّ شىء ؟ قال : أنا اللوح المحفوظ كله .

وقال أبو يزيد : من تكلم فى الأزل يحتاج أن يكون معه سراج الأزل[١] .

وقال مرة : من تكلم فى بسط الديمومية يحتاج أن يكون معه نور الديمومة[٢] .

وقال : من يدّعى الإصماد فى إظهار الحق وامتلأ به يحتاج أن يكون معه صدقُ الصمدانية .

وقال : من تكلم فى بهاء الربوبيّة يحتاج أن يجرى فيه جنس الربوبية .

وسمعت أبا عبد الله الشيرازى الصوفى قال : حدثنا محمد بن على القومسى قال : حدثنا أحمد بن الفضل قال : حدثنا خلف بن عمر البسطامى قال : سمعت أبا يزيد يقول : أوقفنى الحق بين يديه ألف موقف ؛ فى كل موقف يعرض علىَّ المملكة فأقول : لا أريدها . فقال[٣] لى فى آخر الموقف : يا أبا يزيد ! أتريد ؟ فقلتُ : أريد أن لا أريد .

وسمعته يقول : سمعت عبيد[٤] الله البيلقانى بها قال : سمعت القنّاد يقول : كان أبو يزيد البسطامى يقول : إلهى ! الخلق لك ، وأنت مالكهم ! مالى والتكلفَ بالدخول بينك وبين خلقك لولا الغفلة !

وقال أبو يزيد : بالله[٥] أتقدّم ، وبنفسى أتأخر ؛ إذا وجد نفسه كان مخيّراً ؛ وإذا فقد نفسه كان مختاراً .

وسمعت أبا عبد الله الشيرازى قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر قال : حدثنا محمد ابن الفضل الصفّار البسطامى قال : سمعت أبا يزيد البسطامى — وسئل عن شىء من المعرفة فقال : لا يزال العارف يعرف ، والمعارف تعرف ، حتى يهلك العارف فى المعارف ، فيتكلم العارف عن العارف ، ويبقى العارف بلا معارف .

وسمعته يقول : حدثنا الفقيه ابراهيم بن محمد المالكى ، قال : حدثنا يوسف بن أحمد عن أبيه ، قال : حدثنا موسى الديْبُلِى قال : سمعت أبا يزيد يقول : عرج قلبى إلى السماء ، وطاف ودار ورجع فقلت : أيش جبت معك ؟ قال : المحبة والرضا .

---

(١) ح : بالأزل .

(٢) يحتاج ... الديموعة : ناقصة فى ح .

(٣) س : يقال .

(٤) ح : عبد .

(٥) ح : تالله .

سمعت أبا موسى الديـبُلِي : قال : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : لَذَّات الدنيا ثلاث : صديق وادّ ، وصحبة ملك جواد ، ومُجالسة مفيد ومُفَاد .

وسمعت[١] أبا عبد الله قال : حدثنا أبو بكر عمر بن يمن[٢] الخونى بنشوى[٣] قال : حدثنا أبو عمرو الرهاوى قال : حدثنا أحمد بن محمد الجذرى قال : سمعت أبا موسى الديـبُلِي يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : وددت أن قامت القيامة حتى أنصِب خيمتى على باب[٤] جهنم . فسأله رجل منا : ولم ذاك يا أبا يزيد ؟ قال : إنى أعلم أن جهنّم إذا رأتنى تخمد ، فأكون رحمة للخلق .

قال : وسمعته يقول : ما وجد الواجدون شيئاً من الحضور إلا كانوا غائبين فى حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم فى حضورهم ، وما غاب إلا وقد حضرت ؛ وما حضرت إلا وقد غبت[٥] ، وذلك أن الشىء لا يتفق وضدّه .

قال : وسمعته يقول : الدنيا للعامّة ، والآخرة للخاصّة . فمن أراد أن يكون من الخاصة فحكمه أن لا يشارك العامّة فى دنياهم ؛ وإنما جعلت الدنيا مرآة الآخرة . فمن نظر منها إلى الآخرة نجا ؛ ومن شغل بها عن الآخرة [١٣٤] هلك وأظلَمَ مرآتُه .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنا عبد الواحد الورثانى[٦] قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصرى قال : حدثنا على بن جعفر البغدادى عن أبى موسى الديـبُلِي قال : سمع أبو يزيد رجلاً يقول : الله أكبر ! قال له : ما معنى الله أكبر[٧] ؟ قال الرجل : الله أكبر من كل شىء سواه . فقال له : ويلك ! حددته[٨] ! أوَ كان معه شىء فيكون أكبرَ منه ؟! فقال له الرجل : فما معنى « الله أكبر ! » فقال أبو يزيد : أكبر من[٩] أن يقاس بالناس ، وأن يدخل تحت القياس أو تدركه الحواس .

وسمعت أبا عبد الله يقول : حدثنا محمد بن الفرخانى[١٠] بسامرّه قال : سمعت الجنيد

---

(١) س : وسمعته .
(٢) ح : يمنى .
(٣) ح : بنشواى .
(٤) باب : ناقصة فى ح .
(٥) ح : حضورهم وما غاب إلا وقد غبت وذلك أن الشىء ...
(٦) ح : الورشانى .
(٧) قال له ... أكبر : ناقصة فى ح .
(٨) ح : وتلك جددته — وهو تحريف ظاهر .
(٩) فقال له الرجل ... أكبر من : ناقصة فى ح .
(١٠) ح : الفرخان .

ابن محمد يقول : قال أبو يزيد : إلهى ! إن كان فى سابق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظِّم خلقى فيه حتى لا يسع معى غيرى . وأنشد فى ذلك :

ولو قلتُ : جُدْ بالكل منك لنا ، لما تأبيت فيما قلته عند ذلك
ولو وضع المعشارُ منى على لظىً نضحت من التعظيم فى وجه مالك
فحُبُّك فرضٌ ، كيف لى بأدائه ! ولستُ لفرضٍ — ما حييتُ — بتارك

* ولقد سمعت شيخ المشايخ(١) أبا عبد الله يقول . قال : حدثنا على بن جعفر البغدادى عن أبى موسى الديبلى(١) قال : صلى أبو يزيد خلف إمامٍ فى بعض المساجد . فلما كان بعد ساعة أخذ الإمام يسائله من أين تأكل . فقال له أبو يزيد : اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليت خلفك فإنه لا تجوز الصلاة خلف من لا يعرف(٢) الرزاق .

سمعت أبا عبد الله ، قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثانى ، قال : حدثنا أحمد بن الحسن المصرى ، قال : حدثنا على بن جعفر البغدادى(٣) : وسمعت أبا موسى الديـْبلى يقول : سئل أبو يزيد عن رفع اليدين فى الصلاة فقال : سُنَّة من سُنَن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولكن اجتهد أن يرفع قلبك إلى الله فإنه أوْلى .

وقال أبو موسى الديبلى(٤) : يقول : سمعت أبا يزيد يقول : ربما أطلب لنفسى أشد عقوبات الله(٥) من سوء معاملتها إياى ، فأُجيل فكرى فى جميع عقوبات الله تعالى فلا أجد شيئاً أشد من الغفلة ، لأن الغفلة من الله طَرْفةَ عين أشدُّ من النار .

وقال : وسمعت أبا موسى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : قطعتُ المفاوز حتى بلغت إلى البوادى ، وقطعتُ البوادى حتى وصلت إلى الملكوت ؛ وقطعت الملكوت حتى بلغتُ إلى المُلْك . فقلت : الإجازة ! قال : قد وهبتُ لك جميع مارأيت . قلتُ : إنك تعلم أنى لم أرَ شيئاً من ذلك . قال : فما تريد ؟ قال أريد أن لا أريد . قال : قد أعطيناك .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنا أبو سهل الاستراباذى قال : حدثنا أبو يعقوب عمى

(*) ما يلى هنا ورد فى مخطوط بغداد متقدماً فى غير موضعه ، وذلك عند س ٥٥ من هذا الكتاب راجع التعليقة المشار إليها بالنجمة (*) فى تلك الصفحة .

(١) شيخ المشايخ : ناقصة فى ح . (٢) ح : لا ير الرزاق .
(٣) سمعت أبا عبد الله ... البغدادى : ناقصة فى ح .
(٤) الديبلى : ناقصة فى ح . (٥) ح : لله تعالى .

الولائى يقول : قال أبو يزيد : رُفِعتُ مرة حتى أقمتُ بين يديه فقال لى : يا أبا يزيد ! إن خلق يريدون أن يروك . قال أبو يزيد : يا عزيزى ! إنى لا أحب أن أراهم ، فإن أحببت ذلك منى فإنى لا أقدر < أن > أخالفك ؛ فزيّنى بوحدانيتك حتى إذا رآنى[١] خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أناهناك . قال أبو يزيد : ففعل ذلك ، فأقامنى وزينى ورفعنى ثم قال : اخرج إلى خلقى ! فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق . فلما كان الخطوة الثانية غشى علىّ فنادى : ردُّوا حبيبى فإنه لا يصبر عَنّى .

قال أبو يعقوب عمى الولائى قال أبو يزيد : لما صرتُ إلى وحدانيته — وكان أول لحظة إلى التوحيد — أقبلت أسير بالفهم فيه عشر سنة حتى كلّ فهمى ، فصرت طيراً جسمه من الأحدية وجناحه من الديمومية . فلم أزل أطير فى هواء الكيفية عشر سنين طيران بُعْدَ ما بين العرش إلى الثرى ثمانمائة ألف ألف مرة ، فلم أزل حتى جاوزت الديمومية . قال : ثم أشرفت [١٥ ب] على التوحيد فى غيبوبة الخلق عن العارف وغيبوبة العارف عن الخلق .

قال أبو يزيد : لو أن مائة ألف مَلك كلهم بقدر جبريل وميكائيل وإسرافيل فى قلب العارف وفى كل زاوية من زوايا قلبه[٢] ما حسّ به العارف ولا يشعر ، ولا علم أنهم فى كون الله موجودون[٣] ؛ وإن حَسّ بهم فليس بعارف .

قال : يا عزيزى ! هذا بهائى ! كن سفينتى فيها . فقلتُ : يا عزيزى ! بهاؤك كذلك وهو صفتك ، فكن سفينة نفسك فى نفسك ولا حاجة لى فى ذلك .

قال : يا عزيزى ! هذا بساط عشق . هَلُمَّ ! فكنتُ عليه فى عشق ذلك . فقلت : ما أنا هنالك ؛ ومرادى منك غيرك .

وحدثنى أبو الحسن على بن محمد القومسى قال : حدثنا عيسى عن أبيه محمد قال : حدثنا طيفور بن عيسى قال : حدثنا موسى بن عيسى عن الشيخ أبى يزيد : سئل [عنه] عن طلب العلم فقال : إنما حَسُنَ طلب العلم وأخبار الرسول لمن يطلب المخبر به ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أو المخبر عنه . فأما طلبه ليزيّن نفسه عند الخلق فإنه يزداد بُعداً من الله ورسوله .

---

(١) س ، ح : رأونى .　(٢) قلبه : ناقص فى ح .
(٣) س ، ح : موجودين .

وبهذا الإسناد أنه قال : لم أزل منذ أربعين سنة أنى ما استندت إلى حائط إلا إلى حائط[(١)] مسجد أو رباط . فقيل له : لم لا تستند وفى ذلك رخصة ؟ فقال : سمعت الله عز وجل يقول : «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» ، فهل ترى من رخصة[(٢)] ؟ !

وبهذا الإسناد قال : غُصْتُ فى بحور الأعمال أربعين سنة فصعدت فإذا أنا مربوط[(٣)] بالزنار .

وسمعت الشريف : أخبرنا محمد الداعى مهدى الاستراباذى العلوى قال : أخبرنا على ابن جهضم قال : حدثنى أبو الطيب محمد بن جعفر بن سليمان قال : سمعت أبا الحسن البدرى يقول : قال يوسف بن الحسين : كنت عند ذى النون ، فجاءه رجل فقال له : رأيتُ أبا يزيد ، فقلتُ له : أنت أبا يزيد ؟ فقال : ومن أبو يزيد ؟ يا ليتنى رأيت أبا يزيد ! فبكى ذو النون وقال : إن أخى أبا يزيد فقد نفسه فى حبّ الله فصار يطلبها مع الطالبين .

وسمعته يقول : محمد بن أبى الحسن يقول : سمعت الحسن بن على بن حنوية الدامغانى يقول : سمعت عمى البسطامى ، قال أبو حفص : سألت أبا يزيد عن الزهد فقال : ليس للزهد منزلة . فقلت : لماذا ؟ قال : لأنى كنت ثلاثة أيام زاهداً ؛ فلما كان اليوم الرابع خرجت منه . فقال أبو حفص : وكيف ذلك ؟ قال : زهدت أول يومى فى الدنيا وما فيها ؛ واليوم الثانى زهدت فى الآخرة وما فيها ؛ واليوم الثالث زهدت فيما دون الله . فلما كان اليوم الرابع لم يبق لى سوى الله شىء . فهِمْتُ فسمعْتُ قائلاً يقول : يا أبا يزيد ! لا تقوى[(٤)] معنا . فقلت : إنما أردت هذه الكلمة فسمعت قائلا يقول لى : وجدتَ ، وجدتَ .

وسمعته يقول : سمعت الشريف أبا محمد الداعى بن مهدى الاستراباذى العلوى الصوفى يقول : سمعت محمد بن عمرو الصوفى يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت عمى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد — قيل له : بم نلتَ ما نلتَ ؟ — قال :

---

(١) ح : إلى حائط وإلى حائط مسجداً ... وهو تحريف ظاهر .

(٢) ح : بعض — وهو تحريف .   (٣) س : مرتبط .

(٤) س ، ح : تقوا .

انسلختُ من نفسى كما تنسلخ الحية من جلدها ؛ ثم نظرتُ إلى نفسى فإذا أنا هو .

وسمعت الشريف يقول : سمعت محمد بن أبى الحسن يقول : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : لم أزل أبكى حتى ضحكتُ ؛ ولم أزل أضحك حتى صرت [١١٦] لا أضحك ولا أبكى .

وسمعته[1] يقول : سمعت أبا عبد الرحمن البدوى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : طلبتُ قلبى ليلة من الليالى فلم أجده . فلما كان فى السَّحَر سمعتُ قائلاً يقول : يا أبا يزيد ! هو ذا تطلب غيرنا ؟ !

وسمعته يقول : سمعت محمد بن أبى الحسن يقول : سمعت أبى يقول : سمعت القنّاد يقول ويحكى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال : لا يزال العبد عارفاً ما دام جاهلا ؛ فإذا زال عن جهله زالت معرفته . (= لو ظن أنه عالم ، فهو جاهل)

وسمعته يقول : سمعت السُّلَمى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : معرفة العوام ومعرفة الخواص ومعرفة خواصّ الخواص : فمعرفة العوام معرفة العبودية ، ومعرفة الربوبية ، ومعرفة الطاعة ومعرفة المعصية ، ومعرفة العدو والنفس . — ومعرفة الخواص معرفة الإجلال والعظمة ، ومعرفة الإحسان والمِنّة ، ومعرفة التوفيق . — وأما معرفة خاص الخاصّ فمعرفة الأنْس والمناجاة ومعرفة اللطف والتلطف ، ثم معرفة القلب ، ثم معرفة السر .

وسمعت الأستاذ أبا الحسن محمد بن القاسم الفارسى قال : سمعت أبا بكر أحمد بن محمد[2] النيسابورى قال : سمعت أبا بكر أحمد بن إسرائيل يقول : سمعت خالى على بن الحسن يقول: سمعت الحسن بن على بن حنويه يقول : سمعت عمى وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبى يزيد طيفور بن عيسى البسطامى قال : سمعتُ أبى يقول : قيل لأبى يزيد : بم نلتَ ما نلتَ ؟ قال : ببطن جائع ، وبدن عارٍ .

---

(١) ح : وسمعت .

(٢) ابن محمد : ناقصة فى ح .

وبه[١] يقول : قُرِئ[٢] بين يدى أبى يزيد قول الله تعالى : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا . » فتواجد أبو يزيد وهامَ وجعل يقول : من كان عنده لا يحتاج أن يُحشَر لأنه جليسه أبدا .

وبه[١] : قال أبو يزيد : دعوت الخلق إلى الله خمسين سنة فلم يجيبونى ، فتركتهم وصرتُ إليه وحدى ، فوجدتهم قد سبقونى إليه .

وبه[١] : قال أبو يزيد : امتُحِنتُ بعرض العطايا ، عطايا الدنيوية ، فأعرضتُ عنها ؛ ثم عرضوا علىّ عطايا الأخروية فمالت نفسى إليها . ثم نبهنى لها أنها خدعة فأعرضتُ عنها . فلما رآنى لا أنخدعُ لها لأنها من الكونية فتح لى عطايا الإلهية .

وبه[١] : قال أبو يزيد : لما أشرفنى على التوحيد طلقتُ نفسى وصرتُ إلى ربى وناديته بالإستغاثة إليه . قلت : يا مولاى ! أدعوك دعاء من لم يبق له غيرُه . فلما عرف صدق فى الدعاء مع إياسى من نفسى كان أول ما ورد علىّ من إجابة هذا[٣] الدعاء أن أنسانى نفسى بالكلية فأنسانى الخلائق والملكوتات . — قال أبو يزيد : فتخليتُ من الهموم وبقيتُ بلا همّ ؛ فلم أزل أقطع مملكةً مملكةً فإذا صرتُ إليهم قلتُ لهم : قوموا حتى أجوز . فأقيمهم وأجوز حتى صرتُ إليهم . فقرّبنى قريباً جعل لى إليه سبيلاً أقرب من الروح إلى الجسد . ثم قال : يا أبا يزيد ! إنهم كلهم خَلق غيرك . فقلتُ : فأنا أنت ، وأنت أنا ، وأنا أنت .

قال : وقال أبو يزيد : إن الله أمر عباده ونهاهم [١٦ ب] فلما أطاعوه خلع عليهم من خِلَعه خِلعةً فاشتغلوا بالخلعة عنه وأنا لا أريد من الله إلا الله .

وبه : قال أبو يزيد : أعرِفْ ربّك بلا معرفة نفسك بغير رؤية قلبك ، وازهد فى الاغترار بما سوى ربك .

وبه : قال أبو يزيد رضى الله عنه[٤] حيث أوصى لخادمه[٥] أبو موسى : أوصيك بإقبالك

---

(١) أى : بإسناده — وكذا أينما وردت فى أول الفقرات .
(٢) س : فدى .
(٣) س ، ح : فن أجابه . س : هذه .
(٤) أبو يزيد ... عنه : ناقصة فى س . (٥) ح : إلى خالته ... وهو تحريف ظاهر .

على ربك أيام حياتك بكليتك ، ولا تولَّ عنه وجهك إلى وقتٍ ، فإن نواصيكم[١] بيده وإنه لا بد من لقائه والوقوف بين يديه وأنت مسئول عن جميع أعمالك ، فشمرٌ لذلك ، واستعدَّ لمعادك ، ولا تغفل وانتبه عن رقدة الغفلة وتيقظ[٢] من نومة الغافلين ، وألقِ كتفك بين يدى سيدك كل صباح ومساء ؛ والزم ذكره واحفظ خدمته وأحْسِن ظنك به ، ولا تؤثر أحداً[٣] عليه ، واصبر على ما أصابك من البلاء وارْضَ بحكم الله وقضائه وقدرته ، وبحسن اختياره لعبده ، واقنع بعطيته ، وثق به وآمن لموعده ، وأيقن بوعده ووعيده ، وتوكل على الحيّ الذى لا يموت ، واذكر الله ، واستعِنْ بالله فى كل أمورك ، واحذر منه ما دمت حياً ، واهرب من الخلق إليه وفَوِّض أمرك إليه .

وبه : عن عمى ، يقول : سمعت أبى يقول : سألنى أبو يزيد : يا أبا موسى : عبد الرحيم فى أى فن من فنون العلم يتكلم ؟ — وكان عبد الرحيم هذا عالِمَ بسطام — قلت : فن[٤] الزهد فى الدنيا . فقال : وأى قَدْر الدنيا حتى يحتاج أن يتكلم فى الزهد فيها !

وبه : عن عمّى : عن أبيه[٥] قال : خرج أبو يزيد ليلاً فسمع صوت الحارس يهلل ويكبّر ويصيح ؛ فالتفت إلىّ فقال : يا أبا موسى ! قلت : لبيك ! فقال لى : مُرّ إلى هذا الحارس فقل له : كم أجرتك الليلة ؟ وأضعفه وقل له تذكر شيئاً آخر ولا تذكر عزيزى بهذه الغفلة .

وبه : قال أبو يزيد : أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة[٦] : الزاهد بزهده ، والعابد بعبادته ، والعالم بعلمه . ثم قال عُقَيْب قوله : مسكينٌ الزاهد ! قد تلبس الزهد وجرى فى ميدان الزهاد ، ولو علم قلة الدنيا وفى أى شىء زهد ، وكم مقدار ما زهد فيه ! وأين[٧] يقع هو فى الدنيا من الزاهدين ! إن الزاهد يلحظ فيبقى عنده فلم يرجع بطرفه إلى غيره . وأما العابد <فهو> الذى يرى مِنَّة الله عليه فى العبادة أكثر من العبادة حتى تغرق عبادته فى المنة .

---

(١) ح : ناصيتكم .

(٢) ح : وسقط — وهو تحريف . (٣) ص : أحد .

(٤) ص ، ح : من . (٥) ح : عن عمى أبيه — وفيه نقص ظاهر .

(٦) ص ، ح : ثلاث بثلاث . (٧) ح : وأن .

وأما العالم فلو علم أن جميع ما أبدى الله من العلم سطراً من اللوح المحفوظ فكم عَلِمَ هذا العالم من ذلك العلم وبكم عمل فيما علم؟ ثم قال أبو يزيد: العالم الذى يكون علمه لله، يأخذ عنه إذا ما شاء كيف شاء بلا تحفظ ولا كتب. — ويكون هؤلاء الثلاثة ذوى[1] شىء إلى يوم القيامة.

وبه: قال: قدم رجل على أبى يزيد من الكبار فقال له: يا أبا يزيد! قد أُعطيتُ مُلكَ الدارين. قال: وأى شىء يكون! إنما هما دارا[2] إبليس. قال: فلما انصرف الرجل وجه أبو يزيد على أثره فرده فقال له: إن كنت صادقاً فيما ادعيت فادعُ بكوكب من السماء. فبقى الرجل.

قال: وقدم عليه آخر فقال: يا أبا يزيد! بلغت المبْلغ. قال: ما هو؟ قال: أعطانى أن أطير فى الهواء إن شئتُ؛ وأن أمشى على الماء إن أنا شئتُ. فقال: وبأى شىء هذا؟ خلق من خلق الله لا يقع عليهم قيمة فقد يمشون على الماء وهم الحيتان؛ وخَلْق يطيرون فى الهواء وهم الطيور. إن العبد الجيد < هو الذى > إن يلحظ يلحظ الممالك كلها فى تلك اللحظة.

قال: وقدم على أبى يزيد [١١٧] رجلان، قال أحدهما: يا أبا يزيد! جئتك من وراء سبعة أبحر بأقل من ساعة من نهارى. فنظر إليه شِبْهِ المغضَبِ وقال: ليس ذا بعجيب[3]، إنما أعطيت قوة خُطّاف. — وقال الآخر: جئتك من وراء المشرق بأقل يوم؛ فقال: لا تَخْدَعَنّ[4]! فما أعطيتَ إلا مسيرة يوم. — ثم قال أبو يزيد: كم من خلق الله يمشى على الماء وفى الهواء وليس لهم عند الله كبير مقدار! وليس ذلك بعجيب. إنما العجب أسرار قلوب أوليائه التى لم يطلع عليها[5] أحد من الملائكة.

وسمعت أبا الحسن قال: سمعت أبا إسحٰق إبراهيم بن العباس البخارى يقول: سئل أبو يزيد: لماذا خلق الله الخلق؟ قال: خلق الله الخلق لإظهار قدرته، ورزقهم لإظهار جوده،

---

(١) س: ذووا؛ ح: ذوا.
(٢) س: دارى؛ ح: داراى.　(٣) ح: بعجب.
(٤) ح: لا تجد عز — وهو تحريف ظاهر.
(٥) عليها: ناقصة فى س. وفى ح: عليه.

وأماتهم لإظهار قهره ، ويحييهم لإظهار عظمته ، ويحاسب معهم لإظهار عدله[١] ، ويدخل[٢] المؤمنين الجنة لإظهار رحمته .

بدء إسناد جديد

وسمعت أبا الحسن يقول : سمعتُ أبا نصر أحمد بن محمد بن اسماعيل البخارى يقول : سمعتُ أبا الحسن محمد بن الحسن الحافظ الجرجانى يقول[٣] : سمعت الحسن بن على بن سلام يقول : قال أبو يزيد فى مناجاته : لست أتعجب من حُبِّى لك فأنا عبد فقير ؛ ولكن أتعجب من حبك لى وأنت مَلِك قدير .

وقال أبو يزيد : محالٌ أن تعرفه ثم لا تحبه .

وقال : من لَزِمَ العبودية لزمه اثنان : يأخذه الخوف من ذنبه ، ويفارقه العجب من عمله .

وقال فى مناجاته : أسلمنى إليك ، فإنه لم يبق لى معها غيرك .

وقال : حاصلهم بعد الغاية رجوعهم إلى شىء واحد : طلب العفو .

وقال : ذكرى لله حظى من الله ؛ ووقت غفلتى حظ الله منى .

وقال : العارف ما فرح بشىء قط ، ولا خاف من شىء قط .

وقال : دخل أبو يزيد مدينة فتبعه فيها خلق كثير . ثم خرج ورآهم خلفه فقال : ما هؤلاء ؟ فقال : يصحبونك . قال : يارب ! أسألك ألا تحجب الخلق بك عنك ، وتحجبهم عنك بى . ثم صلى بهم الفجر ، والتفت إليهم فقال ﴿إنى أنا لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (١) فقالوا جُنَّ أبو يزيد ؛ وتركوه .

وقال أبو يزيد : غبتُ عن الله ثلاثين سنة ، وكانت غيبتى عنه ذكرى إياه ، فلما حُبِسْتُ عنه وجدته فى كل حالٍ كأنه أنا .

وسمعت محمد بن على بن أحمد الواعظ قال : وفيما أفادنى بعض شيوخ الصوفية حاكياً عن الجنيد بن محمد : قال : سمعت أبا موسى عيسى بن آدم بن أخى[٤] أبى يزيد طيفور بن

(١) ح : ويحييهم لإظهار عدله — وفيه نقص .
(٢) ح : ويدل — وهو تحريف .
(٣) سمعت أبا نصر ... يقول : ناقص فى س .
(٤) س ، ح : أخ .

(١) لم يفعل أكثر من أن قرأ آية من القرآن ، لكى ينفرهم منه فينصرفوا عنه ولا يتبركوا به

عيسى بالفارسية فترجمناها بالعربية يقول كلاماً ثم يقوله : أَسْبَلَ علىَّ ستور أنواره فغطَّانى بستوره ، وأنارنى بنور ذاته فقال : يا حُجَّتى ! فقلتُ : أنت حجة نفسك ، لا حاجة لى فى ذلك .

لا حجة

وقال : قال لى مرة فى الغيب : يا أبا يزيد ؟ كيف ترى فِعْلى بك ؟ فقلتُ : فعلك بك ، لا بى . — قال : ثم رفعنى إلى مكنون غيبه فقال : يا عزيزى ! كن غيباً فى غيبتى . فقلتُ : يا عزيزى . كن أنت غيبَ نفسك فى نفسك .

وقال أبو موسى : كانت بخراسان امرأة من بعض النساء الملوك ، فزهدت وتبتّلت وأخذت فى طريق أبى يزيد ، وكانت والهةً به وبذكره ، وكانت عابدة فقيل لها : أخبرى عن كرامة الله إياك ! فقالت : كنت لهِجَةً بإشارات أبى يزيد ، فسألت ربى عز وجل أن يريَنيه فى الغيب . فبينما أنا أسائله إذ[1] أَسْرى بى ذات ليلة فى السماء — تعريجَ إلهامات — حتى جاوزتُ الهواء السابع ؛ فصرتُ إلى العرش ؛ فنوديت : أقبلى أقبلى [١٧ب] فتناهيتُ < إلى > العرش وطرتُ إلى الحجب ؛ ثم نوديت : ادنُ منى . فخرقت الحجب وأتيت إلى مكان بانت عنى شهادتى ، ورأيت الحق[2] صرفاً فى فعله ، ناظراً إلى ملكه ، فقلتُ لمن كان معى : أين أبو يزيد ؟ فقال : أبو يزيد أمامك . قال : فجعل لى جناحين أطير بهما يصحبنى شاهد الفناء مِنّى باظهار الحقّ فىَّ حتى مضى بى به، لا بى[3] ، حتى بلغ فى التوحيد بلا إشارة فى غيرها ؛ وهو التوحيد الذى لا ينبىء عن صنعة موجودة بشاهد الاصطلامة بها . ثم تذكُرُ قصته حتى تقول : فأشرفت بعد ذلك على بسط ذاتية الحق فقيل لى : أين تريدين وهذا أبو يزيد ؟ فأسرى بى روضة خضراء بهايين[4] فيها قضيب من ياقوت أبيض عليه مكتوب : لا إله إلا الله ، أبو يزيد صفىّ الله . ثم تقول وتقول من صفة ما رأت وتجاوزت عنها حتى تذكر قصة ثم تقول : قلت هذا أبو يزيد . فقال : هذا مكان أبى يزيد ؛ وأبو يزيد يطلب نفسه لا يجدها .

وبه ، قال رجل لأبى زيد : بلغنى عنك آية أنا مؤمن بها ، ولكن يعارضنى فيها

---

(١) س : إذا .
(٢) الحق : ناقصة فى ح .
(٣) ح : مضى بى لابى .
(٤) كذا !

الشك ؛ فأحبّ أن تقول شيئاً يذهب الشكّ عنّى . فقال له : مثل ماذا يا مسكين ؟ ! فقال بلغنى أنك تمشى على الماء وفى الهواء وتأتى مكّةَ بين الأذان والإقامة وترجع فقال له : يا مسكين ! إن هذا الذى ذكرت ليس له خطر ؛ وإن أعطى المؤمن هذا فإنما أعطى[1] عطاء طير من الطيور ليس لها ثواب ولا عقاب ؛ بل المؤمن أكبر على الله من الغراب . وأما ما ذكرت < من > أنى أسير ما بين الأذان والإقامة إلى مكة فإن بعض الجن [ف] يسير فى نحو هذا إلى مكة ويأتى بالخبر[2] . فإن أعطى المؤمن هذا فإنما أعطى عطاء بعض الجن ؛ والمؤمن أكرم على الله من الجن . قال : ثم هاج واضطرب وقال : المؤمن الجيد الذى تجيؤه مكةُ وتطوف حوله وترجع ولا يشعر به حتى كأنه أخِذَ .

وقال أبو زيد : غبت عن الله ثلاثين سنة ؛ وكان غيبتى عنه ذكرى إياه . فلما حبست عنه وجدته فى كل حال حتى كأنه أنا .

وبه ، قال : ما وجد الوجدون شيئا من الحضور إلا كانوا غائبين فى حضورهم وكنت أنا المخبر عنهم فى حضورهم ؛ وما غاب إلا وقد حضرت ، وما حضرت إلا وغبت ، وذلك أن الشىء لا يتفق وضده .

وبه ، قال : وسأل رجل أبا يزيد فقال : إن المريدين ليسوا يهدأون من السياحة والطلب . فقال : صاحبى مقيم ليس بمسافر وأنا معه مقيم لا أسافر .

ثم قال أبو زيد : ما تقول فى ماء البحر ؟ أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم : هو الطهور ماؤه وأحِلّ ميتته ؟ ثم قال أبو زيد : ترى الأنهار[3] تجرى ولها دوى وخرير حتى إذا دنت من البحر وامتزجت به سكن خريرها ودوِيُّها ولم يحس بها البحر ولا زادت فيه ، ولا إن خرجت تؤثر فيه . ثم قال : مثلك فى الرجال كمثل السيل والبحر ، لأن السيل — ما دام وحده — يتهادى فى جريه ويخرر[4] فى صوته . فإذا دنت من البحر وامتزج به سكنت فورتها وخريرها[5] ، فلا يحس بها البحر ، ولا زاد فيه ولا ينقص إن استدبر عنه .

---

(١) أعطى ... فإنما : ناقصة فى ح .

(٢) فإن بعض الجن ... مكة : ناقصة فى ح .

(٣) س : بلأنها .

(٤) ح : فالخرر .

(٥) ح : وحريريها — وهو تحريف ظاهر .

وقال رجل لأبي يزيد — قوى الله سره العزيز —[١] : بلغنى أنه عندك الاسم الأعظم فأحب أن تعلمنى . فقال أبو زيد : إن اسم الله الأعظم ليس له حدّ محدود ، ولكنه : طهّر [١٨ ا] قلبك لوحدانيته . فإذا كنت كذلك فارفع أى اسم شئت ، فإنك تسير بها المشرق والمغرب[٢] ثم تجىء وتصف . فقال : الرجل : سبحان الله ! ويكون هذا أن يسير الرجل فى ساعة إلى المشرق والمغرب ثم يجىء ويصف؟ فقال أبو يزيد : نعم ! وليس لهذا خطر أن يمشى باسمه الأعظم أقطار السموات والأرض ، لأن جميع ما دون الله يكون تحت قدميه فيمر بقدميه إلى حيث شاء . فقال الرجل : وأىّ مقام هذا ؟ فقال أبو يزيد : أما المقام فلا صفة له ، ولكن مثله شبه مرآة لها ستة أوجه ، فإذا أراد الله أن ينظر إلى خلقه نظر فى هذا الرجل الذى هى مرآته فيرى خلقه فيه ويدبّر أمورهم .

وبه ، قال : قال أبو موسى : أهدى ذو النون المصرى إلى أبى يزيد بِمُصلًى فلم يقبله وقال للرسول : قل لذى النون إن هذا يصلح لمثلك لتُصَلّى عليه . وقال : فبعث ذو النون ثانياً إليه بوسادة قد كان أبلغ فى تجويدها . فلما أتاه الرسول قال : ارجع إليه بهذه وقل له : من كان هو وسادة لا يشتغل بوسادتك . — وكان[٣] هذا آخر عمره حيث ذاب وذبِل ولم يبق منه إلا الجلد والعظم .

وبه ؛ قال أبو موسى : كان أبو يزيد يدعونى فى بعض لياليه : إلى كم بينى وبينك هذه الأنانية ؟ أسألك أن تمحو أنانيتى عنّى ، حتى تكون أنانيتى[٤] أنت ؛ فتبقى وحدك ، ولا ترى إلا وحدك يا عزيز . قال أبو زيد : فاستجاب دعائى ، غير أنه هَيَّجَنى .

ثم قال أبو يزيد : إن كنت تحب أنانتك[٥] لى ، فإنى قد وهبت أنانتى لك ، فافعل ما تريد .

وبه ، : كان أبو يزيد لما خلاً عن نفسه وأدرك هذه الحالة صارت تمنياته[٦] وإرادته أسرع من الطرف . وكان لا يَهُمُّ لشىء حتى تصوّر له ذلك على ما يريد . وكان له من الإجابات العجائبُ .

---

(١) ح : فكان .
(٢) ح : رضى الله عنه .
(٣) والمفرت : ناقصة فى ح .
(٤) ح : أنانى . والأنانية : البرادة
(٥) ح : أنانيتى .
(٦) ص ، ح : تمناه .

وسمعت أبا على عبد الله بن ابراهيم الواعظ قال : سمعت عبد الله بن على يقول : سمعت طيفور البسطامى يقول : سمعت موسى بن عيسى يقول : قال أبا يزيد : لو نظرتم إلى رجلٍ أعطى من الكرامات حتى تربَّعَ فى الهواء ، فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشريعة .

قال : وسمعته يقول : كان أبو يزيد إذا ذكر الله عز وجل يبول الدمَ .

وقال أبو يزيد : إذا وقفت بين يدى الله عز وجل أجعل نفسى كأنى مجوسىٌ يريد أن يقطع الزنّار .

وقال : وسمعت على بن بندار يقول : سمعت أبا بكر بن محمود يقول : بلغنى أن أبا حفص قدم[1] على أبى يزيد فقال له : يا أبا يزيد ! ببلغنا عنك فى كل وقت أشياء ننكرها . فقال[2] : إنما يخرج الكلام منى على حسب وقتى ، ويأخذه كل إنسان على حسب ما يقوله[3] ، ثم ينسبه إلىّ .

وقيل إنه اجتمع عليه الناس فقال : يارب ! كيف سألتك أن تحجبهم بك عنك ، فحجبتهم بى عنك[4] !

وسمعته يقول : سمعت أبا الحسن محمد بن القاسم يقول : سمعت أبا يحيى العربى البسطامى يقول : كان مشايخ ناحية بسطام من أصحاب أبى يزيد يحدّثون عنه أنه كان <يقول> : كان ابتداء أمرى أن أقامنى الحق تعالى على أبواب العلماء وصحبة المتعلمين دهراً طويلاً . فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسى تحدثنى أنك قد علمت وعرفت ؛ والعالم والعارف فى أعلى المراتب . فأشرف بى الحق تعالى ، حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين ، فلم أرَ لنفسى[5] معهم موضع قدم [١٨ ب] فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق . فقلت : العلم والمعرفة من[6] غير حقيقةٍ حجة . وكان عندى أن الحقيقة فى العلم والاجتهاد — فأقامنى الحق تعالى

---

(١) بياض فى س بقدر ٣ سم مكان : حفص قدم على أبى .
(٢) بياض بقدر ٢ سم فى س مكان : تنكرها فقال : إنما .
(٣) ح : وقته ثم ينسبه إلى — وفيه نقص ظاهر .
(٤) هذه الفقرة ناقصة فى س .
(٥) س ، ح : نفسى . (٦) ح : ومن .

مع المصلّين فى الجماعة والمحاريب دهراً طويلا لم يكن يفوتنى مع الإمام التكبيرة الأولى . فأشرف بى الحقُّ تعالى حتى أرانى المصلّين الراكعين الساجدين على الباب . فلم أر لنفسى معهم موضع قدم ، فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فأقامنى مع الصائمين دهراً طويلا . ثم أشرف بى حتى أرانى ازدحام الصائمين الجائمين الواصلين صيام النهار بقيام الليل على الباب ؛ فلم أر لنفسى معهم موضع قدم ؛ فانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فأقامنى مع زُوّار بيته دهراً طويلاً . ثم أشرف بى حتى أرانى ازدحام المُلَبِّين المُحْرِمين الفجاجين الثجاجين من كل فج عميق قاصدين إليه ، فلم أر لنفسى معهم موضع قدم ، فتلاشيتُ وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى. — فأقامنى مع المجاهدين أضرب معهم السيوف فى وجوه أعدائه دهراً طويلا . ثم أشرف بى حتى أرانى ازدحام المجاهدين القاتلين أعداءه ، المقتولين المزمّلين بكلومهم بين يديه ؛ فلم أر لنفسى معهم موضع قدم ؛ فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى . — فقلت : إلهى ! ارحمنى وارحم حَيرتى وأقم بعبدك مقاماً أتقرب إليك لا ينافسنى فى ذلك المقام منافس ، ولا يزاحمنى فيه مزاحم . فلقد أشْرِفَ بى على من سبقونى إليك ورأيتنى لا أطيق اللحوق بهم . فنادانى الحق: يا أبا يزيد ! إنه لا يتقرّب إلىَّ متقرِّب بمثل من يأتينى بما ليس لى . قلت : إلهى ! وما الذى ليس لك وأنت تقرب من يأتيك به ؟ ومن أين لى ما ليس لك ؟! فقال : يا أبا يزيد ! ليس لى فاقة ولا فقر ؛ فمن ابتغى لدىّ الوسيلة بها قرَّبْتُه من بساطى . قلت : اللهم أشْرِفْ بى على ذوى الفقر والفاقة . فأشرف بى ؛ فإذا هم شرذمَة قليلون لا أرى هناك ازدحاماً ولا تنافساً[١] ؛ ولا أرى لهم على الباب جَلَبة ولا صياحاً . فعاهدته لا أوْثر على الفقر والفاقة شيئاً . فها أنا معه على هذا العهد ، فليس من[٢] ساعة إلا وتأتينى منه كرامة جديدة. فقلت : إلهى! هذا شىء خصصتنى به من بين خلقك . قال : هذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليهما وأنس بهما[٣] .

وسمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى ، قال : سمعت مظفر بن عيسى المراغى قال : سمعت شنبذين يقول : سمعت أباموسى الدَيْبُلِى يقول : سمعت أبايزيد يقول : أشد

---

(١) س ، ح : ازدحام ولا تنافس ... ولاصياح .

(٢) من : ناقصة فى ح . (٣) س : عليها ... بها .

المحجوبين حجاباً عن الله ثلاثة بثلاثة : بالزهد والعبادة والعلم . ولو علم المسكين أن الدنيا سَمّاها قليلا ، فكم ملك هو من ذلك القليل ، وفى كم زَهِدَ فيما ملك ! ثم قال : إن الزهد شِركٌ لأنه اعتقاد مع الله ؛ والزاهد هو الذى يلحظ الله فيبقى عنه ، ثم لا يُرْجِع نظرته إلى غيره ولا إلى نفسه : واحِدٌ محجوبٌ بزهده وآخر بعبادته ، وآخر بعلمه ، والجنة هى الحجاب الأكبر ، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة ، وكلُّ من سكن إلى سواه فهو محجوب.

قال : وسمعته يقول : [١١٩] إن لله عباداً لو احتجب عنهم فى الدنيا والآخرة لما عبدوه .

وبهذا الإسناد قال : سمعته — وقد سئل عن الطريق إلى الله تعالى — فقال للسائل : إن غبت عن الطريق تَصِلْ إلى الله تعالى[1] .

وبهذا الإسناد : سأله إنسان : إن الله تعالى أحد ؟ فقال : واحد كقولك ألف ؛ فالألف علة ، والواحد علة لا ترجع إلى وصف ، فلا تعرَّف الله .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد قال : غبت فى الجبروت وخُضْتُ[2] بحار الملكوت وحُجُب اللاهوت حتى وصلت إلى العرش فإذا هو خال فألقيت نفسى عليه وقلت : سيدى ! أين أطلبك ؟ فكشف فرأيت أنى أنا ، فأنا أنا ؛ أَوْلَى فيما أطلب ، وأنا لا غيرى فيما أسير .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : خرجت أول مرة إلى الحج فغلبنى الزحام ؛ وخرجت ثانياً فغلبنى البيت ، وثلاثة ، وخرجت الرابعة فنوديتُ فى بعض المتاهات : إلى أين يا أبا يزيد ؟ فقلت إليه . فنادانى : خَلَّفْتَه ببسطام ! فنبهت عن غفلتى .

وبهذا الإسناد قال : سمعت أبا يزيد يقول : خرجتُ إلى الحج ، فاستقبلنى رجلٌ فى بعض المتاهات فقال : أبا يزيد ! إلى أين ؟ فقلت : إلى الحج . فقال : كم معك من الدراهم ؟ قلت : معى مائتا[3] درهم . فقال : طُفْ حولى سبع مرات ، وناولنى المائتى درهم فإن لى عيالاً[4] ؛ فطفتُ حوله وناولته المائتى درهم .

---

(١) تعالى : ناقصة فى ح .
(٢) ح : خصصت — وهو تحريف ظاهر .
(٣) س ، ح : مائتى .
(٤) ح : عيال .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله الداستانى ، قال : أخبرنى جدى الأستاذ الداستانى محمد بن على قال : حدثنا الحسن بن محمد الحاكم ، قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن الحسين الجرجانى أنه قال : سئل أبو يزيد البسطامى عن التوحيد فقال : هو اليقين .قيل : فما اليقين ؟ قال : معرفته أن حركات الخلق وسكونهم فِعْلُ الله عز وجل لا شريك له فى فعاله ، فإذا عرفت ربك واستقر فيك فقد وجدته ، ومعناه أنك ترى أن الله واحد لا شريك له فى فعاله وليس يفعل فعاله أحد .

وبه ، قال : قيل له قدس الله[1] روحه — : كيف ترى الخلق ؟ قال : به أراهم ، وقد أفادنى عنه سبحانى وتعالى .

وبه ، قال أبو يزيد : سِرْ فى ميدان التوحيد حتى تصل إلى دار التفريد ، وطِرْ فى دار التفريد حتى تلحق وادى الديمومية . فإن عشطت سقاك كأساً لا تظمأ من الذكر بعده أبداً .

وبه ، قال أبو يزيد : من عرف الله بُهِتَ ولم يتفرغ إلى الكلام[2] .

وبه ، سئل أبو يزيد عن درجة العارف ، قال : ليس هناك درجة ، بل أعلى فائدة العارف وجودُه .

وبه ، قال أبو يزيد : عرفتُ الله بالله ، وعرفتُ ما دون الله بنور الله[2] .

وبه ، قال أبو يزيد : علامة العارف أن يكون طعامه ما وجد ، وبيته حيثما أدرك ، وشغله بربه .

[وبه ، سئل أبو يزيد : ما علامة العارف ؟ قال : «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون »][3] .

وبه ، قال أبو يزيد : ثواب العارف من ربه هو[2] .

وبه ، قال أبو يزيد : إذا جاء حبُّ الله يغلب كل شىء ؛ لا حلاوة للدنيا ، ولا حلاوة للآخرة ، الحلاوة حلاوة الرحمٰن.

---

(١) ح : رضى الله عنه . (٢) هذه الفقرة ناقصة فى ح .

(٣) هذه الفقرة ناقصة فى س ، وموجودة فى ح ، ونرى حذفها لأنها لا تفيد معنى واضحاً .

وبه ، قال أبو يزيد : أدنى ما يجب على العارف أن يهبَ له ما قد مَلَكه .

وبه ، قال أبو يزيد : عجبتُ لمن عرف الله كيف يعبده[١] !

وبه ، قال أبو يزيد[٢] : قال الله تعالى : لا تفعل الأرباب بعبيدها ما أفعل : فَعالى لا توصف .

وبه : كان تكبيره رضى الله عنه إذا كبّر أن قال : غلَّقت الملوكُ أبوابها وبابُك مفتوح لمن دعاك يا الله ! وكان تسبيحه : سبحان من علا فتعالىٰ ! سبحان العَلِيّ الأعلى دون دنوّ الأدنى ! سبحان خالق النور ، شكراً لخالق النور ، سبحان خالق النور ، حُكماً لخالق النور ! سبحان خالق النور ، عدلاً لخالق النور ! سبحان خالق النور وبحمده ! سبحان خالق النور عز وجَلّ[٣] جلاله .

وبه ، قال أبو يزيد : علامة العارف خمسة أشياء : أوله يقيم على باب ربه لا يرجع عن باب بالبرّ ، ويقبل إليه لا يلتفت إلى شىء يحجبه عنه ، ويكون دورانه وسيرانه فى مَجَرّة أنس ربه وحول مناجاته . لا يرضى من نفسه أن يشتغل بشىء دون الله عز وجل ، ويكون فراره من الخلق إلى الخالق ، ومن جميع الأسباب إلى ولىّ الأسباب .

وبه ، قال أبو يزيد ، فى صنعة العارف وغيبوبة الخلق عنه وسَعة مقام العارف حيث لا أين : ولو أن ما خلق الله عز وجل من العرش إلى الثرى ، ومع ذلك كل أرض وسماء مع مائة ألف ألف آدم ، لكل آدم مائة ألف ألف ضعف مثل هذه الذرية ، لكل واحدٍ منهم مائه ألف ألف نسل مثل كل ما ذكرنا ، ثم عمر كل واحدٍ منهم مائة ألف ألف آلاف آلاف[٤] عالم بحساب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل اختفوا فى زاوية من زاوية من زوايا قلب العارف ، لم يُحسّ به ولا علم أنه فى كون الله موجود .

وبه قال أبو يزيد : العارف فوق ما يقول ، والعالم دون ما يقول ؛ والعارف ما فرح بشى قط ولا يخاف من شىء قط ؛ والعارف يلاحظ ربّه ، والعالم يلاحظ نفسه .

وبه ، قال أبو يزيد : العابد يعبده بالحال ، والعارف الواصل يعبده فى الحال .

---

(١) هذه الفقرة ناقصة فى ح .
(٢) قال أبو يزيد : ناقصة فى ح .
(٣) وجل : ناقصة فى ح .
(٤) نسل ... آلاف : ناقصة فى ح .

و به ، قال أبو يزيد : الزاهد همّه ما يأكله ، والعارف همّه ما يأمُلُه .

و به ، قال أبو يزيد : الزاهد يقول كيف أصنع ، والعارف يقول كيف يصنع[١] .

و به ، قال أبو يزيد : أمَل الزاهد فى الدنيا الكرامات ، وفى الآخرة المقامات ؛ وأمل العارف فى الدنيا بقاء الإيمان معه ، وفى الآخرة العفو — يعنى للخلق .

و به ، قال أبو يزيد[٢] : أنشد له نظما (شعر)

بُعدك مِنّى هو قُربكَ أخذتنى عنك بمعناك
لا تَفرُقُ الأوصاف ما بيننا إن قيل لى : يا ! كنتُ إياكَ

و به ، قال أبو يزيد لأبى موسى الدبيْلِى — وكان تلميذ عبدالرحيم ، أستاذ إبراهيم بن يحيى الشيرازى : ما أعلى شىء سمعته من صاحبك ؟ — يعنى عبد الرحيم — قال : سمعته < يقول > : لا تُبالى على سَبُعٍ تتكئ أم على وسادة . قال أبو يزيد : ما عمل صاحبكم شيئاً ولا نحن حتى يكون اتكاؤه على الحق أن لا يرى شيئاً دون الله . — معناه : إنما يكون قلبه مع الله عز وجل لا يرى سَبُعاً ولا يرى شيئاً دونه .

و به ، قال : أتى رجل أبا يزيد ودق عليه الباب — قال : من تطلب ؟ قال : أبا يزيد . قال : مُرَّ ، فليس فى البيت غير الله عز وجل .

و به ، قال أبو يزيد[٣] فى مناجاته : يا عزيزاً فى قلوب أوليائك ! الشكر منك والزيادة منك .

و به ، قال أبو يزيد : كنت ديدبان القلب أربعين سنة ، فعند ذلك أشرفت على نفسى أنه هو الرب ؛ والرب هو العبد .

و به ، عن أبى يزيد أنه قال : الصوفية أطفال فى حِجْر الحق .

و به ، عن أبى يزيد أنه قال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه فخلع عليهم من خِلَعه ، فاشتغلوا بالخِلَع عنه ؛ و إنى لا أريد من الله إلا الله .

وعنه أنه قال : ليذوق عبده الحلاوة ، فمن أجل فرحه [١٢٠] بها يمنعه عن حقائق القرب .

---

(١) هذه الفقرة ناقصة فى ح . (٢) كذا دون ذكر لما قال .
(٣) ح : قدس الله روحه .

وبه قال : الزاهد همّه أن لا يأكل ؛ وهم العارف ما يأكل .

وبه قال : مُنية الزاهد فى الدنيا الآيات ، وفى الآخرة الكرامات ؛ ومُنية العارف فى الدنيا بقاء الإيمان ، وفى الآخرة العفو عن الخلق .

وسمعت أبا الحسن على بن محمد الدينورى قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهانى ، قال : حدثنا عبد الواحد بن بكر قال : قال الحسن بن ابراهيم الدامغانى ، قال حدثنا موسى بن عيسى ، قال سمعت أبى يقول ، سمعت أبا يزيد : اللهم أنت[1] خلقت هذا الخلق بغير علمهم ، وقلدتهم أمانتهم من غير إرادتهم ، فإن لم تُعنهم فمن يعينهم[2] ؟!

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : سمعت الفضل بن جعفر يقول : سمعت محمد ابن منصور يقول : قال عبيد بن عبد القاهر : جلس قومٌ إلى أبى يزيد ، فأطرق مَلِيًّا ثم رفع رأسه إليهم فقال : منذ جِلْستِهم إلىّ هو ذا أجيل فكرى الثمس حبّة عَفِنَةً[3] أخرجها إليكم تطيقون حَمْلها فلم أجد .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال ، حدثنا عثمان بن محمد العثمانى قال ، حدثنا أبو الحسن الرازى قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت يحيى بن مُعاذ يقول : قال أبو يزيد : لم أزل أجول فى ميدان التوحيد حتى خرجت إلى دار التفريد ؛ ولم أزل أجول فى دار التفريد حتى خرجتُ إلى ميدان الديمومية ؛ فشربت بكأسه شربة لا أظمأ من ذكره بعدها أبداً . قال يوسف : وكنت سمعت هذا الكلام على غير[4] هذا اللفظ من ذى النون ، وفيه زيادة كان ذو النون لا يبديها إلا فى وقت نشاطه وغلبة حاله عليه ويقول بعده : لك الجلال والجمال ، ولك الكمال ؛ سبحانك ! سبحانك ! قدّستْك ألْسُنُ التماديح وأفواه التسابيح ؛ أنت أنت أزلى أزلى ، حُبّه لى أزلى .

سمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا أحمد بن أبى عمران قال ، حدثنا منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا عمران موسى بن عيسى بن عمى البسطامى ، قال : جاء رجل إلى أبى يزيد فقال : أوْصِنى ! فقال : انظر إلى السماء ! فنظر فقال له أبو يزيد : أتدرى

---

(١) ح : إنك . (٢) ح : تفهم ... يفهم .
(٣) إشارة إلى القصة الرمزية أو الكلمة الواردة فى الإنجيل : إن لم تمت الحبة ...
(٤) ح : غيره — وهو تحريف .

مَنْ خَلَقَ هذا ؟ قال : الله . قال أبو يزيد : إن من خلقها مُطَّلع عليك حيث كنت فاحذره .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان قال : حدثنا عبيد الله بن أحمد بن محمد بن خاهان قال : حدثنا عُمَىّ البسطامى عن أبى موسى قال ، قال أبو يزيد : ما دام العبد يظن أن فى الخلق من هو شرٌّ منه فهو متكبِّر .

وبه ، قال : وجّه إليه أحمد بن حرب حصيراً وكتب معه إليه : «صَلِّ عليه بالليل» ؛ فكتب أبو يزيد : إنى جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبع فجعلتها فى مخدة ووضعتها تحت خَدِّى .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : حدثنا محمد بن الحسين بن موسى بن عيسى[1] يقول . سمعت أبى يقول ، قال أبو يزيد : عملت فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشدّ على من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت . واختلاف العلماء رحمة إلا فى تجريد التوحيد .

وقال أبو يزيد : لا يعرف نفسه من صَحِبته شهوتُه .

وقال أبو يزيد : الجنة لا حظَّ لها عند المحبِّين ، و < إن > أهل المحبة لمحجوبون لمحبتهم . [٢٠ ب] وسمعت أبا الحسن[2] قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا محمد بن الحسين قال : سمعت أحمد بن على يقول : سمعت الحسن بن على يقول : قال أبو يزيد : المعرفة فى ذات الحق جهل ، والعلم فى حقيقة المعرفة جناية ، والإشارة من المشير شِرْكٌ فى الإشارة .

وقال : طوبى لمن كان همُّه همّاً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه ! فمن عرف الله فإنه يزهد فى كل شىء شغله عنه !

وقال : إن لله عباداً لو حجبوا عنه طَرْفة عين ثم أعطوا الجنان كلها ما كان لهم إليها حاجة . فكيف يركنون إلى الدنيا وزينتها !

وبه ، قال : عرفت الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله

وسئل : بماذا يُسْتَعان على العبادة ؟ فقال : بالله ، إن كنت تعرفه .

وقال : بك أدلُّ عليك ، وبك أصل إليك .

---

(١) بن عيسى : ناقصة فى ح . (٢) ح : أبى الحسن .

وقال : نسيان النفس ذكر بارى النفس[١] .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد ، قال : يحكى أن أم على من بنات الكبار حلت زوجها أحمد ، يعنى أحمد بن خضرويه البلخى المروزى من صداقها بعشرة آلاف دينار[٢] إلى أن يحملها إلى أبى يزيد البسطامى[٣] . فحملها إلى أبى يزيد فدخلت عليه وقعدت بين يديه مُسْفِرَةً عن وجهها فقال لها أحمد : رأيت منك عجباً ! أسفرتِ عن وجهك بين يدى أبى يزيد ! فقالت : لأنى لما نظرت إليه فقدت حظوظ نفسى ، وكلما نظرت إليك رجعت إلى حظوظ نفسى . فلما خرج ، قال لأبى يزيد : أوصنى ! قال : تَعَلَّمِ الفتوة من زوجتك .

وسمعت محمد بن أحمد بن عبد الله الحاكى يقول : بلغنا أن قوماً يستسقون بالبصرة ؛ فتقدم واحد من أثناء الناس وقال : إلٰهى ! بحق هذا الرأس وما فيها أن تسقينا ! فصار السماء كأفواه القِرَب . فانصرف الرجل إلى منزله فقال بعض من رأى ذلك منه : أقفو أثره فأعرف حي . فقفاه وحضر واستخبره فقال : قلت بحق هذا الرأس وما فيه قال : كنتَ لقيت به يعنى أبا زيد البسطامى ؟ فقال الرجل : أنا ببسطام فى جوابه . فقال له الرجل الداعى : أنت تتطلب منى الدعاء وأنت فى جواره ! أنت أوْلَى به منى .

وسمعت أبا الحسن بن محمد قال : سألت[٤] أبا نعيم الأصفهانى صاحب «حلية الأولياء»[٥] رحمه الله قال : حدثنا محمد[٦] بن أبى عمران قال : حدثنا منصور بن عبد الله قال : حدثنا عمران[٧] موسى بن عيسى يقول : سمعت أبى يقول : بينما أنا قائم[٨] خلف أبى يزيد يوماً إذ شهق شهقة ، فرأيت أن شهقته تخرق الحجب بينه و بين الله . فقلت : يا أبا يزيد ! رأيت عجباً . فقال : يامسكين ! وما ذلك العجب ؟ فقلت : رأيت شهقتك تخرق الحجب حتى

---

(١) ح : أبى الحسن .
(٢) بعشرة آلاف دينار : ناقصة فى ح .
(٣) ح : على أن يزور بها أبا يزيد البسطامى .
(٤) ح : وسمعت أبا الحسن الدينورى قال : سمعت أبا نعيم ...
(٥) ح : حلية الأولياء وطبقة الأصفياء .
(٦) ح : أحمد .
(٧) ح : سمعت أبا عمران .
(٨) س : بينا كنت أنا قائم .

وصلت إلى الله . فقال : يا مسكين ! إن الشهقة الجيدة هي التي إذا بدت لم يكن لها حجاب تخرقه (١) .

وسأله رجل فقال : يا أبا يزيد ! العارف يحجبه شيء عن ربه ؟ فقال : يا مسكين ! من كان هو حجابه ، أي شيء يحجبه !

وسمعت أبا الحسن قال : أخبرنا أحمد قال : أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال : وجدت بخط أبي ، سمعت أبا عثمان سعيد بن اسماعيل يقول : قال أبو يزيد : من سمع الكلام فيتكلم مع الناس رزقه الله بما (٢) يناجي ربه .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا محمد بن الحسين : سمعت أبا نصر ابن الهروي يقول (٣) : سمعت أبا يزيد يقول : رب أفهمني [١٢١] عنك فإني لا أفهم عنك إلا بك .

قال : وسئل أبو يزيد : بم (٤) نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالَهُمْ ، والوقوف مع مالَهُ .

وقال : اطّلَع الله على قلوب أوليائه : فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : أخبرنا محمد بن الحسن قال : سمعت منصوراً يقول : سمعت يعقوب بن اسحق يقول : سمعت ابراهيم الهروي يقول (٥) : سمعت أبا يزيد البسطامي وسئل : ما علامة العارف ؟ — قال أن لا يفتر من ذكره ، ولا يملّ من حقه ، ولا يستأنس بغيره .

وسمعته (٦) يقول : حدثنا أحمد ، يقول : سمعت الفضل بن جعفر يقول : سمعت محمد ابن منصور يقول (٧) ، سمعت عبيد بن عبدالقاهر يقول : قال أبو يزيد : ثواب العارف من ربه وكمال العارف احتراقه فيه له .

---

(١) س : تحرقه . (٢) ح : فيها .

(٣) يقول سمعت يعقوب ... يقول : ناقصة في ح .

(٤) س : بما . (٥) سمعت يعقوب ... ناقصة في ح .

(٦) ح : وسمعت .

(٧) سمعت الفضل ... يقول : ناقصة في س .

وقال : إن الصادق من الزاهدين إذا رأيته هِبْتَه ، و إذا فارقته هان عليك أمره . والعارف إذا رأيته هِبْتَه[١] و إذا فارقته هبته .

قال · وسمعت أبا يزيد يقول : لأن يقال لى لِمَ لَمْ تفعل أحبُّ إلى من أن يقال لى : لم فعلتَ .

وقال : الذى يمشى على الماء ليس بعجيب : لله خلق كثير يمشون على الماء ، ليس لهم عند الله قيمة .

وقال : الجوع سحابٌ ؛ فإذا جاع العبد مَطرَ القلبُ الحكمةَ .

وسئل عن قوله تعالى : « إنا لله » — قال : إقراراً لله بالملك — « و إنا إليه راجعون » — إقراراً على النفس بما[٢] لك .

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد ، قال : سمعت محمد بن الحسين بن موسى يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبى[٣] يقول : سمعت على البسطامى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : من نظر[٤] إلى شاهدى بعين الاضطرار ، و إلى أوقاتى بعين الاعتزار ، و إلى أحوالى بعين الاستدراج ، و إلى كلامى بعين الافتراء ، و إلى عبارتى بعين الاجتراء ، و إلى نفسى بعين الإزراء — فقد أخطأ النظر فىّ .

وسمعت أبا الحسن قال : أخبرنا أحمد قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت أبا يعقوب النهرجورى يقول : سمعت على بن عبيد المرزانى يقول[٥] : كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد : « سكرتُ من كثرة ما شربت من كأس محبته » . فكتب أبو يزيد جواباً له : « سكرتَ وما شربتَ من الدور ؛ وغيرك قد شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ولسانه خارج ويقول : هل مِنْ مزيد ! »

وسمعت أبا الحسن قال : حدثنا أحمد قال : سمعت أبا اسحٰق ابراهيم بن أحمد بن محمد الحلوانى بطرثيب يقول : سمعت يعقوب بن اسحٰق الهروى يقول : ابراهيم الهروى ذكر

---

(١) وإذا فارقته ... رأيته هبته : ناقصة فى ح .
(٢) ح : بالملك .
(٣) ح : سمعت أبا عمران .
(٤) ح : من لم ينظر .
(٥) سمعت أبا يعقوب ... يقول : ناقصة فى س .

عن أبي يزيد أنه[1] قال : أولياء الله مخدرون[2] معه في حجاب الأنس به لا يرام أحد في الدنيا والآخرة إلا من كان مُحْرِماً لهم . وأما غيرهم فلا ، إلا متنقبين من وراء حجابهم وإنما يرى حجابهم .

قال : وقرئ عنده يوماً : « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً[3] » — قال : فهاج ثم قال : من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر ، لأنه جليسه أبداً .

وقيل لأبي يزيد : أيصل العبد إليه في ساعة واحدة ؟ قال : نعم ! ولكن يرد بالفائدة ، والربح على قدر السفر .

وسمعت أبا الحسن يقول : أخبرنا أحمد يقول : عمر بن أحمد قال : أخبرنا عبيد الله ابن أحمد قال : حدثنا أحمد بن محمد قال : حدثنا عمى عن أبي موسى قال : سمعت أبا يزيد يقول : ما ذكروه إلا بالغفلة ، ولا خدموه[4] إلا بالفترة .

قال : وسمعته يوماً وهو يقول : لا يقطعني بك عنك[5] . قال : وسمعته يوماً وهو يقول : أكثر الناس إشارة أبعدهم منه .

[٢١ ب] وسأله رجل : مَنْ أعجبُ ؟ فقال : من لا يحتاج أن تكتمه شيئاً مما يعلمه الله منك .

وسمعوه يوماً يقول : أقربهم من الله أوسعهم على خلقه .

وسمعوه يوماً وهو يقول : لا يحمل عطاياه إلا مطاياه المذَلّلة المُرَوَّضة .

وسمعت أبا الحسن قال : أخبرنا أحمد قال : حدثنا منصور بن عبد الله قال : سمعت أبا عمران موسى بن عيسى يقول : سمعت أبي يقول : قال أبو يزيد : ليت الخلق عرفوني وكفاهم[5] من ذلك معرفتهم بأنفسهم[6] .

وسمعت أبا الحسن يقول : أخبرنا أحمد قال : أخبرنا أحمد بن أبي عمران قال : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا عمران موسى يقول : سمعت عمِّىَ البسطامى يقول :

---

(١) أنه : ناقصة في ح .
(٢) س ، ح : مخدرين .
(٣) سورة مريم : ٨٨ .
(٤) س : وما .
(٥) هذه الفقرة ناقصة في ح .
(٦) بياض مكان الكلمة في س .

سمعت أبى يقول : قال أبو يزيد : انظر أن تأتى عليك ساعة لا ترى فى السماء غيره ولا فى الأرض غيرك .

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى الصوفى فى شعبان سنة تسع[١] عشرة وأربعمائة قال : سمعت مظفر بن عيسى المراغى قال : سمعت شنبذين يقول : سمعت أبا موسى الديبُلِى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : نظرت إلى ربى بعين اليقين بعد ما صرفنى عن غيره وأضاءنى بنوره ، فأرانى عجائب من سِرّه ، وأرانى هويته فنظرت بهويته إلى أنانيتى فزالت : نورى بنوره ، وعزنى بعزته ، وقدرتى[٢] بقدرته ، ورأيت أنانيتى بهويته وأعظامى بعظمته ورفعتى برفعته . فنظرتُ إليه بعين الحق فقلت له : من هـذا ؟ فقال : هذا لا أنا ولا غيرى ! لا إله إلا أنا . فغيرنى عن أنانيتى إلى هويته ، وأزالنى عن هويتى بهويته وأرانى هويته فرداً فنظرتُ إليه بهويته . فلما نظرتُ إلى الحق بالحق رأيت الحق بالحق ، فبقيتُ فى الحق بالحق زماناً لا نَفَس لى ولا لسان ولا إذن لى ، ولا علم حتى إن الله أنشأ لى علماً من علمه ولساناً من لطفه وعيناً من نوره ، فنظرت إليه بنوره وعلمتُ من علمه وناجيته بلسان لطفه فقلتُ : ما بالى بك ؟ فقال : أنا لك بك ، لا إله غيرك . قلت : لا تَغُرَّنى بى[٣] ! أنا لا أرضى بى عنك دونك ، فأرضى بك عنك دونى . فَمَنّ علىّ به دونى . فناجيته به دونى . فقلتُ : مالى من بدك عنك يا مناى . فقال : لى عليك بأمرى ونهيى . فقلتُ : ومالى من أمرك ونهيك ؟ قال : ثنائى عليك فى أمرى ونهيى[٤] . أشكرك على ما أتيتك[٥] ! من أمرى وأحبك على ما انتهيت من نهيى . فقلت : إن شكرت فمنّ نفسك بشكره ، وإن ذممت فلست أنت موضع المذمة يا مناى ويارجائى من بلائى ، ويا شفاى من شقائى . أنت الآمر ، وأنت المأمور ؛ ولا إله غيرك . فسكت عنّى . فعلمت أن سكوته رضاه . ثم قال[٦] : مَنْ عَلَّمَكَ ؟ قلت : السائل أعلم من المسئول . أنت المجيب وأنت المجاب . أنت السائل وأنت المسئول ؛ لا إله غيرك . انقطع حجة الله علىّ به فرضيت عنه

---

(١) س : ستعشر .

(٢) بياض فى س مكان : وقدرتى بقدرته .

(٣) بياض فى س مكان : تغرنى بى .

(٤) س : نهى .

(٥) ح : أتيت .

(٦) قال : ناقصة فى ح .

به ، ورضي به علىّ به : إذ أنا به ، وهو هو ، لا إله إلا هو . ثم أنارني بنور الذات ، ونظرت إليه بعين الفضل فقال : سَلْ ما شئت من فضلى أعطيه . قلتُ : أنت أفضل من فضلك ، وأنت أكرم من كرمك ؛ رضيت منك بك[١] ؛ وانتهيت إليك ؛ لا تعرض[٢] علىّ غيرك ؛ ولا تردنى عنك بشيء دونك ؛ لا تغرنى بلطفك ولا بكرمك ولا بفضلك . فالفضل منك أبداً ؛ وإليك يعود . أنت المعيد وأنت المُعاد ، وأنت المريد وأنت المراد . انقطع المراد عنك ، [١٢٢ ا] وانقطع السؤال بك عنك . فلم يُجِبْنى زماناً . ثم أجابنى وقال : حقٌ ما قلت ؛ وحق ما سمعت ، وحق ما رأيت ، وحق ما حققت . قلت : بلى ! أنت الحق وبالحق يرى الحق ؛ أنت الحق وبالحق يتحقق الحق[٣] ؛ وإلى الحق وبالحق يسمع الحق ؛ أنت السامع وأنت المسمع وأنت الحق وأنت المُحِقّ ؛ لا إله غيرك . فقال : ما أنت إلا الحق ؛ بالحق نطقت — فقلتُ : بل أنت الحق ، وكلامك حق ، والحق بك حق . أنت لا إله غيرك . فقال لى : ما أنت ؟ قلت له : ما أنت ؟ قال : أنا الحق . فقلت : أنا بك . قال : إذا كنتَ أنت بى فأنا أنت وأنت أنا . فقلت : لا تغرنى بك عنك . بلى ! أنت أنت ، لا إله غيرك . — فلما أن صِرْتُ إلى الحق وأقمت مع الحق بالحق أنشأ لى جناح العز والكبرياء ، فطِرْتُ بجناحى فلم أبلغ منتهى عزه وكبريائه . فدعوته بالاستغاثة به عنه فيما لا طاقة لى به إلا به . فنظر إلىّ بعين الجود فقوّانى بقوّته وزينى وتوّجنى بتاج كرامته على رأسى ، وأفردنى بفردانيته ووحدنى بوحدانيته ، ووصفنى[٤] بصفاته التى لا يشاركه فيها أحد . ثم قال لى : توحد بوحدانيتى ، وتفردّ بفردانيتى ، وارفع رأسك بتاج كرامتى ، وتعزز بعزتى ، وتجبّر بجبروتى ، واخرج بصفاتى إلى خلقى أرَ[٥] هويتى فى هويتك . من رآك رآنى ؛ ومن قصدك قصدنى — يا نورى فى أرضى وزينتى فى سمائى . فقلتُ : أنت[٦] عيانى فى عينى ، وعلمى فى جهلى كن أنت نورك تُرَى[٧] بك ؛ لا إله إلا أنت .

---

(١) قلت : أنت أفضل ... بك : ناقصة فى .

(٢) ح : ولا .

(٣) ح : أنت الحق وإلى الحق يعود الحق ، والحق يسمع الحق ، أنت السامع ...

(٤) ح : ووصف لى.

(٥) ح ، س : أري .

(٦) أنت : ناقصة فى ح .

(٧) س ، ح : ترى .

فأجابني بلسان الرضا وقال : ما أعلمك عبدي ! قلتُ : أنت العالم وأنت المعلوم ؛ وأنت المفرد وأنت الفرد[١] ؛ تفرد بفردانيتك ، وتوحّد بوحدانيتك ؛ لاتشغلني بك عنك . — انقطع حجة الله عليّ في فردانيته ، وبوحدانيته في وحدانيته . فأقمت معه دون تفردي بفردانيته . فأقمت معه به . ففني صفاتي بصفاته ، وسقط اسمي باسمه ، وسقط عني أوليته بأوليتي ، وآخريّتي بآخريته . فنظرتُ إليه بذاته التي لايراها[٣] الواصفون ولايبلغها العالمون ولايفهمها العاملون. فنظر إليّ بعين الذات بعد ماسقط اسمي وصفاتي وأوّلي وآخري ونعتي . فدعاني باسمه ، وكنّاني بهويته ، وناجاني بأحديته . قال : يا أنا . فقلت : يا أنت . فقال لي : يا أنت . فانقطع حجة الله عليّ به ماسمّاني باسم من أسمائه إلا سميته به ، وما وصفني بصفة من صفاته إلا وصفته به . فانقطع كل شيء مني به . فبقيتُ دهراً بلا روح ولا جسم كالميت . ثم إنه أحياني بحياتي بعد ما أماتني . فقال : لمن المُلْكُ اليوم ؟ فلما أن أحياني قلت : لله الواحد القهّار . فقال : لمن الاسم ؟ قلت : لله الواحد القهّار . فقال : لمن الحكم اليوم ؟ فقلت : لله الواحد القهّار . فقال : لمن الاختيار ؟ قلتُ : للربّ[٤] الجبار . فقال : أحييتك بحياتي ، وملكتك ملكي ، وسميتك باسمي ، وحكمتك بحكمي ، وأفهمتك اختياري ، ووافقتك بأسماء الربوبية والصفات الأزلية . قلتُ : لا أدري ما تريد . كنت لنفسي فلا ترضى ، وكنت لك بك فلاترضى . فقال : لا تكن لنفسك ولا لنفسي إني كنت لك حيث لم تكن ، فكن لي حيث لم تكن[٥] ، وكن لك حيث كنت ، فكن لي حيث كنت . فقلت : وأنّى لي بذلك إلا بك ! — فنظر إليّ نظرة بعين القدرة . فأعدمني بكونه ، وظهر فيّ بذاته . فكنتُ به . فانقطع المناجاة . فصار الكلمة واحدة ، وصار الكل بالكل واحداً ؛ فقال لي : يا أنت ! فقلت به : يا أنا[٦] . فقال لي : أنت الفرد . قلت : أنا الفرد . قال لي : أنت أنت ، قلت : أنا أنا . ولو كنت أنا من حيث أنا لما قلت أنا . فلما أن لم أكن أنا ، فكن أنت وأنت . قال : أنا أنا قولي بأنانيته كقولي بهويته [٢٣ ب] توحيداً ؛ فصار صفاتي

---

(١) ح : أنت المفرد والفرد .
(٢) وتوحد ... فردانيته : ناقصة في ح .
(٣) س ، ح : يراه ، يبلغه الخ .
(٤) س ، ح : لرب .
(٥) مكررة في س .
(٦) فقال لي : يا أنت ... أنا : ناقصة في ح .

صفات الربوبية ، ولسانى لسان التوحيد ، وصفاتى هو أن هو هو لا إله إلا هو . فكان ما كان بكونه مما قد كان ، وما يكون بكونه يكون ما يكون . صفاتى صفات الربوبية ، وإشاراتى إشارات الأزلية ، ولسانى لسان التوحيد .

وحكى فقيهنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الزرجاهى البسطامى رحمه الله قال : سمعت أبا عبد الله الزرجاهى قال : سمعت محمد بن يوسف يقول وهو تلميذ أبى على الحسين بن عيسى البسطامى : صحبت أبا يزيد ثلاث[1] عشرة سنة فما سمعته تكلم بكلمة . وكان من عادته أن يضع رأسه على ركبته ثم يرفعه ويقول : آه ! ثم يضعه عليها — قلت أنا : كأنه شهده فى أيام القبض ؛ ولو شاهده فى زمان البسط سمع ما سمع غيره . وللرجال أحوال لا يقف عليها إلا البُزّل منهم ومن داوم فى صحبتهم وصبر معهم فى محبتهم .

وسمعت محمد بن إبراهيم الواعظ يقول : سمعت محمد بن محمد بن على الفقيه يقول : قرأتُ على عبد الله بن يوسف قال : سمعت على بن الحسن بن على الدامغانى يقول : سمعت أبا الحسن بن على بن حنويه[2] يقول : سمعت عمى أبا عمران موسى بن عيسى بن أخى أبى يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان قال : سمعت أبى يقول : إن ماحل[3] العبد بتعظيم أمر الله وتعظيم نهى الله وتعظيم أولياء الله .

وبهذا الإسناد قال أبو يزيد : وسئل عن علامة من يحب الله جَلّت عظمته : فهو مشغول بعبادته ساجداً وراكعاً . فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر اللسان والثناء . فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر القلب . فأما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاوة كسخاوة البحر ، وشفقة كشفقة الشمس ، وتواضعاً كتواضع الأرض .

وسمعت محمداً[4] يقول : سمعت محمداً[4] يقول : سمعت أحمد بن محمد الصوفى يقول : سمعت أبا موسى عيسى بن محمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن آدم البسطامى يقول ، قال

---

(١) س ، ح : ثلاثة عشر .
(٢) سمعت أبا الحسن بن على حنويه : ناقصة فى ح .
(٣) ح : ماجل — ولم نهتد لكلا الوجهين ؛ وهذه الأخيرة معناها أصل الماء فى الجبل أو الوادى .
(٤) ح ، س : محمد .

أبوموسى الديْبُلي : قلت لأبي يزيد البسطامي : فائدةً أخرج بها من عندك ؟ فقال : يا أباموسى ! اعلم أن فائدة المخلوقين ليست بفائدة .

حدثتني (*) أمي أنها كانت حاملة أبي ؛ فكان إذا (**) قدم إليها القصعة من حلال امتدت يدها فأطالت ؛ وإذا قدم إليها القصعة من حرام فلم تمتد . اجعلها فائدة ، وانصرفْ . قال : فجعلتها فائدة وانصرفتُ .

سمعت مشايخنا يقولون : دفع أبو يزيد فروةً إلى خياطٍ ليصلحها ، فخاطها وحملها إليه . فلما مات رؤى في المنام وسئل : كيف كان حاله عند السؤال ؟ فقال : جاء الرجل فقالوا : من ربك ؟ فقلت : أمثلي يسأل [ح : ١٤٢] عن هذا وأنا قد حملت فرو أبي يزيد على عاتقي ؟! فقال بعضهم لبعض : تعالوا نذهب ! فلا يجئ من هذا شئ .

وسمعت محمد بن أحمد الواعظ قال : سمعت أبا الفضل الزاهد قال : وبلغنا أن أبا يزيد رحمه الله قال : خرجت إلى الصحراء فرأيت وقد مطر العشب (1) فغاصت رجلي فيه كما يغوص الثلج .

وبه ، قال : قال أبو يزيد : إن أهل الحج يطوفون حول البيت ، فيطلبون البقاء ؛ وأهل المحبة يطوفون حول العرش يطلبون اللقاء .

وبه ، قال أبو يزيد : اللهم مَن فعل بي سوءاً فعلاً وقولاً فاجمع عليه من نِعَمك كما تهب الريح فيجتمع الثلج في الوادي .

وبه ، قال أبو يزيد : من يهتد إلى بيت نفسه فلا يسعه أن يذكر حرشة .

قال : وسمعت محمد المقرى الدامغاني المعروف بيشمنوان رحمه الله قال : سمعت على ابن محمد الدهقان — وهو عالم زاهد صوفي ، — رحمة الله عليه — يقول : رأى أبو يزيد — قدس الله روحه — تفاحاً أحمر ملحاً . فقال : تفاح لطيف . قال ، فقيل له : يا أبا يزيد !

(*) حدثتني ... فكان : إلى هنا ما ورد متقدماً في مخطوط بغداد في غير موضعه ورقة ٢٢ ب من تلك المخطوطة .

(**) من هنا إلى قوله : أن يتكىء إلى ذلك (ص ١٤٣ س ١٤ بَعْدُ) ناقص في مخطوطة بغداد.

(1) ح : العشق .

أما استحييت أن تضع اسمى على تمرة . قال : فنسى اسم الأكبر أربعين يوماً . قال : الهى ! نذرت أن لا آكل من بسطام ما عشتُ .

وبه ، قال أبو يزيد : من يهتد إلى بيت نفسه فلا يسعه أن يذكر حديثه (١) .

وبه ، قال : يحكى أن أبا يزيد قال لأصحابه ذات يوم : قمت (٢) البارحة وأنا أريد أن أذكر الله تعالى فلم يمكنى ذلك . وذلك أنه جاءتنى وَحْشة كلمة قلتها فى [ح : ١٤٣] صباى . فقلت : كيف أذكر بلسان جرى عليه ما جرى ، ونطق هو بما نطق ؟ !

وسمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله الداستانى — رحمة الله عليه — قال : سمعنا المتقدمين يقولون : إن أبا يزيد — رحمة الله عليه — قال . هذا الحديث — يعنى : حديث الله كاتيان الثلج فى الصيف — وجوده غريب وبقاؤه أغرب .

وسمعت شيخ المشايخ يقول : سمعنا المتقدمين يحكون عن أبى يزيد رضى الله عنه أنه قال : لا أحد يدخل فيحسن أن يقول من هذا الباب ؛ ولا أحد يدخل فيحسن أن يسمع من هذا الباب ؛ فيشق على المريض أن يحتاج أن يفعل بنفسه ويأكل بنفسه .

وسمعته أيضاً يقول : سمعنا المتقدمين قالوا : قال أبو يزيد : ما تقول فيمن أعطى أمنين : إن شاء أن يتكىء إلى هذا ، وإن شاء أن يتكىء إلى ذلك (٣) .

وقال شيخ المشايخ فى عقب هذا الكلام : ما تقول فيمن أعطى محرابين : إن شاء قام فى هـذا ، وإن شاء قام فى ذلك ! ثم قال شيخ المشايخ : ذاك مقامان (٤) : أحدهما مقام المرادية ، والثانى مقام الفتوة . وقال (٥) شيخ المشايخ : وأول من نالها وبلغها من جملة أولياء الله تعالى كان أبا يزيد (٦) ثم أبا العباس القصاب . وقد كان هو ثالثهما قدس الله أرواحهم .

وسمعت شيخ المشايخ يقول : كان أبو يزيد يتكلم من مقاماته العاليـة ودرجاته الرفيعة

---

(١) كذا وردت هذه الرواية الثانية . (٢) ح : فقمت .

(٣) آخر النقص فى مخطوط بغداد .

(٤) س ، ح : مقامين .

(٥) ح : مقام الفتوة . لا مقام عند شيخ المشايخ رحمه الله أعلى من درجة الفتوة ، وأول من نالها ...

(٦) س ، ح : أبو يزيد .

(*) يسبق هذا سطر زائد لا موضع له فى مخطوط بغداد ؛ وما قبله فى مخطوط بغـداد هو الذى أوردناه من قبل حتى قوله : « ولست لفرض ما حييت بتارك » ص ١١٥ .

فبلغ ذلك بعضَ الناس فقال : غير جدير أن يكون . فأخبر أبو يزيد بذلك فأجاب : قل له أكنت أنت جديراً بالكون ؟ !

وسمعت أبا إسحٰق يعقوب على الصوفى السرخسى قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن على ابن الفرج الحلبى قال : سمعت أبا بكر بن إدريس يقول : سمعت عَمُّويه يقول : سمعت أبا يزيد يقول : فى الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون أن تطلبوا[1] المعاصى .

قال : وسمعت أبا يزيد يقول : ذكر الله باللسان غفلة .

وسمعت شيخ المشايخ أبا عبد الله محمد بن على البسطامى يقول : سمعنا المتقدمين يقولون إن أبا يزيد قال : إذا أمر الأستاذ التلميذ أمراً من أمور الدنيا وبعثه فى إصلاحه ، فيقيم مؤذن فى بعض طرقاته على مسجد من المساجد ، فيقول : أدخل أولاً المسجدَ وأصلِّى ثم أكون وراء ما بعثنى إليه — فقد وقع فى بئر لا يتبين أسفلها — يعنى ليس لها مقر .

وسمعت أبا القاسم الحسين بن محمد بن شبيب قال : حدثنا إسحٰق بن إبراهيم بن محمد السرخسى قال : سمعت محمد بن الفضل الوراق قال : سمعت شيخاً بخارياً بمرو الروذ قال : سئل أبو يزيد البسطامى فقيل له : إن الناس يقولون إن شهادة « أن لا إله إلا الله » مفتاح الجنة . فقال : صدقوا . ولكن لا يفتح المفتاح بغير مغلاق ؛ ومغلاق لا إله إلا الله أربعة أشياء : لسان بغير كذب ولا غيبة ، وقلب بغير مكر ولا خيانة ، وبطن بغير حرام ولا شبهة ، وعمل بغير هوى ولا بدعة .

وسمعت أبا القاسم المظفر بن محمد البستى قال : سمعت محمد بن الحسين السلمى ، قال : سمعت منصور بن عبد الله قال : سمعت عمى البسطامى يقول : سمعت أبى يقول : سمعت أبا يزيد قدس الله روحه يقول : حسبُك من التوكل أن لا ترى لنفسك [٣٤ ب] ناصراً غيره ، ولا لرزقك خازناً غيره ، ولا لعملك شاهداً غيره .

وسمعت أبا القاسم قال : سمعت محمد بن الحسين قال : قال[2] أبو يزيد : الخلق يظنون[3] أن الطريق إلى الله تعالى أشهر من الشمس وأبين منها . وإنما سؤالى[4] منه أن يفتح علىَّ من الطريق إليه ولو مقدار رأس إبرة .

---

(١) س ، ج : تطلبون . (٢) س : أبا يزيد .
(٣) س : يضنون . (٤) ح : يوالى .

وبه قال : قيل لأبى يزيد : ما أعظم آيات العارف ؟ فقال : أن تراه يؤاكلك ويشاربك(١) ويمازحك ويبايعك(٢) وقلبه فى ملكوت القدس . هذا أعظم الآيات .

وبه قال : قال أبو يزيد : مَن صدق فى عين الجمع بالحرية كان لازماً بجوارحه على آداب العبودية وسرُّه فى مشاهدة الحق . فإن كان فى عين الافتراق ، فإنه يجمع جهد المجتهدين فى عبوديته ويكون ذلك كالهباء .

وبه قال : قيل لأبى يزيد : متى يبلغ الرجلُ مقام الرجال فى هذا الأمر ؟ قال : إذا عرف عيوب نفسه ، وقويت هِمَّته عليها .

وسمعت شيخ المشايخ أباعبد الله الداستانى رحمه الله(٣) روى عن مشايخه عن أبى يزيد — قدس اللهُ سِرَّه(٤) — أنه قال : نِعْمَ ما تعلم أنك الرجل السوء ؛ ولكن إذا صوفحت وسئلت ، فتقع فى التُّهَمَة .

وسمعت أبا على الحسن بن أحمد المعبر يقول : سمعت أبا القاسم الحسن بن محمد بن حبيب قال : حدثنا أبو الحسن عبد الله بن موسى السَّلامى بهراة(٥) قال : حدثنا أحمد بن يعقوب البسطامى قال : حدثنا خلف بن عمر ، قال : سمعت أبا يزيد يقول : جَنَّنِى بى فَمِتُّ ؛ ثم جَنَّنِى به فعِشْتُ ، ثم جَنَّنِى عنِّى وعنه ففنيتُ ؛ ثم أوقعنى فى درجة الصحو وسألنى أحوالى ، فقلت : الجنون بى فناء ، والجنون بك بقاء ، والجنون عنى وعنك ضياء ، وأنت فى كل الأحوال أولىٰ بناء .

سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى الصوفى(٦) : سمعت أبا النجم البردعى بشهكور قال : سمعت القنَّاد يقول : سمعت الجنيد بن محمد يقول : الناس يرتاضون فى ميادينهم ، فإذا بلغوا ميدان أبى يزيد هملجوا(٧) .

وسمعت أبا عبد الله قال : حدثنى عيسى بن نزول القزوينى قال : أخبرنا أبو بكر

---

(٤) ح : يشارلا — وهو تحريف ظاهر ، أو هو يشاركك .
(٥) ح : ويبايعك ويشاريك .
(١) الداستانى رحمه الله : ناقصة فى س . (٢) ح : روحه .
(٣) بهراة : ناقصة فى س . (٤) ح : الصوفى ، رحمة الله عليه .
(٥) ح : مهلجوا . وهملج : حَسُن سيره ؛ مشى مشية سهلة فى سرعة .

الصبّاح يقول : حدثنى أبو جعفر الفرغانى قال : سمعت أبا موسى الدبيلى يقول : سألتُ أبا يزيد البسطامى عن حقيقة التصوف فقال : التصوف نور شعشعانى رمقته الأبصار فلاحظها .

وسمعت محمد بن ابراهيم الواعظ يقول : سمعت محمد بن محمد الفقيه بن سليمان يقول : سمعت أبا القاسم ابراهيم بن محمد قال ، قال أبو يزيد البسطامى [١] : النفس تنظر إلى الدنيا والروح تنظر إلى العقبى ، والمعرفة [٢] تنظر إلى المولى . فمنْ غلبت نفسُه عليه فهو من الهالكين ، ومن غلبت روحُه عليه فهو من المجتهدين ؛ ومن غلبت معرفتُه عليه فهو من المتّقين .

وسمعت أحمد بن محمد يقول : سمعت أبا موسى عيسى بن محمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن آدم البسطامى قال : حكى عن [٣] أبى يزيد أنه قال : أراد موسى عليه السلام أن يرى الله تعالى وأنا ما أردت أن أرى الله : هو أراد أن يرانى .

قال : وقال الحسن بن علوية : ذهب أبو يزيد إلى مكة مع واحدٍ من تلامذته [٤] . فلما دخل المدينة جاءت [٥] مكة إلى المدينة فطافت حوالى أبى يزيد ، فغشى على تلميذه ووقع على الأرض . فلما أفاق مسح رأسه وقال : تعجبت ! فقال : نعم ! قال : والله إن جاءت [٥] إلىَّ [٦] بسطام لكانت مقصرة فى حق .

قال : وسمعت خالى رحمه الله يقول : قال [٧] الحسن بن علوية : خرج أبو يزيد لزيارة أخٍ له ببلخ . فلما وصل إلى نهر جيحون — يعنى بعد قصده الرجلَ الذى سكن بلخ — وراء بلخ التقى به حافتا النهر ، فقال : سيدى ! إيش هذا المكر الخفىّ ؟ وعزتك يا عزيزى ما عبدتك لهذا ! [١٣٥ ا] وعزّتك ما أردتُ هذا . ثم رجع ولم يعبر .

وسمعت بعض إخواننا من الصالحين رحمه الله قال : سمعت بعضَ الشيوخ يحكى أن أبا يزيد البسطامى قصد فى بدء أمره زيارة رجل من القوم ، ومشى إليه مسيرة سبعمائة فرسخ

---

(١) البسطامى : ناقصة فى ح .
(٢) إلى الدنيا ... والمعرفة : ناقصة فى ح .
(٣) س ، ح : من .
(٤) ح : تلامذة .
(٥) س ، ح : جاء .
(٦) س : بسطامى .
(٧) قال : ناقصة فى ح .

فلما رآه وجده سمينا . فندم على القدوم عليه . فتوسم الرجل منه ذلك ؛ فقال له . يا أبا يزيد ! لا تُفسِد[1] مسيرك إليّ سبعمائة فرسخ ، فإن سِمَنى من فَرَحى به .

قلتُ أنا : سألنى بعضُ المنكرين كيفية قول الشيخ السيد[2] أبى يزيد قدس الله روحه : سبحانى ! سبحانى ! ما أعظم شانى ! فأجبته على حسب عقلى : قوله « سبحانى » كقوله : خالقى ورازقى ؛ وألقى إضافة إلى نفسه « وما أعظم شانى[3] » ! إذ أنت سبحانى — يعنى : أنت لى .

وحقيقة[4] قوله [و] : « سبحانى ! » أعظم من أن يُفهِّمه مُفهِّم أو يعلمه عالم إلا بعد فنائه[5] عن نفسه بكليته حتى يبقى الحق[6] بالحق مع الحق . فهى إشارة منه به إليه . وتلك إشارة إلى تنزيه الرجال بعد إدراك الكمال ونهاية الجمال وغاية الجلال والقرار على حال ليس وراءها حال .

وحكى بعض أصدقائنا يقال له أبو العلاء ابن أبى الفضل الشاور أبادى رحمه الله ، قال : حضرت يوماً من الأيام مشهد الشيخ سلطان العارفين أبى يزيد قدس الله روحه العزيز . فإذا بعصفور يريد أن يصطاد نملة ، وكان يسير مسرعا ليدركها حتى قرب من القبر ؛ فلما بلغ قريباً من القبر انصرف عنها وتركها — علمتُ أنه تركها حرمة وحشمة لذلك الشيخ . فتعجبت منه . والله أعلم بالصواب .

تم الكتاب بعون الله تعالى الملك الغفور — المسمّى بكتاب
النور من كلمات[7] أبى طيفور . رحم الله جميع
الأولياء . إلى أرواحهم الفاتحة .

وهنا يرد فى نسخة حلب ما يلى : ويجوز أن يكون إضافة جديدة للكتاب الأصلى بدليل إشارته إلى كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم وأنه أخذها عنه : —
وسمعت أبا الحسن على بن نصر البان الدينورى العدل الثقة رحمه الله قال : حدثنا الشيخ أبو نعيم أحمد

---

(١) س : لا تفسد .
(٢) السيد : ناقصة فى س .
(٣) فأجبته ... شانى : ناقصة فى س .
(٤) س : وحقيقته .
(٥) ح : من .
(٦) ح : س : بقى ؛ بقى الحق .
(٧) س : أبو .

ابن عبد الله بن أحمد الأصفهانى يقول : سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول : سمعت أبا الحسن المروزى(١) يقول : سمعت امرأة أبي يزيد البسطامي قالت : سمعت أبا يزيد يقول : عالجت كل شىء فما عالجت أصعب من معالجة نفسى ، وما شىء أهون علىّ منها .

وسمعت أبا الحسن المروزى(١) يقول : سمعت امرأة أبي يزيد قالت : سمعت أبا يزيد رحمه الله يقول : دعوت نفسى فأبتْ علىّ واستعصت ، فتركتها ومضيت إلى الله تعالى .

هاتان الحكايتان(٢) المرويتان عن امرأة أبا يزيد < مما > أدرك الشيخ أبو نعيم أحمد (ح : ١٥٠) بن عبد الله بن أحمد الأصفهانى رحمة الله عليه فى كتابه المسمى « بحلية الأولياء وطبقة الأصفياء » < فيها > إثبات الزوجة لأبى يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامى قدس الله روحه ونوّر ضريحه .

⟦ تم الوصايا بعون واهب العطايا فى شهر جمادى الأول سنة ١٣٣٩ . اللّهم اغفر لكاتبه ولناظمه ولصاحبه ولمن نظر فيه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، برحمتك يا رب . وصلى الله عليه وسلم ، وعلى آله أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

حرره العبد الفقير إليه تعالى عبد الوهاب طيار الكيالى الحلبى ⟧ .

ثم ختم يقرأ هكذا : « عهدة لويز ماسينون » .

(١) ح : الروزى .

(٢) ح : هذه الحكاية المرويتين .

رسالة لعبد الغنى النابلسى فى حكم شطح الولى

من المجموع رقم ٤٠٠٨ عام بالظاهرية بدمشق

[١١٥٢] بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحافظ من الضلال فى جميع الأقوال والأفعال، لمن حققه بمعرفة نفسه فى ربه ذى الإكرام والجلال؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنزل عليه القرآن هدى للناس فى سائر الأحوال، وعلى آله وأصحابه أفضل أصحاب وأكمل آل، وعلى التابعين وتابعى التابعين من الأولياء الوارثين والعارفين المحققين من الرجال. أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى مولاه الخبير، عبد الغنى المدرس فى المقام الخاتمى، والمنزل الخاتمى، جامع الشيخ الأكبر، خطيب العلوم الإلهية على أوج المنبر. حققه الله تعالى بحقائق العرفان، وأمدّه ببدائع الكشف والبيان.

وجدت رسالة اسمها: «المسلك الجلى فى حكم شطح الولى» للشيخ الإمام العلامة العمدة المحقق المدقق الفهامة المُلاّ إبراهيم الكورانى المدنى — رحمه الله تعالى — أجاب بها عن سؤال ورد عليه من بعض جزائر جاوه من أقصى بلاد الهند فى سنة ست وثمانين وألف، حاصلُه:

«أيد الله تعالى العلماء أهلَ التحقيق، وهدى بهم الطالبين سواء الطريق: ماذا يقولون فى قول بعض أهل جاوة، ممن يُنْسَب إلى العلم والورع: إن الله تعالى نفسُنا ووجودُنا، ونحن نفسُه ووجودُه: هل له تأويل صحيح كما قال بعضُ أهل جاوة، أوهو كفر صريح كما يقوله بعض العلماء الواردين إليها ممن يُثْنى عليه بأنه عالم بالعلم الظاهر والباطن! بَيِّنوا لنا ما هو الحق بمقتضى قواعد الشرع والتحقيق، أجزل الله لكم الثواب، وأدام لكم الإمداد والتوفيق» — إلى هنا صورة السؤال.

وقد أجاب المُلاّ إبراهيم المذكور رحمه الله تعالى عن ذلك بما فتح له، سالكاً أحسن المسالك. ونحن الآن نجيب بما يفيض الله تعالى علينا من البيان، بتجلى اسم الله تعالى المؤمن والنظر بنور الإيمان.

اعلموا يا إخوانى أن الله تعالى أرسل الرسل إلينا — معشر بنى آدم — من جنسنا؛ وأنزل الكتب والصحف عليهم بالوحى، لنتبع أقوالهم، ونقتدى بأفعالهم وأحوالهم، ولا نتبع العقول ولا الأفكار، ولا يبقى لنا دليل فى ديننا إلا ما ورد إلينا من كلام الله تعالى وكلام

أنبيائه ورسله ، ولا نعتبر غير ذلك . وقد أرسل الله تعالى إلينا محمداً خاتم الأنبياء والمرسلين ، عليه صلاة الله تعالى وسلامه وعليهم أجمعين ، وأنزل الله تعالى عليه القرآن العظيم وهو الفرقان النظيم . قال تعالى : «طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى[(١)]» وقال تعالى : «تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً[(٢)]» . فالقرآن هو مقام الجمع ؛ والفرقان مقام الفرق ؛ والجمع هو الفرق ، والفرق هو الجمع ؛ والفرق والجمع هو القرآن وهو الفرقان ، وهو العين الواحدة ، وهو العيون الكثيرة . قال الله تعالى : « بل الذين كفروا فى تكذيب ، والله من ورائهم محيط » ، بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ »[(٣)] . فهذا هو الذى من ورائهم محيط بهم . قال سبحانه : والله « بكل شىء محيط[(٤)] » ، والمحيط غير المحاط به . قد أخبرنا تعالى بأن كل شىء هالك إلا وجهه ، « وكل مَنْ عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام[(٥)] » . وقال تعالى : «أينما تولوا فثم وجه الله[(٦)] » ، أى ذاته العلية .

ولا يذهب أحد إلى أن القرآن لا ينظر فى معانيه أحد إلا المجتهد ، فيمنع الناس عن الانتفاع بكلام ربهم ، ويتذكرون به ربهم تعالى ؛ قال تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مُدَّكر[(٧)] ؟ ! » قالها أربع مرات فى سورة « القمر » ؛ فالقرآن مُيَسَّر — يعنى معانيه — على كل حال للمؤمنين به ، خصوصاً فى تذكير الرب به وبما فيه من الأسرار الإلهية والأنوار الرحمانية ، ولا يمنع منه أحد لأنه حبل الله المتين ، ونور الله المبين . وقد اشترط العلماء الاجتهاد فى الاعتقاد ، واختلفوا فى صحة إيمان المقلد ، وليس مرادهم اجتهاد الفقهاء فى فروع الأحكام ، فإن ذلك الاجتهاد له شروط فى أصول الفقه ؛ وإنما المراد هنا معرفة الله تعالى بالنظر فى كتاب الله ، وفى سُنَّة نبيه عليه السلام ، ولا منع لأحد من ذلك لتصحيح إيمانه ؛ وإنما الممنوع منه شرعا نظرهم بالعقول وإقامة الأدلة العقلية على اعتقادهم فى حق الله تعالى وما يجب له ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز فى حقه سبحانه . فإن القرآن والسُّنة كافية فى ذلك لكل من آمن بهما وأسلم لهما . والأنظار العقلية فى معرفة الله تعالى هى شأن من لم يؤمن بالقرآن ولا بالسُّنة المحمدية . وأما المؤمن بذلك فلا يمكنه شرعا إلا متابعة ما جاء فى

(١) سورة طه : ١ — ٢ .
(٢) سو الفرقان : ١ .
(٣) سورة البروج : ١٩ — ٢٠ .
(٤) سورة فصلت : ٥٤ .
(٥) سورة الرحمن : ٢٦ — ٢٧
(٦) سورة البقرة : ١٠٩ .
(٧) سورة القمر . ١٧ ٢٢ ٣٢ ٤٠ .

القرآن والسنة من ذكر الله تعالى، وذكر أوصافه وأسمائه . ولو كانت العقول كافية فى المعرفة الإلٰهية شرعا ما كان الله تعالى أرسل الرُّسُل وأنزل الكتب، فإن العقول مخلوقة قاصرة عن معرفة الرب القديم سبحانه . ولهذا لمّا كذّبت الأمم الماضون أنبياءهم ورُسُلهم وكفروا بالكتب والصحف المنزلة ما بقى لهم ما يعتمدون عليه فى معرفة ربهم إلا عقولهم؛ فتبعوا عقولهم، ونظروا بها؛ فعبدوا الكواكب وعبدوا النار والعجل وعبدوا الأصنام؛ وعبدت الفلاسفة علة العلل؛ وفرعوا الأنظار العقلية؛ وعملوا الهيئة الكونية بأدلة عقولهم النظرية؛ وصنفوا للعقل ميزاناً يزنون به مدركاتهم الفكرية، وتبعهم على ذلك كثير من المسلمين، وتركوا النظر فى القرآن والسُّنة المحمدية كما قال تعالى فى شأن أمثالهم من أهل الكتاب : « ولما جاءهم رسول من عند الله مُصَدِّقٌ لما معه نَبَذَ فريقٌ من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ الله [١٥٢ ب] وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلْكِ سليمان[١] » .

والحاصل أن عمدتنا وعُدّتنا هو التمسك بالقرآن العظيم وسُنّة نبى الله الكريم فى معرفتنا بربنا، وإطلاق ما أطلقه على نفسه فى كلامه القديم وما أطلقه عليه نبيه البرُّ الرحيم . أما الله تعالى فإنه قال فى القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم[٢] » . فقد أخبر تعالى أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وتقدّسَ، وبَيْعته بَيْعة الله، ويده التى مُدّت للبيعة هى يد الله تعالى كما سمعت من الآية الشريفة . ولولا أنه — صلى الله عليه وسلم — على معرفة من ربه حقيقية، ما قال عنه تعالى ذلك القول . ولهذا قال البيضاوى : لأنه — أى الله تعالى — هو المقصود ببيعته، أى بيعة النبى صلى الله عليه وسلم . ولولا جواز إطلاق ذلك على الله تعالى ما قاله تعالى وأطلقه فى كلامه القديم . ولا عبرة عندنا بإنكار العقلاء لذلك، واحتجاجهم علينا بالأدلة العقلية، لأن شرعنا كلّه حق، وهو كلام الله تعالى، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وديننا هو دين القرآن، لا دين العقول .

وقال الله تعالى أيضاً : « وهل أتاك حديث موسى ؟ إذ رأى ناراً فقال لأهله : امكثوا ! إنى آنستُ ناراً لعلى آتيكم منها بقَبَس[٣] » — يعنى إن كانت ناراً كما هى ظاهرة لى

---

(١) سورة البقرة : ٩٥ — ٩٦ . (٢) سورة الفتح : ١٠ .
(٣) سورة طه : ٨ — ١٤ .

أظهرَها فى عينى مُقلِّب القلوب والأبصار ، « أو أجد على النار » — بطريق الاستيلاء الحقيق — « هدى » — أى اهتداء إلى وجه الله تعالى الحقيق . « فلما أتاها نودى يا موسى : إنى أنا رَبُّك » — وهذا هو الهدى الذى كان يتوقعه موسى عليه السلام لمعرفته بأن الله تعالى يظهر على حسب ما يريد ، وما فى العوالم كلها سواه . وهو الذى يقلّب القلوب والأبصار ، وهو نفس القلوب والأبصار إذا أراد أن يظهر فأن يظهر بما شاء أن يظهر . ثم قال تعالى لموسى عليه السلام حين ظهر له وأخفى سبحانه صورة النار : « فاخلع نعليك » — أى صورتك الظاهرة وصورتك الباطنة ، يعنى جسمك وروحك ، فلا تنظر إليهما لأنهما نعلاك اللذان[1] تمشى بهما فى عالم الأغيار — « إنك بالوادى المقدّس » — وهو الذات الوجود الحق المقدس عن كل شىء محسوس أو معقول — « طُوى » — لا نطواء العوالم كلها فيه واختفائها فى وجوده ولا نعدامها فى حقيقته .

ثم قال لموسى عليه السلام : « وأنا اخترتك لنفسى » — بأن تكون أنا وأكون أنا أنت ، « فاستمع لما يوحَى » إليك مِنّى . وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه يحدثها وتحدثه . ثم أكد الله تعالى هذا الظهور المذكور فى أعيان العوالم كلها عند من اختص بالتحقيق بذلك فقال : « إننى أنا الله الذى لا إله إلا أنا » . ثم إنه تعالى أخرجه من ذلك الطور وأرجعه إلى صبغته بالصورة الموسوية فقال له : «فاعبدنى وأقِمْ الصلاة لذكرى» — أى لأجل هذا التذكر الذى تحققته منى بأنك أنت أنا ، وأنا أنت ، وهو قوله تعالى : « ولقد يسّرْنا القرآن للذكر » — أى للتذكر ، «فهل من مُدّكر !» أى متذكر ، أى يذكر الله تعالى فى نفسه هذا الذكر بحيث يغيب عن صورته ، ويرجع إلى أمر ربه الذى هو حقيقة خلقته ، فيظهر من لم يزل ، ويفنى من لم يكن . وقال تعالى : « أوَلَمْ نُعمّرْكم » — أى نطيل أعماركم فى الدنيا ، «ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير[2] » . وقال تعالى : «ولذكر الله أكبر[3] » ، أى ذكره لكم بظهوره و بطونكم . وقال الله تعالى لموسى عليه السلام : «وألقيتُ عليك محبّة مِنّى ، ولتُصنَع على عينى[4] » : أى ذاتى فأظهر بك وتغيب أنت ، وتظهر أنت

(١) س : اللذين .
(٢) سورة الملائكة : ٣٤ .
(٣) سورة العنكبوت : ٤٣ .
(٤) سورة طه : ٣٩ .

وأغيب أنا ؛ وماهما اثنان ، بل عين واحدة . وقال تعالى له . « واصطنعتك لنفسى[١] » — أى لأذهب عنك عينك الفانية ، وأرى بك عينى الباقية . وقال تعالى : « إن الموت الذى تفرّون منه فإنهُ ملاقيكم[٢] » — أى حاضرٌ فيكم كما قال تعالى : « إنك ميت وإنهم ميّتون[٣] » ، وقال تعالى : « أموات غير أحياء[٤] » ولكن لا يشعرون . ثم قال تعالى بعد الآية الأولى : « ثم تُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » — أى تعملون بأنفسكم أو بالله . فمعنى ردكم إليه رجوع أعينكم الكثيرة إلى عينه الواحدة . وقال تعالى : « فاعلم أنه » — أى الشأن : « لا إله إلا الله » — أى لا موجود إلا الله ، « واستغفر لذنبك[٥] » وذنبه صلى الله عليه وسلم هو ما يغادره على قلبه . ولهذا كان يستغفر الله سبعين مرة فى كل يوم وليلة كما قال صلى الله عليه وسلم . وإشارات القرآن فى عين ما نريده مما نشير إليه كثيرة جداً عند من يدعو إلى الله[٦] على بصيرة . قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : « قل » يا محمد ! هذه « سبيلى » ، أى طريق فى رجوع الأعيان الكثيرة إلى العين الواحدة ، وذلك رجوع الكثرة إلى الوحدة ، وهو التوحيد الحقيقى والإيمان الكامل — « أدعو إلى الله » ، أى أرجع كل عين حادثة إلى عينه القديمة ، « على بصيرة » — أى معرفة تامة حقيقية ، « أنا ومن اتبعنى » ، فورث علومى الحقيقية لا الخيالية ، « وسبحان الله وما أنا من المشركين[٧] » ، أى الذين ألهاهم التكاثر ، أى الكثرة عن الوحدة ، حتى زاروا المقابر ، أى ماتوا على كثرة أعيانهم ولم يرجعوها إلى العين الواحدة .

ثم إن الله تعالى جمع الكل وحقق عينه الواحدة ، وأبطل كل عين سواها ، وأرجع ذلك إلى عينه الواحدة ، فقال عز وجل : « هو » ، أى الله تعالى : « الأول » ، أى كل أول به ، « والآخر » ، أى كل آخر ؛ « والظاهر » ، أى كل ظاهر ، « والباطن[٨] » — أى كل [١٥٣ ا] باطن ؛ فإن كل عين ظاهرة وكل عين باطنة هى عين الله تعالى لا غير .

وأما أهل التأويل فى هذه الآيات المنزلة على قلب محمد نبينا والرسول إلينا بوحى جبريل

---

(١) طه : ٤٣ .
(٢) سورة الجمعة : ٨
(٣) سورة الزمر : ٣١ .
(٤) سورة النحل : ٢١ .
(٥) سورة محمد : ٢١ .
(٦) غير واضحة فى النص .
(٧) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٨) سورة الحديد : ٣ .

عليهما الصلاة والسلام فقد قال تعالى : «فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه[١]» — أى من الذى اشتبه عليهم لوقوفهم عند مدارك العقول وعدم ترقيهم إلى أسرار النقول وبعد نقول الكتاب والسنة الميسّرة بتيسير الله تعالى كما قال سبحانه أربع مرات فى سورة القمر : «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر ؟!» وهم يفسرون ذلك ردًّا على الله تعالى فى صحيح قوله الحق . ثم قال : «ابتغاء الفتنة» — وهم فرقة منهم يحملون الآيات القرآنية على فهم عقولهم وتحسين آرائهم ، ولم يصبروا بالتقوى والإخلاص حتى تتكشف لهم الأسرار وتشرق عليهم الأنوار . قال تعالى : واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شىء عليم ، و«كل شىء هالك إلا وجهه»[٢] ؛ فكل شىء وجهه تعالى ، ووجهه ذاته العلية المُنزّهة عن كل شىء هالك . وابتغاء الفتنة هو تجسيم الله تعالى واعتقاد أنه جسم جالس على عرشه ، والله غنى عن العالمين .

ثم قال تعالى : وابتغاء تأويله — وهو تحريف الكلام العربى ورده إلى المعانى العقلية . فابتغاء الفتنة فهم العقول لذلك الكلام الإلهى الحق بما يعرف فى الحسّ من المحسوسات . وابتغاء تأويله فهم العقول لذلك الكلام الإلهى بما يعرف فى العقل من المعنويات . والكل باطل لأن الله تعالى ذم أهل التأويل وأخبر عنهم بالزيغ عن الحق . وقال تعالى بعده : «ومايعلم تأويله إلا الله» ، لأن تأويله الله لاغيره ثم قال تعالى : «والراسخون فى العلم» — الإلهى — «يقولون آمنا» — يعنى بإيمان الله تعالى المؤمن — «كلٌّ» — أى جميع الأعيان — «من عند ربنا» . — أى هى راجعة إليه منه بدأ الأمر وإليه يعود ؛ «وما يذكر» — بإرجاع الكل إليه تعالى — «إلا أولو الألباب» أى أصحاب كل شىء ، وكل شىء هالك إلا وجهه ، أى أولى الوجه ، يعنى الذات الإلهية . وملخص الأمر كما نقل عن أبى القاسم الجنيد قدس الله سره أنه كان يقول : والله والله ما عرف الله إلا الله . فالله تعالى يعرف نفسه ، ويستحيل أن يعرفه غيره ، جل وعلا ؛ وإنما عند الكل معانٍ[٣] عقلية وعبارات لفظية ، والعجز عن الإدراك إدراك .

وإنما الحق علم الله تعالى الذى يعلمه المُتّقين المطيعين لأوامره ، المجتنبين لنواهيه ؛

---

(١) سورة آل عمران : ٥ . (٢) القصص ٨٨ . (٣) ص : معانى .

وغيرهم يلزمه الإيمان بالغيب والإسلام للغيب حتى يرزقهم سبحانه التقوى فيعلمهم من علمه القديم .

فإذا علمت هذا الذى ذكرناه ، فاعلم أن جوابنا عن السؤال المذكور أن هذا القائل من أهل جاوة يقول إن الله تعالى نفسنا ووجودنا ، ونحن نفسه ووجوده . فإن كان خرج عن طوره الأول وطوره الثانى وطوره الثالث ووصل إلى طوره الرابع ، فإن الطور الأول هو الأغيار — يعنى غير الله تعالى كما قال تعالى — ؛ والطور الثانى هو الأفعال — يعنى صار كله أفعال الله تعالى : ظاهِرُه وباطِنُه ؛ والطور الثالث هو صفات الله تعالى وأسماؤه ؛ والطور الرابع هو ذاته تعالى كما قال تعالى : « لتركبن طبقاً عن طبق[1] » ، فتخرجون من طبق الأغيار فلا يبقى أحدٌ منكم غيراً لدخولكم فى طبق الأفعال ، فتصيرون أفعال الله تعالى كما قال تعالى : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفسٍ واحدة[2] » ، وهى النفس الواحدة والعين الواحدة ، ثم تخرجون من طبق الأفعال فتدخلون طبق الصفات الإلٰهية والأسماء الربّانية ، ثم لا تبقى منكم بقية وتصيرون فى الطبق الرابع . قال تعالى : « وأنّ إلى ربك المنتهى[3] » .

فهذا القائل للكلام المذكور إن صدق فى نفسه وركب هذه الأطباق طبقاً عن طبق فقد صدق ، فهو ... ...[4] موحد بالتوحيد ، وهو وارث محمدى ؛ وإن كان باقياً فى طور الأغيار ولم يخرج عن الطبق الأول وقال ذلك القول فهو كافر بالله تعالى كما قال تعالى : « ويحذركم الله نفسه[5] » — أن تدّعوا خلاف ما أنتم عليه من الغيرية ، والله رؤوف بالعباد ، لأنكم حينئذ عباد الله ، لا نفس الله ، فاحذروا الله ؛ لا تقولوا عن غيره إنه هو الله ، ولا عن أنفسكم إنها هى الله فإنكم تكذبون . وأما إذا خرج عن طور الأغيار ، ودخل فى طور أفعال الله تعالى فإنه ساقط التكليف لغيبته وسكره وعدم عقله وامّحاء إدراكه . وإذا خرج عن طور الأفعال الإلٰهية ودخل فى طور الصفات والأسماء الربّانية فهو الوارث للأنبياء عليهم السلام ، فله مرتبة معلومة ، وليس هو من ورثة محمد صلى الله عليه وسلم فى المقام الذاتى فإن

---

(١) سورة الانشقاق : ١٩

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

(٣) سورة النجم : ٤٣

(٤) بالهامش ، وموضعه كلمتان غير مقروءتين .

(٥) آل عمران : ٢٧ .

صاحب الوراثة المحمدية هو خاتم الأولياء فى زمانه ، كما أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فلا نبىّ بعده ؛ وفى كل زمان لله تعالى أولياء بعدد الأنبياء المتقدمين ، ولهم خاتم لولاياتهم وارث محمدى ذاتى المقام . والله الأعلم بالحق والصواب بين الأنام .

وهذا الذى كتبناه من فيض الوارد الرحمانى والفاتح الربّانى . فمن آمن به وصدق ، فهو عند الله تعالى من المؤمنين الصادقين ؛ ومن جحد وأنكر ، فحسابه عند ربّ العالمين .

فرغ ما جرى به قلم الإمداد ، ورسمه فى الطرس روح الاستمداد ، بصورة اسم عبد الغنى فى عشية نهار الجمعة الثالث عشر من شعبان لسنة تسع وثلاثين ومائة وألف .

ملحق نصوص غير منشورة

خاصة بأبي يزيد البسطامى

«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي

مخطوط رقم ١٥٠٥ بالمكتبة الأهلية بباريس*

تحت سنة ٢٦١ هـ : ورقة ١٩٣ ا

... وفيها توفى أبو يزيد البسطامى، واسمه طيفور بن عيسى بن شرشوان . < وكان > مجوسياً فأسلم . وكان لعيسى ثلاثة أولاد وهو [أكبرهم] أكبرهم (١)، وطيفور أوسطهم، وعلى أصغرهم . وكانوا كلهم زهاداً عُبّاداً (٢) . وكان أبو يزيد أفضل أهل زمانه وأجلهم حالاً : له لسان فى المعارف والتدقيق وفى علوم المكاشفات والفناء والبقاء لم يسبق إليه .

ذكر طرف من أخباره

حكى أبو نعيم الأصفهانى وابن باكويه وابن خميس فى « مناقب الأبرار » طرفاً من زهده وكراماته وخوفه وورعه وجميل صفاته وعباداته .

حدثنا جدى رحمه الله بإسناده إلى العبّاس بن حمزة يقول : صلّيت خلف أبى يزيد البسطامى الظهرَ . فلما أراد أن يرفع يديه ليكبر لم يقدر إجلالاً لاسم الله تعالى وارتعدَتْ فرائصه حتى كنت أسمع تقعقع عظامه . فهالنى ذلك . — وروى جدّى عن ابن ناصر بإسناده إلى عيسى بن آدم ابن أخى أبا يزيد قال : كان أبو يزيد يعظ نفسه فيصيح : يا مأوى كل سوء ! المرأة إذا حاضت طهرت بعد ثلاثة أيام وأكثره عشرة، وأنت قاعدة منذ عشرين أو ثلاثين، بعدُ ما طهرت . فمتى تطهرين ؟ ! إنك تقفين بين يدى الله الطاهر < والذى يقف بين يدى الطاهر > ينبغى أن يكون طاهراً .

---

* لصفحات هذا المخطوط ترقيمان : أحدهما بالعربية والآخر بالأفرنجية ويختلفان بقدر ورقة، وقد اخترنا الثانى .

(١) كذا مكررة .   (٢) س : زهاد عباد .

قلتُ : لم يذكر له جدّى فى « المنتظم » سوى هذه الكلمات عن العباس بن حمزة وعن عيسى بن آدم ابن أخى أبى يزيد . ولا خفاء أن الرجل كان جليلاً سيداً عارفاً نبيلاً . وقد استقصيت أخباره وذكرتُ أحواله وآثاره . فأقول :

حكى ابن باكويه بإسناده عن قاسم الحداد قال : خرج أبو يزيد فى بعض سياحاته فجاء إلى دجلة فالتقى به الشّطّان ، فحول وجهه عنهما ثم قال : وعزّتك ! إنك تعلم أننى ما عبدتك لهذا ، فلا تحجبنى عنك .

وحكى عنه على بن جهضم فى « بهجة الأسرار » قال : صعد أبو يزيد ليلة على سور بسطام ، فدار عليه طول الليل مجتهداً أن يذكر الله تعالى ، فلم يقدر إجلالاً وهيبةً . فلما طلع الفجر نزل فبال الدمَ . قال : وجلس يوماً بين يدى المنبر . — وقد حكى هاتين الحكايتين جدّى فى كتاب « المنتخب فى الوعظ » .

وحكى عنه أبو عبد الرحمن السُّلَمى قال : قال أبو يزيد : جلستُ ليلةً فى المحراب ، فمددتُ رجلى ، فهتف بى هاتف : يا أبا يزيد ! مَن يجالس الملوك ينبغِ[1] أن يجالسهم بحسن الأدب .

وحكى عنه ابن جهضم فى « البهجة » أنه قال : رأيتُ ربّ العزة فى المنام فقلت : يا خُدَاه ! كيف الطريق إليك ؟ فقال : فارق نفسك وتعال[2] . وحكاه جدّى فى « المنتخب » .

وذكر ابن خميس فى « المناقب » عنه أنه أذّن مرة[3] ثم أراد أن يقيم[4] فنظر فى الصف فرأى رجلاً عليه آثار السفر ، فكلّمه بشىء ، فخرج الرجلُ من المسجد . فقيل له : ما قال لك أبو يزيد ؟ قال لى : اخرج واغتسل فما يجوز التيمم فى الحضر .

وحكى أيضاً قال : اشتهر رجلٌ بالولاية ، فقال أبو يزيد لبعض إخوانه : قُمْ بنا إليه . فدخل الرجلُ المسجدَ وبصق تُجاه القِبلة . فرجع أبو يزيد وقال لصاحبه : امضِ[5] بنا ،

(١) س : ينبغى .
(٢) س : تعالى .
(٣) س : عرة .
(٤) أى يقيم الصلاة .
(٥) س : امضى .

فهـذا غير مأمون على أدب من آداب الشريعة ، فكيف يكون مأموناً على ما يدّعيه من الولاية ؟ !

قال : وغسل يوماً ثوبه فى الصحراء ومعه صاحبٌ له فقال له صاحبه : عَلّقه على حائط الكرم فقال : ما أذن لى صاحبُه . فقال : علقه على الشجر ؛ [١٩٤ ا] فقال : تنكسر أغصانه فيفسد . فقال : ابسطه على الإذْخِر . قال : يفسد ، لأن الله جعله علفاء للدواب . فولى أبو يزيد ظهره إلى الشمس وجعل القميص على ظهره ورأسه وقلبه حتى جفّ ثم لبسه .

قال : ودخل يوماً إلىَّ ؛ فغرس عصاه فى الأرض ، فوقعت على عكّاز شيخ إلى جانبه ؛ فوقع العكاز . فقام الشيخ فانحنى وأخذه . فقام أبو يزيد إلى الشيخ وقبّل رأسه وحَالَـلَه وقال : إنما انحنيت وأخذتُ العكّاز بسببى .

قال : وقدم شقيق البلخى وأبو تراب النخشبىّ على أبى يزيد وقُدِّمَتْ السفرة وهناك شابٌ جالس ، فقال له أبو يزيد[١] : قُمْ فكُلْ مع الشيوخ . فقال : أنا صائم . فقال له أبو تراب : كلْ ولك أجرُ صوم شهر . فأبى . فقال له شقيق : كُلْ ولك أجرُ صوم سنة . فأبى . فقال لهم أبو يزيد : دعوه فقد سقط من عين الله . فأخِذَ الشابُ بعد سنة فقطعت يده .

قال : وقال عمر البسطامى : كنا قعوداً فى مسجد أبى يزيد ، قال : قوموا بنا نستقبلْ ولياً[٢] من أولياء الله . فقمنا وإذا بإبراهيم بن ستنبه الهروى قد أقبل فقال له أبو يزيد : وقع فى خاطرى أنى أستقبلك وأشفع لك إلى ربّى . فقال له إبراهيم : لو شفّعك فى جميع الخلائق لم يكن عجباً : إنما هم قطعة من طين . فتحيّر أبو يزيد من جوابه .

ذكر المختار من كلامه

قال أبو نعيم بإسناده عن إبراهيم الهروى يقول : سمعت أبا يزيد يقول : غلطت فى ابتداء أمرى فى أربعة أشياء : توهمت[٣] أنى أذكره وأعرفه وأحبّه[٤] وأطلبه . فلما انتهيت

---

(١) س : ابويز .
(٢) س : أوليا .
(٣) س : تومت .
(٤) س : فأحبه .

رأيتُ ذكرَه سبق ذكرى ، ومحبّته سبقت محبّتى ومعرفته سبقت معرفتى ، وأن طلبه[١] سبق طلبى .

وقال إبراهيم : وسمعته يقول : عملتُ فى المجاهدة ثلاثين سنين فما وجدتُ شيئاً أشدّ على من العلم ومتابعته . ولولا اختلاف العلماء لبقيت متحيراً . واختلافهم رحمة ، إلّا فى تجريد التوحيد .

قال : وسئل[٢] أبو يزيد : ما علامة العارف ؟ فقال : لا يفتر من ذكره ولا يملّ من حقه ولا يستأنس بغيره . وقال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم ، فأطاعوه ، فخلع عليهم من خِلَعه ، فاستغنوا بالخِلَع عنه ، وإنى لا أريد من الله إلا الله تعالى .

وقد حُكينا عن أحمد بن خضرويه أنه قال : رأيتُ ربّ العزة فى المنام فقال لى : يا أحمد ! كل الناس يطلبون منى إلا أبا [١٩٤ ب] يزيد فإنه يطلبنى .

وقال : لو صَفَتْ لى تهليلةٌ ما باليتُ بعدها بشىء .

وقال : هذا[٣] فَرَحى بك وأنا[٤] أخافك ، فكيف فرحى بك إذا أمِنْتُك[٥] ؟!

وسئل : بمَ[٦] نالوا المعرفة ؟ فقال : بتضييع[٧] ما لهم والوقوف مع ماله .

وقال : إن الله تعالى اطلع على قلوب أوليائه فمنهم من لا يصلح لحمل المعرفة[٨] صِرْفاً فملّه بالعبادة .

وقال : ليس العجب من حُبّى لك وأنا عبد فقير ؛ وإنما العجب من حُبّك لى وأنت ملك قدير .

وقال : منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر لله أتمضمض وأغسل لسانى إجلالاً له أن أذكره .

وحُكِى عنه فى « المناقب » أنه قال : أشد المحجوبين عن الله ثلاثة بثلاثة : فأولهم

---

(١) س : وأطلبه .
(٢) س : أبا يزيد .
(٣) س : هذ .
(٤) س : وأما .
(٥) س : أفقتك .
(٦) س : بما .
(٧) س : بتصبيح .
(٨) س : المرفة

الزاهد بزهده ، والثاني العابد بعبادته ، والثالث العالم بعلمه . ثم قال : مسكينٌ الزاهد ! لو عَلِم أن الله سمّى الدنيا كلها قليلاً في قليل ، فكم مقدار ما ملك من ذلك القليل ؟ ! وفي كم زهد فيما مَلك ؟ ! وأما العابد فلو رأى مِنَّة الله عليه في العاقبة عرف عبادته في المِنَّة . وأما العالم فلو علم أن ما في جميع العالم في شطر واحدٍ من اللوح المحفوظ ، فكم علم هذا العالم من ذلك الشطر ؟ وكم عمل بما علم ؟

قال : وقال : ما ذكروه إلا بالغفلة ، ولا خدموه إلا بالفترة ؛ وأكثر الناس إشارة[1] إليه أبعدهم عنه .

وقال : غبت عن الله ثلاثين سنة . وكان غيبتي عنه ذكري إياه . فلما حضرتُ وجدته في كل حال .

قال : وقيل له : لِمَ لا تسافر ؟ فقال : لأن صاحبي مقيم . فقيل له : إن الماء الراكد يُكرَه الوضوء منه . فقال : لم يُرَدْ بماء البحر بأساً : هو الطَّهور ماؤه ، والحِلُّ ميتته . ثم قال : ترى للأنهار دَويًّا وجرياً . فإذا دنت من البحر وامتزجت سكنت وذهبَ خريرُها .

وحكى أبو نعيم عنه قال : طلقتُ الدنيا ثلاثاً بتاتاً لا رجعة لي فيها وصرت إلى ربّي وحدي فناديته بالاستعانة : أدعوك دعاء من لم يبقَ له غيرك . فلما عرف صدق الدعاء من قلبي والإياس من نفسي كان أول ما ورد عليَّ من إجابة دعائي أنه أنساني نفسي بالكلية ونصب لي الخلق بين يديَّ مع إعراضي عنهم بالكلية .

وقال : دعوتُ نفسي إلى الله فاستعصت عليَّ فتركتها ومضيتُ إليه

وحكى عنه ابن باكويه أنه قال : كل الناس يخافون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله أن يحاسبني . قيل له : ولِمَ ؟ قال : لعله أن يقول فيما بين ذلك : ياعبدي ! فأقول: لبيك ! ثم يفعل بي ما يشاء بعد ذلك .

قال : وقال له رجلٌ : دُلّني على عمل (١٩٥ ا) أتقرب به إلى الله تعالى ! قال : تحبَّب إلى أوليائه ليحبُّوك ، فإنه ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيحبك فيغفر لك .

---

١) س : أشار .

وحكى عنه ابن باكويه قال : عرج بى إلى السماء فطاف ودعا . قيل له : بأى شىء دعا ؟ قال : بالمحبة والرضا .

وحكى عنه ابنُ جهضم أنه قال : نظرت فإذا الناس يتلذذون فى الدنيا بالطعام والشراب والنكاح ؛ وكذا فى الآخرة . فجعلت لذتى فى الدنيا[1] ذكره ، وفى الآخرة النظر إليه .

وقال جعفر الخلدى : قال له رجل : لِمنْ أصحب ؟ قال : لَمِنْ إذا مرضتَ عادَكَ ، وإذا أذنبتَ سامحك .

وحكى فى « المناقب » أن رجلاً قال له : بماذا أستعين على العبادة ؟ فقال : بالله ، إن كنت تعرفه .

وقال : من سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهماً يكلم به الناس ، ومن سمعه ليقابل به الله رزقه الله فهماً يناجى به ربّه .

قال : وقال : اللهم أفهمنى عنك ، فإنى لا أفهم عنك إلاّ بك .

وقال : القلانس تنزل من السماء ، وإنى لأعرف أقواماً يعولمون (كذا) برؤسهم كذا وكذا .

وقال : كنتُ حدّاد نفسى اثنتى عشر سنة ، وخمس سنين مرآةَ قلبى ، وسنةً أنظر فيما بينهما . فنظرتُ فإذا فى وسطى زنار ظاهر[2] . فعملت فى قطعه خمس سنين . فكشف لى عن الحقائق . فرأيت الخلق موتى . فكبّرْتُ عليهم أربع تكبيرات .

وقيل له : بأى شىء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال ببطن جائع وبدن عارٍ[3] .

وقال : السُّنَّة تركُ الدنيا ، والفريضة صحبة المولى .

وسئل عن الزهد فقال : ليس له منزلة . ثم ذكر ابتداء زهده فقال : كنت فى الزهد ثلاثة أيام : فى اليوم الأول زهدت فى الدنيا وما فيها ؛ وفى اليوم الثانى زهدتُ فى الآخرة وما فيها ؛ وفى اليوم الثالث زهدتُ فيما سوى الله . فلما كان فى اليوم الرابع لم يبق لى شىء

---

(١) س : الدنا . (٢) س : زنارا ظاهرا .
(٣) س : عارى .

سوى الله ؛ فهتف بى هاتف : يا أبا يزيد ! إنك لا تقوى معنا . فقلت : هذا الذى أردت . فقال : وجدت وجدت !

وقال : دعوت نفسى إلى طاعة الله فأبَتْ ، فمنعتها شرب الماء سنة .

وقال : إن لله تعالى شراباً[١] يسقيه فى الليل قلوبَ أحبابه . فإذا شربوه طارت قلوبُهم فى الملكوت الأعلى حُبًّا لله تعالى وشوقاً إليه . ثم أنشد :

[١٩٥ب] غرست الحبَّ غرساً فى فؤادى فلا أسلو ، إلى يوم التنادى
جرحت القلبَ منى باتصالٍ فشوق زائدٌ والحب بادى
سقانى شربة أحيا فؤادى بكأس الحب من بحر الودادِ
فلولا اللهُ يحفظ عارفيه لهام العارفون بكل وادى

قال : وسأله بعض أصحابه عن التوكل فقال له : ما تقول أنت فيه ؟ فقال : إن أصحابنا يقولون : لو أن السباع والأفاعى عن يمينك وشمالك ما تحرك سِرُّك لذلك . قال أبو يزيد : هذا قريب ، ولكنى أقول : لو أن أهل الجنة فى الجنة يتنعمون[٢] ، وأهل النار فى النار يُعَذَّبون ، ثم وقع تمييز بين الفريقين لخرجتُ من التوكل .

قال : ورأى أبو يزيد رجلاً يسوق حماراً فقال : ما حرفتك ؟ فقال : حر بيده . فقال أبو يزيد : أمات الله حمارك لتكون عبداً لله لا عبداً لحمار .

قال : وأرسل إليه ذوالنون المصرى يقول : يا أخى ! إلى متى النوم والراحة وقد سارت القافلة ؟ ! فقال أبو يزيد لرسوله : قل لأخى ذى[٣] النون : ليس الرجل من يقوم طول الليل ثم يسبق إلى المنزل ؛ إنما الرجل من ينام طول الليل على فراشه ، ثم يصبح وقد سبق القافلة . فبكى ذو النون وقال : هذا كلام لا تبلغه أحوالنا .

قال ، وقال له رجل : أنت أبو يزيد ! فقال : ومَن أبو يزيد ؟ ومن يعرف أبا يزيد ؟ أبو يزيد يطلب أبا يزيد فما يجده . وبلغ ذا النون[٣] فقال : رحم الله أخى أبا يزيد ! فقَدَ

---

(١) س : شراب . (٢) س : يقيمون .
(٣) س : ذو النون .

نفسه فى الراغبين إلى الله تعالى وقال : أولياء الله عرائس مُخَدَّرون[١] عنده فى مجال الأُنس لا يرام أحد ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وقال : حظوظ الأولياء فى أربعة أشياء : الأول والآخر والظاهر والباطن : فمن فنى منها بعد ملابسته إياها فهو الكامل . وبيانه : من كان حظه فى اسمه الظاهر لاحَظَ عجائب قدرته ؛ ومن كان حظه من اسمه فى الباطن شاهد مايجرى فى السرائر ؛ ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله فى السوابق ؛ ومن لاحظ مافى الآخر صار مرتبطاً بالمستقبل .

وكان كوشف على قدر طاقته وسُئِل عن المعرفة فقال : « إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها »[٢] .

وقال : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف لأنه حُجِبَتْ رسومُه فلا يُشاهِد فى يقظته ونومه غيرَ الله تعالى .

وسئل عن المحبة فقال : استقلال الكثير من نفسك [١٩٦ ا] واستكثار القليل من حبيبك .

وقال أبو موسى الديبلى : سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل فقال : لو دخلَتْ يدك فى فم التنين حتى يبلغ الرُّسْغَ لا تخاف غير الله . قال : فخرجت لأبى يزيد لأسأله عن التوكل ، فطرقتُ عليه الباب فقال : قد كان لك فى جواب عبد الرحمن كفاية . فقلتُ : افتح ! فقال : ما أتيتنى زائراً وقد أتاك الجواب من وراء الباب . ولم يَفْتَح لى . قال : فغبتُ عنه سنة ثم أتيته فطرقتُ عليه الباب فقال : مرحباً لأنك أتيتنى زائراً ؛ وفتح . فأقمت عنده شهراً لا يخطر بقلبى شىء إلا أخبرته . فقلت له عند وداعى له : أفِدْنى فائدة . فقال : أخبرتنى أمى أنها كانت حاملاً بى . فكانت إذا قدم لها طعام فيه شبهة انتفضت يدها عنه . فإن قيل : فهذا الجواب لا يطابق السؤال ، قلتُ : هذا جواب عن إخبار أبى يزيد عمّا كان يخطر له . فإن من منعَ الله أمّه ، وهى حامل به ، عن تناول الحرام ، لا يبعد منه أن يتكلم عن الخواطر والأوهام .

وقال فى « المناقب » : كتب يحيى بن معاذ[٣] إلى أبى يزيد : سكرتُ مِنْ كثرة

---

(١) س : مخدون . (٢) سورة النمل : ٣٤ .

(٣) س : ابن معاذ ، مكررة .

ما شربت من كأس محبته . وكتب إليه أبو يزيد[1] : غيرك شرب بحار السموات وما روى بعدُ ؛ لسانه خارج على صدره وهو يصيح : العطش العطش . وأنشد فى ذلك :

عجبتُ لمن يقول : ذكرت ربى ... وهل أنسى فأذكر ما نسيتُ ؟
شربتُ الحبَّ كأساً بعد كأسٍ ... فما نَفِدَ الشرابُ وما رويت

وقال : إن لله عباداً لو احتجب عنهم فى الدنيا أو فى الجنة لحظةً لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار فى النار .

وقال : إن الله خلق إبليس كلباً من كلابه ؛ وخلق الدنيا جيفة ؛ ثم أقعد إبليس على آخر طريق الدنيا وأول طريق الآخرة وقال له : كُلُّ من مال إلى الجيفة سلَّطْتك عليه .

حديث الطأس والعَسَل والشَّعْرة

حكى القاضى الدامغانى فى « مجرد الحكايات » عن أبى يزيد البسطامى قال : كنتُ جالساً يوماً وعندى أربعة من الصالحين . فأُتى بطأسٍ فيه عَسَلٌ وإذا فيه شعرة ؛ فوُضِع بين أيدينا . فقال أبو يزيد : طأس حَسَن ، وعسله حلو ، وشعرةٌ دقيقة . فليقل كل واحدٍ منكم فى هذا شيئاً . فقال واحد منهم : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أحسنُ من هذا الطأس ، وحلاوة العلم أحلى من [١٩٦ب] هذا العسل ، وصدق الدعوى أدق من هذه الشعرة . وقال الثانى : العقل أحسن <من> هذا الطأس ؛ وكتاب الله أحلى من العسل ؛ وطريق الحُجَّة أدق من هذه الشعرة . وقال الثالث : النفس أحسن من هذا الطأس ؛ والعلم أحلى من هذا العسل ؛ وطريق الورع أدقُّ من هذه الشعرة . وقال الرابع : الآخرة أحسن من هذا الطأس ؛ ونعيم الجنة أحلى من هذا العسل ؛ وطريق الأولياء إلى الله أدقُّ من هذه الشعرة .

فقالوا لأبى يزيد : فما تقول أنت ؟ فقال : المعرفة فى قلوب العارفين أحسن من

---

(١) س : أبا يزيد .

هذا الطاس ؛ ورؤية المحبين لله أحلى من هـذا العسل ؛ وطريق الصدق أدقُّ من هذه الشعرة .

ذكر قصة الشاب الذى مات عند رؤيته

ذكر ابن خميس فى « المناقب » للغزالى فى « الإحياء » وصاحب « القُوت » وغيرهم عن بعض أصحاب أبى يزيد ، قال : كان عندى[1] شاب صغير ملازم للخَلوة . فقلت له : هل رأيت أبا يزيد ؟ قال : لا . فتركته أياماً وأعدت عليه القول . قال : لا . فلما أكثرت عليه قال : رأيت الله فأغنانى عن أبى يزيد . قال : فكررت عليه القول وهو لا يزيد على هذا . فغاظنى[2] . فقلت : لو رأيت أبا يزيد مرةً كان أنفعَ لك من رؤية الله سبعين مرة . فقال : قم بنا إليه . فخرجنا نطلب أبا يزيد . وإذا به قد خرج من النهر وفروته مقلوبة على كتفه . فلما رآه الشاب صاح ومات . فقلت لأبى يزيد : ما هذا ؟ فإنه ذكر أنه يرى الله وما مات ، يراك فيموت ؟ فقال : نعم ! كان يرى الله على قدر حاله . فلما نظر إلَيَّ ، رأى الله على قدر حالى فلم يثبت فمات . قال : ثم داريناه فغسلناه وكفّنّاه ، وصلّى عليه ودفنه وبكى .

حديث حجّه ، وما جرى له

ذكر ابن خميس فى « المناقب » طرفاً من ذلك فقال : قال أبو يزيد : حججتُ أول حجةٍ فرأيتُ البيت ولم أرَ صاحبَ البيت . وحججتُ ثانياً فلم أر البيت ولا صاحبَ البيت ولا الناس . هذا صورة ما ذكر فى « المناقب » .

وذُكِر فى كتاب جمعه عبد الحق البغدادى الحرمى تمامُ الحكاية . فرواه عن أشياخه قالوا : قال : أبو يزيد ! فقلت : من مثلى وقد [١٩٧ ا] وصلت إلى هـذه الحالة وعجبت . فهتف بى هاتف : أعَجِبْتَ ؟ اذهب فلا حاجة لنا فيك ! قال : فهمتُ فى البادية على وجهى ، لا آكل ولا أشرب ولا أنام . فمررتُ بديرٍ فيه راهبة فقلت لها : ها هنا مكان

---

(١) س : عند .

(٢) س : فغاضنى .

طاهرٌ أُصلِّي فيه ؟ فقالت : طهِّرْ قلبَك وصَلِّ[١] حيث شئت . قال : فدخلتُ ديراً فرأيتُ قوماً يعبدون الصليب . فَثُرتُ[٢] وقلتُ : ويحكم ! أتعبدون ما لا يضر ولا ينفع ؟ ! وتدّعون عبادة من ينفع ولا يضر ! فهتف بي هاتف : نحن فى غنى عن نصحك . اذهب ! فلا حاجة لنا فيك . فقلتُ : ما بقى بعد هـذا حديث . ثم قلتُ لراهب : ناولنى زُنّاراً[٣] . فقلتُ : ما بقى غير شد الزنار . فأدخلتُ يدى فى أكمام مرقعتى وقلت : أرمى بها[٤] وأشد الزنار ولم يبق إلا أنا أخرج رأسى . فهتف بى الهاتف : لا يا أبا يزيد ! ما وصل الحال إلى هذا . وإنما نحن نعلم أنك تحبنا ، فنتدلّل عليك . وأنشد فى المعنى :

قالت لطَيْفِ خيالٍ زارها ومضى   بالله صِـفه ولا تَنقُص ولا تَزِد
فقال : خلفته لو مات من عطش   وقلتُ : قف عن ورود الماء — لم يرد
قالت : صدقتَ ، الوفا فى الحب عادته   يا بَرْدَ[٥] ذاك الذى قالت على كبدى !

ذكر وفاته

قالت علماء السِّيَر : توفى أبو يزيد فى هذه السنة[٦] ببسطام ، وقبره ظاهر يزار بها . قال أبو نعيم : وإذا أجدبوا[٧] استسقوا به فسُقُوا .

وكان له يوم مات ثلاثة وسبعون[٨] سنة .

وقد أسند الحديث ، والله تعالى أعلم بالصواب .

---

(١) س : صلى .
(٢) س : فقرت ؟
(٣) س : زنار .
(٤) أى بالمرقعة .
(٥) س : يا بر ذاك .
(٦) أى سنة إحدى وستين بعد المائتين .
(٧) س : أجذبوا .
(٨) س : وسبعين .

— ٢ —

« نفحات الأنس من حضرة القدس »

لمولانا عبد الرحمن الجامى ، تعريب تاج الدين زكريا العثمانى

مخطوط رقم ١٣٧٠ عربى بباريس بالمكتبة الأهلية ، ورقة ٢٦ ب

أبو يزيد البسطامى قدس الله سرّه

من الطبقـة الأولى . واسمه طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان . كان جدّه يهودياً فأسلم . وكان من أقران أحمد بن خضرويه . ورأى أبا حفص ويحيى بن معاذ وشقيق البلخى . ومات فى سنة إحدى وستين ومائتين ؛ وقيل فى سنة أربع وثلاثين ومائتين . والأول أصح . وكان أستاذه كردياً . وأوصى : ادفنونى تحت رِجْل أستاذى لحرمة الأستاذ .

وكان صاحب آي ، لـكن فتح عليه بالولاية فما ظهر مذهبه . قال شيخ الإسلام : نسبوا إليه كذباً كثيراً ، ومنه أنه قال : « ذهبتُ فضربت الخيمة محاذاة العرش » . قال شيخ الإسلام : هذا الكلام كفرٌ فى الشريعة و بعدٌ فى الحقيقة ، إذ معناه لا يتحق بإثبات النفس ، بل تتحقق الحقيقة بنفى الوجود ؛ ولا تثبت الحقيقة بالاثنينية ، فإن إثبات الاثنينية شِرْك ، ونفى الاثنينية توحيد .

قال الحصرى رحمه الله : إن رأيت العرش كنت كافراً . والجُنَيْدُ كان متمكناً ، وما كان له بَوْحٌ . وكان يُعظم الأمر والنهى وأَخَذَ الطريق من الأصل ، فلا جَرَم كان مقبولاً لجميع الفِرَق .

سُئِل الجنيد : أين وطنك ؟ قال : « تحت العرش » — يعنى غاية همتى ومنتهى نظرى واستقرار روحى هو الذى قال الله لموسى : أنت غريب وأنا وطنك .

✓ وقيل : كان أبو يزيد إذا قام للصلاة يخرج من صدره قعقعة يسمعها من كان قريباً منه . وهذه القعقعة من هيبة الحق وخشيته وتعظيم الشريعة .

وقال أبو يزيد عن الموت : « إلهى ! ما ذكرتك إلا عن غفلة ، وما خدمت إلا عن فترة » — ومات .

قال أبو موسى : قال أبو يزيد : رأيتُ الله فى المنام فقلتُ : كيف يكون الطريق إليك ؟ قال : إذا انقطعتَ عن نفسك وصلت[١] .

— ٣ —

قصة أبى يزيد البسطامى مع الراهب

عن المجموع رقم ١٩١٣ عربى* ، بالمكتبة الأهلية بباريس ، ورقة ١٩٥ ا

حكى أنه كان ولى من أولياء الله تعالى يقال له أبو يزيد البسطامى . وكان قد حجّ خمساً[٢] وأربعين حجة ، ويقرأ فى كل يوم ختمة . فبينما هو واقف على جبل عرفات إذ قالت له نفسُه : من مثلك يا أبا يزيد ! حججتَ خمساً[٢] وأربعين[٣] حجة ، وقرأت عشرة آلاف ختمة . فنادى فى الحال : من يشترى منّى خمسة[٢] وأربعين[٣] حجة برغيف خبز ؟ فقال رجل : أنا . فأخذ منه الرغيف وألقاه إلى كلب فأكله . ثم شدد على نفسه ودخل إلى بلاد الروم ؛ وإذا راهب قد أمسك بيده وأتى به إلى منزله ، وأخلى له مكاناً فى داره . فأقام يعبد الله تعالى فى ذلك المكان ، والراهب يأتيه فى كل يوم بالأكل والشرب بُكرة وعشيا مدة شهر . فقال أبو يزيد يوماً لنفسه : يانفسُ ! أنا أريد أن أكسرك وشو ما تنكسرى ؟ قال : فبينما يخاطب نفسه وإذا بالراهب قد دخل عليه وقال : ما اسمك ؟ قال أبو يزيد . فقال الراهب : ما أحسنك لو كنت عبد المسيح . قال : فصعب ذلك على أبا يزيد وأراد الخروج من عنده . فقال له الراهب : أَقِمْ عندنا إلى تمام أربعين يوماً ؛ فإن لنا عيداً عظيماً وأريد أن تحضر ، ولنا أيضاً واعظاً بعظنا من السنة إلى السنة مرة واحدة . فأجابه إلى ذلك .

فلما كان تمام الأربعين دخل عليه الراهب وقال له : قم ! أتى يوم عيدنا . فلما قام قائماً قال له : كيف تمضى معى وتحضر بين ألف راهب وأنت على هيئتك هذه ! فإنى أخشى عليك . ولكن اخلع ثيابك والبس هذا البُرْنُسَ وشُدّ وسطك بالزنار وعَلّق الإنجيل على صدرك .

---

(١) إلى هنا وقف النص فى المخطوطة إذ سقط ما بعده .

(٢) س : خمسة . (٣) س : أربعون .

* مجموع مخطوط فى ٢١٣ ورقة ، مقاس ٣٠ ½ × ٢١ سم ، مسطرته ٢٥ ؛ تاريخ نسخه فى مكة سنة ١٠٠٤ هـ (= ١٥٩٦ م) .

قال : فلما سمع كلام الراهب صعب عليه ذلك ، فنودى فى سره : يا أبا يزيد ! افعل ذلك فإن لنا فيه إرادة ومشيئة . قال : فعند ذلك خلع ثيابه ولبس البرنس وشد وسطه بالزنار وحمل الإنجيل على صدره وتوجه معه إلى البِيعة وجلس مع الرهبان فلم ينكروا عليه . قال : فبينما هو كذلك رأوا أعظمهم قد أقبل ولم يتكلم . فقالوا له : لِمَ لا تتكلم كعادتك ؟ فقال : كيف أتكلم وبينكم رجل محمّدى ؟! فقالوا : قل لنا عليه حتى نقطعه بسيوفنا . فقال : والله ما أدلكم عليه حتى تحلفوا لى أنكم لا تؤذونه[1] ولا تشوشون عليه . فحلفوا له على ذلك . فقال الراهب عند [١٩٥ب] ذلك : أقسمت عليك أيها المحمدى بالله إلا ما قمت من بين الجماعة . قال : فوثب أبو يزيد قائماً على قدميه فقال : انظروا إليـه . فقالوا : صدقتَ أيها الشيخ . فقال له : ما اسمك ؟ قال : أبو يزيد ؛ قال : تعرف شيئاً من العلم ؟ قال : أعرف الذى علمنى ربى عز وجل . قال : أخبرنى عن واحدٍ ماله ثانٍ[2] ، وثانٍ[2] ما له ثالث ، وثالثٍ ماله رابع ، ورابعٍ ماله خامس ، وخامسٍ ماله سادس ، وسادس ماله سابع ، وسابع ماله ثامن ، وثامن ماله تاسع ، وتاسع ماله عاشر ، وعاشر ماله حادى عشر ، وحادى عشر ما له ثانى عشر ، وثانى عشر ما له ثالث عشر ؟ فقال أبو يزيد : اسمع الجواب بعون الملك الوهاب .

أما الواحد فهو الله الذى لا إله إلا هو ، واحد لا شريك له .

وأما الثانى فهو الليل والنهار . وأما الثالث فهو الطلاق ثلاث مرات . وأما الأربعة[3] فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وأما الخمسة فالصلاة الخمس . وأما الستة فهى الأيام الست التى خلق الله فيها السموات والأرض . وأما السبعة فهى السموات السبع . وأما الثمانية فإنها حَمَلة العرش يوم القيامة . وأما التسعة فهى مدة حمـل المرأة للولد . وأما العشرة فهم الكرام البَرَرَة . وأما الحادى عشر فإخوة يوسف عليه السلام . وأما الثانى عشر فهى السنة : اثنا عشر شهراً .

فقال له الراهب : صدقتَ . فأخبرنى عمّن خُلِقَ من الهواء[4] ، ومن حفظ فى الهواء ، ومن هلك بالهواء[4] . فقال : خلق من الهواء[4] عيسى عليه السلام ، وحفظ فى الهواء[4]

---

(١) س : تؤزوه ولا تشوشوا . (٢) س : ثانى .
(٣) س : الأبعة . (٤) س : الهوى .

سليمان عليه السلام ، وهلك بالهواء (١) قوم عاد .

فقال : صدقتَ ! فأخبرنى عمن خلق من الخشب ، ومن حفظ فى الخشب ومن هلك من الخشب . فقال أبو يزيد : خلق من الخشب عصا موسى عليه السلام ، وحفظ فى الخشب نوح عليه السلام ، وهلك بالخشب النبى زكريا عليه السلام .

فقال الراهب : صدقتَ ! فأخبرنى عمن خلق من النار ، ومن حفظ فى النار ، ومن هلك بالنار . فقال أبو يزيد : خلق من النار إبليس ، وحفظ فى النار إبراهيم خليل الله عليه السلام ، وهلك بالنار أبو جهل .

فقال الراهب : صدقت ! فأخبرنى عمن خلق من الحجر ، ومن حفظ فى الحجر ، ومن هلك بالحجر . فقال أبو يزيد : خلق من الحجر ناقة صالح عليه السلام ؛ وحفظ فى الحجر أصحاب الكهف ؛ وهلك بالحجر أصحاب الفيل .

فقال له الراهب : صدقت ! فأخبرنى عن قول العلماء فإنهم يقولون إن فى الجَنَّة أربعة أنهار : نهر من عسل ، ونهر من لبن ، ونهر من ماء ، ونهر من خمر ، وكل ذلك يجرى فى مجرى واحد ؛ لا هذا يختلط بهذا ، ولا هذا يختلط بهذا [١١٦ ا] . فهل له مثال فى الدنيا ؟ قال : نعم ! ابنُ آدم فى رأسه أربعة أنهار : ماء أذنيه مُرٌّ ، وماء عينيه عذب ، وماء أنفه مالح ، وماء لسانه حلو .

قال : صدقت . فأخبرنى عن أهل الجنة فإنهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون . فهل له مثال فى الدنيا ؟ قال : نعم ! الجنين فى بطن أمّه يأكل ويشرب ولا يتغوط . ولو تغوط فى بطن أمه لماتت .

قال : صدقت . فأخبرنى عن شجرة فى الجنة اسمها « طُوبىٰ » ، ليس فى الجنة قصر ولا غرفة إلا وفيه غصنٌ من أغصانها . فهل لها مثالٌ فى الدنيا ؟ قال : نعم ! الشمس إذا طلعت .

قال : صدقت . فأخبرنى عن شجرة لها اثنا عشر غصناً ، فى كل غصن ثلاثون ورقة ، فى كل زهرة زهرتان فى الشمس ، وثلاث زهرات فى الظل ؟

(١) س : الهوى .

فقال أبو يزيد : أما الشجرة فهى السَّنَة اثنا(١) عشر شهراً ، والورق بعدد أيام الشهر ، والزهرات فهى الصلاة الخمس . وأما التى فى الشمس فالظهر والعصر ، والتى فى الظل فالمغرب والعشاء والصبح .

فقال الراهب : صدقت . فأخبرنى عمن حج بيت الله الحرام وطاف وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة الحج . فقال أبو يزيد : تلك سفينة نوح عليه السلام .

فقال الراهب : صدقت . فأخبرنى أين يكون الليل إذا جاء النهار ؛ وأين يكون النهار إذا جاء الليل ؟ فقال أبو يزيد : ذلك فى غامض علم الله تعالى ، فإن ذلك لم يظهر عليه نبىٌّ مرسل ولا ملك مُقرَّب .

فقال : صدقت .

ثم بعد ذلك قال أبو يزيد للراهب : أما أنت فقد سألت عن مسائل وأجبتك عليها . وأريد أن أسألك عن مسألة واحدة فقال الراهب : سَلْ ما شئت . فقال أبو يزيد : أخبرنى عن مفتاح الجنة ما هو ، وما مكتوب على أبوابها ؟ فسكت الراهب . فقال له الرهبان : غُلِبْتَ يا أبانا . قال لا . قالوا : فلم لا تجيبه(٢) مثل ما أجابك ؟ قال : أخاف إن أجبته عنها تقتلونى . قالوا له : وحقِّ الإنجيل إن أجبتَه لا نقتلك . فقال الراهب : اعلموا أن مفتاح الجنة قول لا إلهٰ إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقال الرهبان عند ذلك : نشهد أن لا إلهٰ إلا الله ، ونشهد أن محمداً(٣) رسول الله .

فقال الراهب : نحمد الله الذى أسلمتم . فإنى كنتُ مسلماً منذ ستين سنة ولكنى كنت أكتم إيمانى خوفاً منكم . إلى أن منّ الله علىّ بهذا الرجل .

قال : ثم إنهم أخربوا البِيعة وجعلوها مسجداً لله تعالى . وأقام أبو يزيد عندهم يعلمهم أمور دينهم . ثم ودعهم ورجع إلى بلاده .

والحمد لله وحده ؛ وصلى الله على من لا نبىّ بعده ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين ؛ وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

---

(١) ص : اثنى .
(٢) ص : تجبه .
(٣) ص : محمد .

— ٤ —

طبقات المشايخ للامام أبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى

نسخة مصورة بمكتبة جامعة فؤاد بالقاهرة

برقم ٢٦٠٣٢ عن مخطوط بالمتحف البريطانى

الطبقة الأولى

[١٤ ب] ومنهم أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان

وكان جده سروشان مجوسياً فأسلم . وهم ثلاثة أخوة : آدم وطيفور وعلى . وكلهم كانوا زهّاداً عُبّاداً وأرباب أحوال . وهم من أهل بسطام .

مات أبو يزيد رحمه الله — سنة إحدى وستين ومائتين ، وقيل سنة أربع وثلاثين .

وأسند الحديث عن أبى يزيد عن أبى عبد الرحمن السُّدى عن عمرو بن قيس الملائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخُدرى قال : قال رسول الله صلم « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، [١١٥] وأن تحمدهم على مارزق الله ، وأن تذمّهم على ما لم يُؤتك الله ؛ إن رزق الله لا يجرّه حرصُ حريص ولا يردّه كره كاره . إن الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الرَّوْح والفرج فى اليقين والرضا ، وجعل الهمّ والحزن فى الشك والسخط » .

قال أبو يزيد : قعدت ليلة فى محرابى ، فمددت رجلى ، فهتف بى هاتف : مَن جالس[١] الملوك ينبغى أن يجالسهم بحسن الأدب .

وسئل عن درجة العارف فقال : ليس هناك درجة ، بل أعلى فائدة العارف وجود معروفه .

وقال : العابد يعبده بالحال ، والعارف يعبده فى الحال .

وسُئِل : بماذا يستعان على العبادة ؟ فقال . بالله إن كنت تعرفه .

---

(١) تحتها : يجالس .

وقال : أدنى ما يجب على العارف أن يهب له ما قد ملكه .

وقال : من ادّعى الجمع بامتلاء الحق يحتاج أن يلزم نفسه عند[1] العبودية .

أذّن أبو يزيد مرة ثم أراد أن يقيم ، فنظر فى الصف فرأى رجلاً عليه أثرُ سَفَرٍ ، فتقدم إليه فكلمه بشىء . فقام الرجل وخرج من المسجد . فسأله بعض من حضر . فقال الرجل : كنت فى السفر فلم أجد الماء فتيممتُ ونسيت ودخلت المسجد ؛ فقال لى أبو يزيد : لا يجوز التيمم فى الحضر . فذكر ذلك وخرجت .

وقال : عملتُ فى المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدتُ شيئاً أشدّ علىّ من العلم ومتابعته ، ولولا اختلاف العلماء لبقيت ، واختلاف [١٥ ب] العلماء رحمةٌ إلا فى تجريد التوحيد .

وقال : لا يعرف نفسه مَنْ صَحِبَتْه شهوتُه .

وقال : الجنة لا خطر لها عند أهل المحبّة ، وأهل المحبة محجوبون بمحبتهم .

وقال : من سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهماً يكلم به الناس ، ومن سمعه ليعامل الله تعالى به فى فعله رزقه الله فهماً يناجي به ربه .

وقال : هذا فرحى بك وأنا أخافك ، فكيف فرحى بك إذا أَمِنتك !

وقال: يارب ! افهمنى عنك ، فإنى لا أفهم عنك إلا بك .

وقال : عرفتُ الله بالله ، وعرفت ما دون الله بنور الله .

وقال : كُفْر أهل الهمة أسلم من إيمان أهل المنة .

وسئل : بِمَ نالوا المعرفة ؟ قال : بتضييع مالهم والوقوف مع ماله بما له .

وقال : اطّلع الله[2] على قلوب أوليائه . فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة .

وسئل : ما علامة العارف ؟ فقال : أن لا يفتُر من ذكره ، ولا يملّ من حقه ، ولا يستأنس بغيره .

وقال : إن الله تعالى أمر العباد ونهاهم فأطاعوه ، فخلع عليهم خلعة من خلعه فاشتغلوا بالخلع عنه ، وإنى لا أريد من الله إلا الله .

---

(١) فوقها تصحيح هو : على .

(٢) فوقها : تعالى .

وقال : غلطت فى ابتدائى فى أربعة أشياء : توهمت أنى أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه ؛ فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ، ومعرفته تقدمت معرفتى ، ومحبته أقدم من محبتى ، وطَلَبه لى أولاً حتى طلبته .

وقال : اللهم إنك خلقت هـذا الخلق بغير علمهم ، وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم [١١٦] ، فإن لم تُعِنْهم فمن يعينهم ؟!

وقال : إذا صحبك إنسان وأساء عشرتك فادخل عليه بحُسْنِ أخلاقك يَطِبْ عيشك ؛ وإذا أنعم عليك فابدأ بشكر الله تعالى فإنه الذى عطف عليك القلوب ؛ وإذا ابتليت فأسرع إليه الاستقالة[١] فإنه القادر على كشفها دون سائر الخلق .

وقال : إن الله تعالى رزق[٢] العباد الحلاوة ، فمن أجل فرحهم بها يمنعهم[٣] حقائق القرب .

وقال : أبعد الخلق من الله تعالى أكثرهم إشارةً إليه .

وقال : المعرفة فى ذات الحق جهل ، والعلم فى حقيقة المعرفة حَيْرة ، والإشارة من المشير شِرْكٌ فى الإشارة .

وسئل : بأى شىء وجدتَ هذه المعرفة ؟ فقال : ببطنٍ جائعٍ وبدنٍ عارٍ .

وقال : العارف همُّه ما يأمله ، والزاهد همّه ما يأكله .

وقال . طوبىٰ لمن كان همه همّاً واحداً ولم يشغل قلبه بما رأت عيناه وسمعت أذناه .

وقال : من عرف الله فإنه يزهد فى كل شىء يشغله .

وسئل عن السُّنّة والفريضة فقال : السُّنّة تركُ الدنيا ، والفريضة الصحبة مع المولى ، لأن السُّنّة كلها تدل على ترك الدنيا ، والكتاب كله يدل على صحبة المولى ، فمن تعلّم السُّنّة والفريضة فقد كمل .

وقال : النعمة أزلية يجب أن يكون لها شكرٌ أزلىٌّ .

(١) فى الصلب : إلى الاستكانة .

(٢) فوقها تصحيحاً : يرزق .

(٣) فى النص تحتها : منعهم .

فهرس الأعلام

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

فهرس الكتب

تصويبات

ص	س	خطأ	صواب
٨	١٧	القرامطة	والقرامطة
٤٣	١٨	لأستاذاً	لأستاذنا
٤٤	٥	سوء	سواد
	٧	الموقفين	الموقنين
٧٨	١	بنسبه	بستنبه

ملاحظات

(١) ورد اسم أحمد بن خضرويه البلخي هكذا في بعض مواضع نسخة ص : حضرويه ، وصوابه خضرويه (بالخاء) ، وهو من كبار مشايخ خراسان توفي سنة أربعين ومائتين (راجع « طبقات الصوفية » للسلمي ورقة ٢١ ب ، نسخة مصورة بجامعة فؤاد برقم ٢٦٠٣٢ عن نسخة بالمتحف البريطاني) .

(٢) ورد اسم محمد بن علي النسوي هكذا : الفسوي ، وصوابه كما في المخطوطة ص وفي المراجع الأخرى : النسوي (بالنون لا بالفاء) .

(٣) ورد اسم سروشان جد أبي يزيد في بعض المواضع هكذا : شروشان ، وصوابه كما في أكثر المصادر : سروشان (بالسين) .

(٤) ورد اسم ابراهيم الهروي المعروف بستنبه هكذا : استنبه ، وصوابه : ستنبه (بدون ألف) .

(٥) ورد اسم أبي موسى الديبلي هكذا : الديبلي ، ولعل صوابه : الدَّبيلي ودبيل بلد في أرمينية .